مجلة
تحالف الحضارات

دورية عملية متخصصة ومحكمة سنوية تصدر عن اللجنة القطرية لتحالف الحضارات
العدد الخامس - يناير 2025

اختبار الإنسانية عبر منظومة القيم العابرة للثقافات — أ. د. إسماعيل نوري الربيعي

تأثير العولمة على الحضارة: رؤية أولية — أ. م. د. خضير عباس أحمد النداوي

الحوار الحضاري عبر طرق الحرير حتى بدايات العصر الإسلامي — د. محمد أحمد عبدالسلام

دبلوماسية "المجاملة اللغوية" وأثرها في التواصل الحضاري — د. أحمد الجنابي

فلسفة هجرة المسلمين الجزائريين نحو الغرب: من الحوار الى تحالف الحضارات — أ. د. عبد المجيد عمراني

اللجنة القطرية لتحالف الحضارات
Qatar Committee for Alliance of Civilizations

مجلة
تحالف الحضارات

مَجَلَّةُ تَحَالُفِ الحَضَارَاتِ

دَوْرِيَّةٌ عِلْمِيَّة مُتَخَصِّصَةٌ وَمُحَكَّمَةٌ نِصَفْ سَنَوِيَّةٌ تَصْدُرُ عَنِ اللَّجْنَةِ القَطَرِيَّةِ لِتَحَالُفِ الحَضَارَاتِ

رئيس التحرير	د. أحمد بن حسن الحمادي	الأمين العام لوزارة الخارجية - دولة قطر رئيس اللجنة القطرية لتحالف الحضارات
هيئة التحرير	أ. د. إبراهيم بن صالح النعيمي	رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان
	أ. د. عائشة يوسف المناعي	مديرة مركز محمد بن حمد آل ثاني لإسهامات المسلمين في الحضارة بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة حمد بن خليفة
	أ. د. دين محمد	أستاذ بجامعة حمد بن خليفة
	أ. د. نوزاد عبدالرحمن الهيتي	استشاري بوزارة الخارجية - دولة قطر
	أ. د. عز الدين معميش	أستاذ كرسي تحالف الحضارات بجامعة قطر
سكرتير التحرير	السفير/ عبدالله أحمد السادة	أمين سر اللجنة القطرية لتحالف الحضارات
الهيئة الاستشارية	السفير/ ناصر بن عبدالعزيز النصر	الممثل السامي السابق للأمم المتحدة لتحالف الحضارات
	الاستاذة/ سعاد السائحي	مدير إدارة الثقافة وحوار الحضارات بجامعة الدول العربية
	الدكتور/ كارل أرنست	أستاذ بجامعة نورث كارولينا - الولايات المتحدة
	أ. د. إبراهيم محمد زين	أستاذ بجامعة حمد بن خليفة - دولة قطر
	السفير/ رومان بليكوا	سفير الوساطة وحوار الثقافات - إسبانيا
التصميم والإخراج الفني	هيثم الطيب محمد	خبير تصميم جرافيك بوزارة الخارجية - دولة قطر

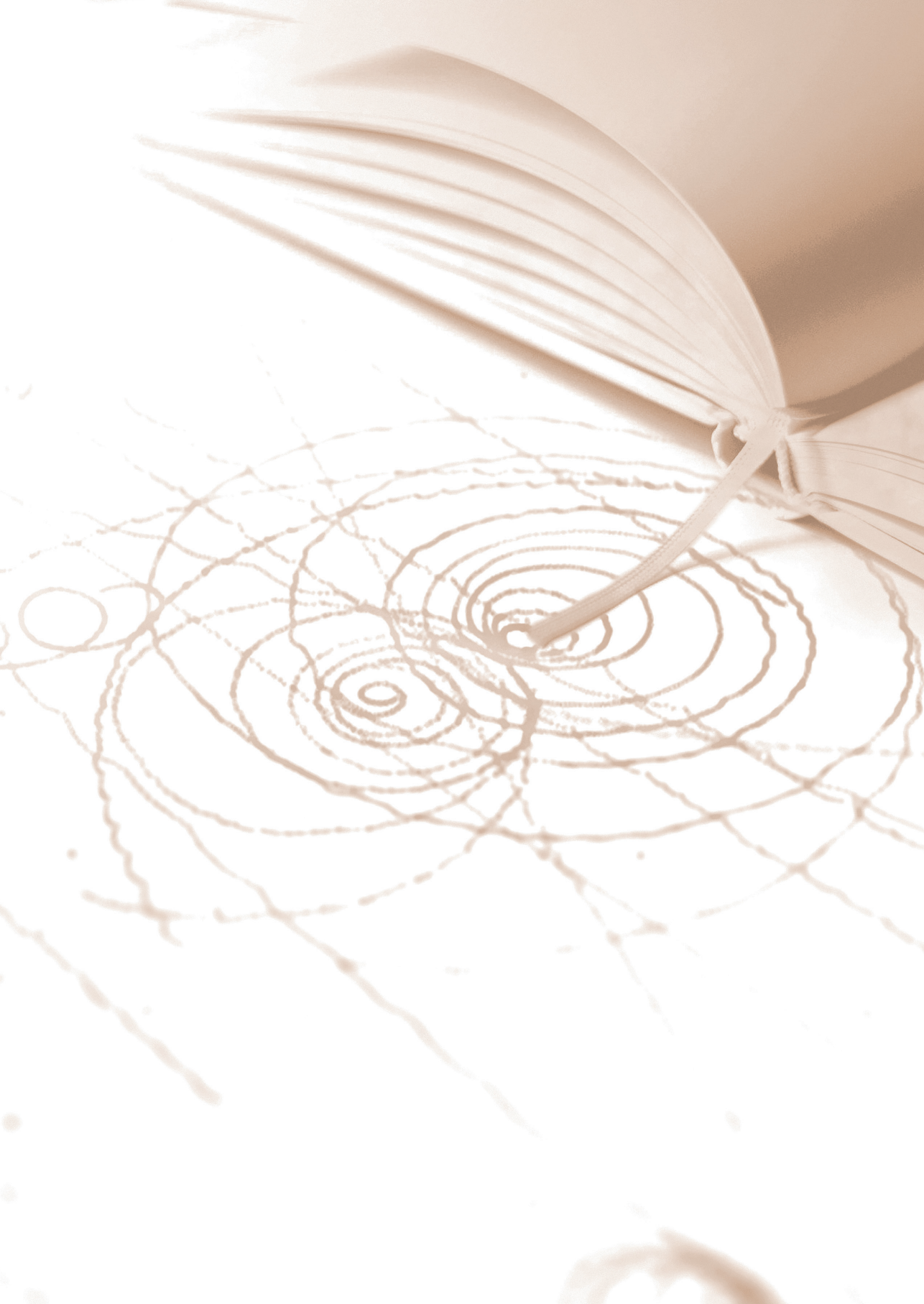

المحتويات

نبذة تعريفية عن المجلة (الرسالة، الأهداف)	6
أبواب المجلة	7
قواعد النشر	8
كلمة التحرير	11
الدراسات والأبحاث	
اختبار الإنسانية عبر منظومة القيم العابرة للثقافات أ. د. إسماعيل نوري الربيعي	13
الحوار الحضاري عبر طرق الحرير حتى بدايات العصر الإسلامي د. محمد أحمد عبدالسلام	49
دبلوماسية "المجاملة اللغوية" وأثرها في التواصل الحضاري د. أحمد الجنابي	95
عرض رسائل جامعية	
تعزيز قيم تحالف الحضارات لدى طلبة جامعة قطر: مقرر حوار الحضارات نموذجاً الطالبة مها ضحوي الشمري - رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية للحصول على درجة الماجستير في الأديان وحوار الحضارات	113
تقارير	
أضواء على: مؤتمر الدوحة الخامس عشر لحوار الأديان الأديان وتربية النشء في ظل المتغيرات الأسرية المعاصرة	116
قراءة في كتاب	
العالم الإسلامي في مهب التحولات الحضارية تأليف: الدكتور أحمد داود أوغلو	123

تحالف الحضارات.. دورية علمية متخصصة محكمة

الرسالة:

مجلة رائدة في مجال البحث العلمي في تحالف وحوار الحضارات ومتميزة في خدمة المجتمع الإنساني بما يعزز من ثقافة التعايش السلمي المرتكز على القواسم المشتركة بين الحضارات والثقافات، وتكون نافذة بحثية حقيقية تسهم في تنمية التفكير الإيجابي التواصلي وصقل شخصية الإنسان المنفتح، وتعزيز المواطنة العالمية، والتأكيد على قيم التسامح والسلام والتضامن بين الشعوب.

الأهداف:

تسعى المجلة لتحقيق الآتي:

- المساهمة في طرح رؤى ومعالجات لمختلف قضايا الحوار الحضاري والتنوع الثقافي للمجتمع الإنساني وذلك من خلال تركيز اهتمام المجلة في المجالات ذات الصلة.
- نشر الوعي المتحرر من مفردات الاختزال والأحكام النمطية وتدعو إلى الانفتاح والحوار والتلاقي ومد جسور التعارف بين الحضارات والثقافات.
- نشر البحوث والدراسات الجادة التي تستهدف تحليل وبحث القضايا ذات العلاقة بمضامين وتطبيقات تحالف الحضارات، والتعريف بالتجارب الرائدة في هذا المجال.
- توفير منبراً للتواصل مع المهتمين وإقامة حوارات بناءة من شأنها توثيق الروابط الفكرية ونشر الثقافة العلمية بين الباحثين العرب والأجانب والتواصل العلمي الهادف بينهم.
- نشر مراجعات الكتب والاصدارات العلمية المتخصصة بحوار الحضارات والتعددية الثقافية الصادر عن مراكز الأبحاث والدراسات ودور النشر المعروفة.
- نشر متابعات المؤتمرات العلمية الدولية ذات العلاقة بموضوعات تحالف الحضارات والحوار الحضاري والتعددية الثقافية بغية التعريف بها للباحثين والدوائر المعنية بهذا الشأن.

أبواب المجلة

الدراسات والأبحاث:

ترحب بالنتاج العلمي للباحثين والخبراء من دراسات وبحوث باللغتين العربية والإنجليزية، وفق الشروط التالية:

- أن تتسم بالإصالة والموضوعية، وأن تعالج موضوعاتها بشكل معمق ومفصل نسبياً، وألا يكون قد سبق نشرها ورقياً أو إلكترونياً.
- تتناول البحوث والدراسات القضايا والمسائل ذات الأبعاد المهمة للجهود المبذولة على الصعيدين العالمي والعربي في مجالات تحالف الحضارات الأربعة (التعليم، الشباب، الهجرة، الإعلام) لاسيما الموضوعات التي تكون نتائجها ذات مضامين لتعزيز الحوار الحضاري والتنوع الثقافي.
- الحرص على تطبيق منهجيات تتصف بالموضوعية والدقة في العرض، والدعم بالبيانات والمعلومات الدقيقة والبراهين والمصادر والمراجع الكافية.
- الالتزام بالدقة والسلامة من الناحية اللغوية، وأن تتراوح عدد الكلمات ما بين (6000 - 8000) كلمة، بضمنها الهوامش والمصادر، وأن يكون مطبوعاً.

تقارير:

تنشر المجلة أيضاً التقارير عن الندوات والمؤتمرات العلمية والورش التي تنظمها اللجنة القطرية لتحالف الحضارات أو مؤسسات وطنية أو عربية أو دولية، وتفرد لكل من هذه التقارير مساحة لا تزيد عن 1500 كلمة، يتم خلالها بيان أهداف، ومحاور، هذه الندوة أو المؤتمر، وملخصات وجيزة لأهم الأوراق العلمية المقدمة خلاله، وأهم التوصيات، مع ضرورة ذكر عنوان المؤتمر ومكانه وتاريخه.

عرض رسائل جامعية:

يتناول هذا القسم تقديم عرضاً مختصراً لأحدى رسائل الماجستير المتميزة التي تم مناقشتها ضمن برنامج الماجستير في حوار الحضارات والأديان على أن يتم التنسيق في اختيارها مع أستاذ كرسي حوار الحضارات بجامعة قطر، وأن يكون تاريخ مناقشة الرسالة في السنتين الأخيرتين. وأن يتناول العرض أبرز محتويات الرسالة والنتائج التي توصل إليها الباحث، شريطة ألا يتجاوز العرض (1500) كلمة.

قراءة في كتاب:

تفسح المجلة المجال لنشر مراجعات للكتب الصادرة حديثاً، وبخاصة الكتب العالمية المهمة، وينبغي أن تأتي المراجعة أو العرض للكتاب بصورة مختصرة وملمة لما يتضمنه من أفكار رئيسية، على ألا يتخطى عرض الكتاب (1000) كلمة، وأن يرفق مع المادة صورة غلاف الكتاب، علاوة على البيانات الأساسية للكتاب وفق الآتي:

- عنوان الكتاب.
- تاريخ النشر واسم جهة النشر.
- عدد الصفحات.
- الرقم الدولي المعياري للكتاب "ردمك".

قواعد النشر في مجلة تحالف الحضارات:

- تقبل المجلة البحوث والدراسات من مختلف المدارس الفكرية، ويكون معيار النشر هو الموضوعية والتقيد بالمنهج العلمي الدقيق في إعداد وكتابة البحوث، على أن يتراوح عدد الصفحات بين (6000 - 8000) كلمة.
- تنشر المجلة مراجعات وعروض للكتب التي لم يمض على صدورها أكثر من عامين، كما تنشر ملخصات الرسائل الجامعية بشرط ألا يكون قد مضى عليها أكثر من ثلاثة سنوات. على أن تكون بحدود (1500) كلمة.
- تنشر المجلة تقارير عن المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية التي تعقد داخل دولة قطر وخارجها حول موضوعات تخص مجالات تحالف الحضارات، وألا يزيد حجم التقرير عن (1500) كلمة.
- تقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، وفي حالة البحث المكتوب باللغة الإنجليزية، يتعين أن يرفق ملخص له باللغة العربية، بشرط لا تزيد عدد كلماته عن (600) كلمة.
- يقدم الباحث إقراراً خطياً بألا يكون البحث منشوراً أو قبل للنشر في جهة أخرى.
- يشار إلى الملحوظات (الهوامش)، ومصادر الاقتباس، والمراجع بأرقام تسلسلية تكتب في أعلى الحرف الأخير من الفقرة أو الجملة أو الكلمة التي تخصها (Superscript) في نهاية الورقة حسب تسلسل الترقيم، وتعطى التفاصيل الخاصة بالمصادر والمراجع وفق أسلوب جامعة شيكاغو، كما في الأمثلة التالية:

– الكتب: صلاح هاشم، العدالة والمجتمع المدني، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 2006)، ص 140.

– المجلات: نهى الجبالي، الآثار الاقتصادية لبروتوكول كيوتو، مجلة السياسة الدولية، العدد 145 (الأهرام: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، يوليو 2011)، ص 200.

– التقارير: المنتدى العربي للبيئة والتنمية، الاقتصاد الأخضر في عالم متغير (بيروت: 2020)، ص 21.

- تلتزم المجلة بتقويم أي مساهمة تصل إليها من قبل محكمين من ذوي المكانة العلمية في مجال التخصص، ويتم إخطار الباحث بنتيجة التحكيم خلال شهرين من استلامها. والمساهمات التي تعتذر المجلة عن نشرها لا ترد إلى الباحث.
- في حال قبول البحث للنشر، يلتزم الباحث بتعديله ليتناسب مع مقترحات المحكمين، وأسلوب النشر في المجلة.
- تمنح المجلة مكافأة مالية للبحوث والمواد المنشورة تقدرها هيئة التحرير.
- ترسل إلى الباحث نسختين من عدد المجلة المنشور بها بحثه.
- ترسل الأبحاث إلى رئيس التحرير عن طريق البريد الإلكتروني على العنوان التالي:

aalsada@mofa.gov.qa

nalhiti@mofa.gov.qa

للاتصال:

السفير/ عبدالله أحمد السادة: 40111883

أ. د. نوزاد عبدالرحمن الهيتي: 40111880

كلمة التحرير

يسرنا أن نُقدم للقارئ الكريم العدد الخامس من مجلة تحالف الحضارات التي كان من أبرز أهدافها نشر البحوث والدراسات الجادة التي تستهدف تحليل وبحث القضايا والمسائل ذات الصلة بمضامين وتطبيقات تحالف الحضارات، والدعوة إلى الانفتاح والحوار والتلاقي ومد جسور التعارف بين الحضارات والثقافات، وتوفير منبراً للتواصل مع المهتمين بموضوعات حوار وتحالف الحضارات ونشر المعرفة العلمية بين الباحثين من مختلف الثقافات.

وفي هذا العدد تم نشر مجموعة من الدراسات والبحوث باللغتين العربية والإنجليزية تناول البحث الأول "اختبار الإنسانية عبر منظومة القيم العابرة للثقافات"، والبحث الثاني بعنوان "تأثير العولمة على الحضارة: رؤية أولية"، والبحث الثالث "الحوار الحضاري عبر طرق الحرير حتى بدايات العصر الإسلامي". والبحث الرابع بعنوان "دبلوماسية المجاملة اللغوية وأثرها في التواصل الحضاري". وفي القسم الإنجليزي من المجلة تم نشر بحث بعنوان "فلسفة هجرة المسلمين الجزائريين نحو الغرب: من الحوار الى تحالف الحضارات.".

كما اشتمل العدد على تقريراً عن فعاليات المؤتمر الدولي الخامس عشر لحوار الأديان الذي نظمه مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان تحت عنوان "الأديان وتربية النشء في ظل المتغيرات الأسرية المعاصرة".

وضمن الأبواب الثابتة في المجلة تم تقديم قراءة لكتاب "العالم الإسلامي في مهب التحولات الحضارية"، للدكتور أحمد داود أوغلو وزير خارجية تركيا الأسبق، وفي باب رسائل جامعية تم تقديم ملخصاً لرسالة الماجستير في الأديان وحوار الحضارات الموسومة، "تعزيز قيم تحالف الحضارات لدى طلبة جامعة قطر"، المقدمة من الطالبة مها ضحوي الشمري إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر.

ومن الله تعالى التوفيق والسداد

رئيس التحرير

الدكتور أحمد بن حسن الحمادي

الأمين العام لوزارة الخارجية

رئيس اللجنة القطرية لتحالف الحضارات

اختبار الإنسانية عبر منظومة القيم العابرة للثقافات

أ. د. إسماعيل نوري الربيعي
الجامعة الأهلية - مملكة البحرين

الملخَّص:

القيم العابرة للثقافات هي القيم المشتركة عبر ثقافات متعددة، وتعتبر قيماً عالمية. هذه القيم ليست خاصة بثقافة واحدة، ولكنها تمثل فهماً مشتركاً لما هو مهم أو ذو مغزى في الحياة. وإحدى القيم المشتركة بين الثقافات هو كرامة الإنسان. حيث تؤكد هذه القيمة أن كل إنسان له قيمة بطبيعته ويستحق أن يعامل باحترام وإنصاف، بغض النظر عن خلفيته، أو عرقه، أو جنسه، أو أي خاصية أخرى. وقيمة أخرى عبر الثقافات هي فكرة التعاطف، والتي تؤكد على أهمية التعاطف والاهتمام بالآخرين. ومن ثم يمكن فهم الإنسانية على أنها السلوك الجماعي والمعتقدات والقيم للبشر بشكل عام.

وتشمل الأمثلة الأخرى للقيم العابرة للثقافات أهمية الأسرة والمجتمع، وقيمة التعليم، والإيمان بالعدالة والمساواة. ويتم تقاسم هذه القيم عبر العديد من الثقافات المختلفة، وتم تناقلها عبر الأجيال كوسيلة لتوجيه السلوك البشري والعلاقات. ويمكن أن يساعد تبني القيم عبر الثقافات في سد الفجوات الثقافية وتعزيز التفاهم والتعاون بين المجموعات المختلفة من خلال الاعتراف واحترام القيم المشتركة التي توحدنا كبشر، مما يمكننا من العمل من أجل عالم أكثر انسجاماً وشمولية.

كلمات مفتاحية: القيم العابرة للثقافة، التسامح، الاستيلاء الثقافي، العدالة والمساواة، التضامن، النسبية الثقافية، العالمية.

Testing humanity through a system of transcultural values

Prof. Ismail Noori Mseer
Ahlia University - Kingdom of Bahrain

Abstract:

Humanity can be understood as the collective behavior, beliefs, and values of human beings as a species. Transcultural values are those that are shared across multiple cultures and are considered to be universal. These values are not specific to any one culture, but rather represent a shared understanding of what is important or meaningful in life. One common transcultural value is the concept of human dignity. This value asserts that every human being is inherently valuable and deserves to be treated with respect and fairness, regardless of their background, race, gender, or any other characteristic. Another transcultural value is the idea of compassion, which emphasizes the importance of empathy and caring for others. Other examples of transcultural values include the importance of family and community, the value of education, and the belief in justice and equality. These values are shared across many different cultures and have been passed down through generations to guide human behavior and relationships. Embracing transcultural values can help to bridge cultural divides and promote understanding and cooperation between different groups. By recognizing and respecting the shared values that unite us as human beings, we can work towards a more harmonious and inclusive world.

Keywords; Transcultural values, Tolerance, Cultural appropriation, Justice and equality, Solidarity, Cultural relativism, universalism

المقدمة:

في عالم أصبح مترابطاً ومتنوعاً على نحو متزايد، لا يمكن المبالغة في التأكيد على أهمية القيم العابرة للثقافات مثل التسامح والعدالة والمساواة والتضامن والنسبية الثقافية والعالمية واحترام الكرامة الإنسانية. تعمل هذه القيم كأساس لخلق علاقات متناغمة بين الأفراد من خلفيات ثقافية مختلفة وتعزيز التفاهم والتعاطف بين المجتمعات المتنوعة. والنسبية الثقافية والعالمية مفهومان أساسيان يلعبان دوراً محورياً في تشكيل فهمنا لكيفية تعاملنا مع الآخرين الذين قد يحملون معتقدات أو قيماً مختلفة. وبينما تؤكد النسبية الثقافية على أهمية احترام وتقدير تنوع الثقافات ووجهات نظرها الفريدة، تؤكد العالمية فكرة أن بعض القيم متأصلة في جميع البشر بغض النظر عن خلفيتهم الثقافية.

إن التسامح والعدالة عنصران أساسيان في تعزيز التعايش السلمي في المجتمعات المتنوعة، ومن خلال تبني التسامح تجاه معتقدات وممارسات الآخرين، يمكننا أن نخلق بيئة يستطيع فيها الأفراد التعبير عن أنفسهم بحرية دون خوف من التمييز أو التحيز. وتضمن العدالة معاملة جميع الأفراد بشكل عادل ومنصف بموجب القانون، بغض النظر عن وضعهم الثقافي أو الاجتماعي. والتضامن بين الثقافات المختلفة أمر بالغ الأهمية في تعزيز التعاون والوحدة عبر الحدود. ومن خلال الاعتراف بإنسانيتنا المشتركة والعمل معاً لتحقيق أهداف مشتركة، يمكننا بناء مجتمع أكثر شمولاً يشعر فيه الجميع بالتقدير والاحترام.

إن احترام الكرامة الإنسانية في جميع الثقافات أمر أساسي لدعم القيمة والحقوق المتأصلة لكل فرد، بغض النظر عن الاختلافات في العادات أو التقاليد، فمن الضروري معاملة الآخرين بكرامة ورحمة. ولذلك فإن تحقيق التوازن بين النسبية الثقافية والقيم العالمية يتطلب منا أن نبحر في تعقيدات التنوع الثقافي مع التمسك بالمبادئ الأساسية التي تتجاوز الحدود الثقافية. كما أن تحقيق التوازن بين احترام الاختلافات الثقافية وتعزيز حقوق الإنسان العالمية أمر ضروري في خلق عالم يمكن لجميع الأفراد أن يزدهروا معاً فيه في وئام.

تشير القيم عبر الثقافات والتحديات الأخلاقية إلى المعضلات الأخلاقية والصراعات التي تنشأ بسبب تفاعل الأفراد والمجتمعات من خلفيات ثقافية مختلفة different cultural backgrounds؛ نظراً لأن العالم أصبح أكثر ارتباطاً وعولمة[1]، ويصبح فهم القيم العابرة للثقافات والتحديات الأخلاقية والتنقل فيها أمراً مهماً بشكل متزايد. وسوف نستكشف بعض القيم الرئيسية عبر الثقافات والتحديات الأخلاقية التي تطرحها.

وتقوم القيم عبر الثقافات Transcultural values على مبدأ احترام كرامة الإنسان حيث التأكيد على القيمة والكرامة المتأصلة لكل فرد، بغض النظر عن خلفيته الثقافية. إنه مبدأ أساسي في العديد من الصكوك الدولية لحقوق الإنسان. فيما يبرز التسامح Tolerance الذي ينطوي على قبول واحترام الثقافات والمعتقدات والممارسات الأخرى، حتى لو كان المرء لا يتفق معها. إنها قيمة أساسية للتعايش السلمي في عالم يزداد عولمة.

فيما تتبدى العدالة والمساواة التي تدعو إلى المعاملة العادلة وتكافؤ الفرص لجميع الأفراد، بغض النظر عن خلفيتهم الثقافية أو العرق أو الجنس أو عوامل أخرى. يضاف إليها مبدأ التضامن Solidarity الذي يدعو إلى الدعم والتعاون المتبادل بين الأفراد والمجتمعات من خلفيات ثقافية مختلفة، خاصة في أوقات الحاجة أو الأزمات.

وتتجلى المسؤولية Responsibility التي تؤكد على حاجة الأفراد والمجتمعات لتحمل المسؤولية عن أفعالهم وتأثيرها على الآخرين، لا سيما في سياق التفاعلات الثقافية. وعلى صعيد التحديات الأخلاقية تبرز النسبية الثقافية مقابل العالمية بوصفها أحد التحديات الأخلاقية الرئيسية في التفاعلات عبر الثقافات القائم على تحديد ما إذا كان ينبغي اعتبار قيم أو مبادئ معينة عالمية أو مرتبطة ثقافياً. وتقول النسبية الثقافية إن القيم الأخلاقية خاصة بثقافة معينة ولا يمكن الحكم عليها من خلال معايير ثقافة أخرى. ومن ناحية أخرى، تؤكد العالمية أن بعض القيم

1. Sam, D. L., & Berry, J. W. (2010). Acculturation: When Individuals and Groups of Different Cultural Backgrounds Meet. Perspectives on Psychological Science, 5(4),481-472.

والمبادئ قابلة للتطبيق عالمياً، بغض النظر عن الاختلافات الثقافية، ويضاف إليها الموازنة بين الحقوق الفردية والمعايير الثقافية والتي تكون في بعض الحالات[2]، وقد تتعارض الحقوق الفردية (مثل حرية التعبير أو الدين) مع الأعراف والممارسات الثقافية. حيث يتطلب التغلب على هذا التوتر دراسة متأنية لكل من الحقوق الفردية والحساسيات الثقافية.

وتشكل المركزية العرقية Ethnocentrism عقبة كأداء، حيث الاعتقاد بأن ثقافة المرء متفوقة على الآخرين، ويجب أن تكون المعيار الذي يتم الحكم على الثقافات الأخرى على أساسه. ويمكن أن يؤدي هذا إلى التمييز والتحيز والصراع بين المجموعات الثقافية المختلفة. ويضاف إلى ذلك بروز ظاهرة الاستيلاء الثقافي Cultural appropriation الذي ينطوي على التملك الثقافي عبر تبني أو استخدام عناصر من ثقافة أخرى[3]، غالباً بدون إذن أو فهم مناسب. ويمكن أن يؤدي هذا إلى تحريف الثقافة الأصلية أو التقليل من شأنها وقد يتسبب في الإساءة أو الأذى لأعضاء تلك الثقافة.

وتبرز حواجز اللغة والتواصل، باعتبار المسعى نحو التواصل الفعال Effective communication يمثل أمرا ضروريا لبناء العلاقات والتفاهم والتعاون بين الناس من ثقافات مختلفة[4]. ويمكن أن تؤدي الحواجز اللغوية وسوء الإنشاء إلى سوء الفهم والارتباك وحتى الصراع. لتتبدى أهمية فهم القيم العابرة للثقافات والتغلب على التحديات الأخلاقية، والذي يشكل عملية معقدة ومستمرة تتطلب الصبر والتعاطف والانفتاح الذهني. من خلال الاعتراف بتنوع الثقافات ووجهات النظر واحترامها، يمكن للأفراد والمجتمعات العمل معاً لخلق مجتمع عالمي أكثر شمولاً وإنصافاً وتناغماً.

تشير القيم عبر الثقافات إلى القيم المشتركة بين مختلف الثقافات والأديان والمجتمعات. حيث تتجاوز هذه القيم خصوصيات أي ثقافة وتعكس تطلعات

2. Kim, H. J., & Sharman, J. C. (2014). Accounts and Accountability: Corruption, Human Rights, and Individual Accountability Norms. International Organization, 68(2), 417-448.

3. McKenty, M. (1992). cultural appropriation. Off Our Backs, 22(10), 20-20.

4. Springer, M. L. (2016). Effective Communication Skills. In Project and Program Management: A Competency-Based Approach, Third Edition (pp. 339-346). Purdue University Press.

واحتياجات الإنسان العالمية. ومن الأمثلة على ذلك احترام كرامة الإنسان[5]، والسعي لتحقيق العدالة، والرحمة، وحماية حقوق الإنسان. حيث تظهر التحديات الأخلاقية عندما تتعارض هذه القيم العابرة للثقافات مع قيم ومعايير وممارسات ثقافة أو مجتمع معين. على سبيل المثال، قد تتعارض قيمة احترام كرامة الإنسان مع ممارسة تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية في بعض الثقافات.

أولاً: مشكلة البحث وأهدافه وأسئلته والنتائج المتوقعة منه

كيف يمكن اختبار الإنسانية وتقييمها من خلال نظام من القيم العابرة للثقافات لتعزيز التفاهم والتعاون العالميين؟ تتضمن مشكلة البحث هذه استكشاف الآليات التي يمكن من خلالها تحديد القيم العابرة للثقافات وفهمها واستخدامها لتقييم السلوك البشري والتقدم المجتمعي عبر الثقافات المختلفة.

- **أهداف البحث:**

تحديد القيم الأساسية المعترف بها عالمياً عبر الثقافات المختلفة. والتطلع نحو إنشاء أدوات موثوقة وصالحة لقياس مدى الالتزام بهذه القيم وتعزيزها داخل المجتمعات المختلفة. مع أهمية التوقف عند دراسة آثار هذه القيم على النتائج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتطلع نحو اقتراح السياسات التي يمكن أن تعزز تبني القيم العابرة للثقافات لتعزيز السلام والتعاون العالميين.

- **الأسئلة الرئيسة:**

ما الذي يشكل القيم العابرة للثقافات؟ كيف يمكن تعريف هذه القيم عالمياً؟ ما القيم الأكثر شيوعاً عبر الثقافات المختلفة؟ كيف يمكننا قياس الالتزام بالقيم العابرة للثقافات؟ ما المنهجيات والأدوات التي يمكن تطويرها لتقييم وجود هذه القيم وتأثيرها في المجتمعات المختلفة؟ كيف يمكن توحيد هذه القياسات للسماح بإجراء مقارنات بين الثقافات؟ ما آثار القيم العابرة للثقافات على القضايا العالمية؟ كيف

5. EISER, A. R. (1998). Violence and Transcultural Values. In S. G. FRENCH, W. TEAYS, & L. M. PURDY (Eds.), Violence against Women: Philosophical Perspectives (pp. 161-167). Cornell University Press.

تؤثر هذه القيم على العلاقات الدولية، وحل النزاعات، والحكم العالمي؟ ما الدور الذي تلعبه القيم العابرة للثقافات في مواجهة التحديات العالمية مثل تغير المناخ وحقوق الإنسان وعدم المساواة الاقتصادية؟

- **منهجية البحث:**

إجراء مراجعة شاملة للأدبيات الموجودة حول القيم العابرة للثقافات، بما في ذلك وجهات النظر الفلسفية والاجتماعية والأنثروبولوجية، والتركيز على الدراسات الاستقصائية والمؤشرات؛ لقياس مدى انتشار وتأثير القيم العابرة للثقافات، والتطلع نحو تحليل دراسات حالة محددة؛ حيث تم تنفيذ القيم العابرة للثقافات بنجاح لمواجهة التحديات العالمية.

- **المخرجات المتوقعة:**

السعي نحو إنشاء إطار نظري يحدد القيم الأساسية العابرة للثقافات المعترف بها عالمياً، مع أهمية تطوير والتحقق من صحة الأدوات التي يمكن استخدامها لقياس ومقارنة هذه القيم عبر الثقافات المختلفة، وضرورة التوجه نحو تقديم توصيات قابلة للتنفيذ إلى صانعي السياسات؛ لتعزيز القيم العابرة للثقافات في الحكم العالمي والعلاقات الدولية. مع المساهمة في فهم أعمق وتقدير للقيم الإنسانية المشتركة، وتعزيز المزيد من التعاون والسلام العالمي.

إن دراسة الإنسانية من خلال عدسة القيم العابرة للثقافات يمكن أن تساعد في سد الانقسامات الثقافية، والحد من الصراعات، وتعزيز التعاون العالمي. إنه يوفر طريقاً نحو عالم أكثر انسجاماً حيث تعمل القيم المشتركة كأساس لمواجهة التحديات المشتركة وتحقيق التقدم الجماعي.

ثانياً: التواصل والحوار

تلعب النسبية الثقافية والعالمية أدواراً حاسمة في تشكيل فهمنا للقيم والتسامح والعدالة والمساواة والتضامن واحترام الكرامة الإنسانية. وتعمل هذه المفاهيم كمبادئ توجيهية تساعدنا في التغلب على تعقيدات عالم متنوع ومترابط. وتؤكد النسبية الثقافية على أهمية فهم واحترام الأعراف والمعتقدات والممارسات الثقافية المختلفة

دون فرض قيم الفرد على الآخرين. إنه يشجع الأفراد على تبني نهجاً أكثر انفتاحاً وتعاطفاً تجاه الأشخاص من خلفيات مختلفة[6]. ومن ناحية أخرى، تروج العالمية لفكرة أن بعض القيم متأصلة في جميع البشر بغض النظر عن سياقهم الثقافي أو الاجتماعي. ويؤكد أن مبادئ مثل العدالة والمساواة واحترام الكرامة الإنسانية ينبغي التمسك بها عالميا لأنها تتجاوز الحدود الثقافية. ومن خلال الاعتراف بالنسبية الثقافية والعالمية، يصبح بوسعنا أن نحقق التوازن بين تقدير التنوع ودعم حقوق الإنسان الأساسية.

تكمن أهمية النسبية الثقافية في قدرتها على تعزيز التفاهم والقبول المتبادل بين الأفراد ذوي المعتقدات والعادات المختلفة. إنها تمكننا من تحدي النزعة العرقية ومكافحة التحيز من خلال تشجيعنا على رؤية العالم من خلال وجهات نظر متعددة. وفي المقابل، تعمل العالمية كبوصلة أخلاقية توجه أعمالنا نحو تعزيز العدالة والمساواة والتضامن واحترام الكرامة الإنسانية على نطاق عالمي. ومن خلال احتضان النسبية الثقافية والعالمية، يصبح بوسعنا أن نخلق مجتمعاً أكثر شمولاً حيث يتم الاحتفاء بالاختلافات بدلاً من الخوف منها[7]. ويسمح هذا التعايش المتناغم بتبادل الأفكار والتقاليد والقيم التي تثري تجربتنا الجماعية كبشر. وفي نهاية المطاف، فمن خلال الاعتراف بتركيز النسبية الثقافية على التنوع والتزام العالمية بالإنسانية المشتركة، نستطيع أن نسعى جاهدين نحو بناء عالم أكثر عدلاً وإنصافاً للجميع.

يمكن أن تكون وسائل الإعلام والتكنولوجيا أدوات قوية لتعزيز الحوار بين الثقافات والتفاهم المتبادل؛ حيث تتيح إمكانية توفير منصات الوسائط الاجتماعية والمنتديات عبر الإنترنت وتكنولوجيا الواقع الافتراضي فرصاً للأفراد من ثقافات مختلفة للتواصل مع بعضهم البعض وتبادل خبراتهم. ويتجلى حوار الأديان في تعزيز التفاهم والاحترام بين الأفراد من خلفيات دينية مختلفة. والذي يمكن أن يشمل

6. توعية الطلبة بقيم التسامح وقبول الآخر: دليل مرجعي (nap)(2023): المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج.

7. عبد الحميد أحمد أبو سليمان (2002). الإنسان بين شريعتين رؤية قرآنية لمعرفة الذات ومعرفة الآخر Islāmīyat al-ma'rifah, 7(28)، 123.

ذلك مناقشات وأحداث تركز على القيم والمعتقدات المشتركة[8]. فيما تبرز المشاركة المجتمعية في تعزيز الحوار بين الثقافات والتفاهم المتبادل على المستوى المحلي. والتي تشمل الأحداث المجتمعية والمهرجانات الثقافية وفرص التطوع التي تجمع الأفراد من ثقافات مختلفة معاً. وبشكل عام، يتطلب تعزيز الحوار بين الثقافات والتفاهم المتبادل التزاماً بالانفتاح والتعاطف واحترام وجهات النظر والتجارب المتنوعة[9]. ومن خلال تبني هذه القيم، يمكننا إنشاء مجتمع عالمي أكثر شمولاً وترابطاً.

قد يكون تعزيز الحوار بين الثقافات أمراً صعباً، لأنه ينطوي على تجاوز الاختلافات الثقافية والعوائق المحتملة أمام التفاهم. وفيما يلي بعض التحديات التي قد تظهر عند تعزيز الحوار بين الثقافات:

- **حواجز اللغة:** يمكن أن تجعل الاختلافات اللغوية من الصعب على الأفراد من ثقافات مختلفة التواصل بشكل فعال. ويمكن أن يحدث سوء الفهم وسوء التفسير، مما يؤدي إلى انهيار في الاتصال.
- **القوالب النمطية والتحيز:** يمكن أن تؤدي القوالب النمطية والتحيز إلى مواقف وتصورات سلبية تجاه الأفراد من ثقافات مختلفة. ويمكن أن يخلق هذا حاجزاً أمام التفاهم ويحد من فرص الحوار بين الثقافات.
- **الاختلافات الثقافية:** الاختلافات الثقافية في القيم والمعتقدات والممارسات يمكن أن تخلق سوء تفاهم وصراعات. فقد يجد الأفراد صعوبة في فهم وتقدير الاختلافات الثقافية، مما يؤدي إلى عائق أمام التواصل الفعال.
- **اختلالات القوة:** يمكن أن تؤدي اختلالات القوة بين الأفراد من ثقافات مختلفة إلى خلق حاجز أمام الاتصال الفعال؛ فقد يسيطر الأفراد الذين يمتلكون المزيد من القوة على المحادثة، مما يجعل من الصعب على الآخرين المساهمة.
- **انعدام الثقة:** انعدام الثقة يمكن أن يجعل من الصعب على الأفراد من ثقافات

8. ملكاوي، فتحي (2004). التحيز في الفكر التربوي الغربي 181، (37-38) 10, Islāmīyat al-ma'rifah.

9. Iheduru, O. (2006). Social Values, Democracy, and the Problem of African American Identity. Journal of Black Studies, 37(2), 209-230.

مختلفة الدخول في حوار هادف، وقد يتردد الأفراد في مشاركة وجهات نظرهم وخبراتهم بسبب الخوف من الحكم أو التمييز.

وللتغلب على هذه التحديات، من المهم التعامل مع الحوار بين الثقافات بعقلية منفتحة ومتعاطفة. يتضمن ذلك الاستماع بنشاط إلى وجهات نظر مختلفة، واحترام الاختلافات الثقافية، والسعي لفهم وتقدير وجهات النظر والخبرات المتنوعة[10]. بالإضافة إلى ذلك، فإن خلق بيئة آمنة وشاملة للحوار يمكن أن يساعد في بناء الثقة وتعزيز التواصل الفعال. إن خلق بيئة آمنة وشاملة للحوار بين الثقافات أمر بالغ الأهمية لتعزيز التواصل والتفاهم الهادفين بين الأفراد من مختلف الثقافات. وفيما يلي بعض الطرق لإنشاء مثل هذه البيئة:

- **وضع القواعد الأساسية:** يمكن أن يساعد وضع القواعد الأساسية للحوار في خلق بيئة آمنة ومحترمة. حيث يمكن أن تتضمن القواعد الأساسية مبادئ توجيهية للاستماع الفعال، واحترام وجهات النظر المختلفة، والالتزام بتجنب الصور النمطية والتحيز.
- **تعزيز الاحترام المتبادل:** إن تعزيز الاحترام المتبادل ضروري لخلق بيئة آمنة وشاملة للحوار. وهذا ينطوي على الاعتراف وتقييم وجهات نظر وخبرات الأفراد من ثقافات مختلفة، وتجنب اللغة أو الأفعال التي قد يُنظر إليها على أنها غير محترمة أو تمييزية. تشجيع الاستماع الفعال أمر ضروري لتعزيز التواصل الفعال[11]: يتضمن ذلك الاستماع إلى الآخرين بعقل متفتح، وطرح أسئلة توضيحية، وتجنب مقاطعة أو رفض وجهات نظر الآخرين. وتوفير فرص للتفكير يمكن أن يساعد الأفراد على معالجة واستيعاب ما تعلموه من خلال الحوار. ويمكن أن يشمل ذلك تمارين تأمل منظمة أو فرصاً للتفكير الفردي بعد جلسة حوار.
- **معالجة ديناميكيات السلطة:** معالجة ديناميكيات السلطة أمر مهم لخلق بيئة

10. Dallmayr, F. (2002). "Asian Values" and Global Human Rights. Philosophy East and West, 52(2), 173-189.

11. Johansson, M. S. (2016). Making Sense of Genre and Style in the Age of Transcultural Reproduction. International Review of the Aesthetics and Sociology of Music, 47(1), 45-62.

آمنة وشاملة للحوار. يتضمن ذلك الاعتراف بأي اختلالات في موازين القوى قد تكون موجودة بين الأفراد من ثقافات مختلفة ومعالجتها، وخلق الفرص لجميع الأفراد للمساهمة والمشاركة على قدم المساواة.

- **تقديم الدعم والموارد:** يمكن أن يساعد تقديم الدعم والموارد للأفراد، مثل خدمات الترجمة اللغوية أو التدريب على الحساسية الثقافية، على الشعور بمزيد من الراحة والثقة في الانخراط في حوار بين الثقافات.

وبشكل عام؛ يتطلب خلق بيئة آمنة وشاملة للحوار بين الثقافات التزاماً بالتعاطف والاحترام والاستعداد للانخراط في تواصل مفتوح وصادق من خلال تبني هذه القيم، ويمكن للأفراد العمل على بناء التفاهم وتعزيز التغيير الإيجابي عبر الثقافات والمجتمعات.

ثالثاً: الحساسية الثقافية

وفي عالم يتسم بزيادة العولمة والتبادل الثقافي، أصبحت مفاهيم التسامح والعدالة في المجتمعات المتنوعة ذات أهمية قصوى؛ إذ إن تعقيدات القيم العابرة للثقافات، مثل احترام كرامة الإنسان والتضامن، يمكن أن تؤدي في كثير من الأحيان إلى وجهات نظر متضاربة حول كيفية تحقيق المساواة والانسجام داخل المجتمعات المتعددة الثقافات. فمن ناحية، تؤكد النسبية الثقافية على أهمية فهم واحترام الأعراف والقيم الثقافية المختلفة. ويعترف هذا النهج بأن ما يمكن اعتباره عادلاً أو أخلاقياً في ثقافة ما قد لا يكون بالضرورة كذلك في ثقافة أخرى. ومع ذلك، يمكن لهذه النظرة النسبية أن تتعارض أحياناً مع المبادئ العالمية التي تدعو إلى مجموعة من القيم المشتركة التي تتجاوز الحدود الثقافية.

إن التوتر بين النسبية الثقافية والعالمية يسلط الضوء على الحاجة إلى فهم دقيق لكيفية تحقيق التسامح والعدالة في المجتمعات المتنوعة. وفي حين أنه من المهم الاعتراف بتنوع الثقافات والاحتفاء به، فمن المهم بنفس القدر دعم المبادئ الأساسية للمساواة وحقوق الإنسان التي تنطبق على جميع الثقافات. ويتطلب هذا التوازن الدقيق الالتزام بالحوار والتعاطف والانفتاح من أجل التغلب على تعقيدات التفاعلات

المتعددة الثقافات. علاوة على ذلك، يلعب مفهوم التضامن دوراً رئيسياً في تعزيز التسامح والعدالة داخل المجتمعات المتنوعة. ويستلزم التضامن الوقوف مع الآخرين لدعم الأهداف أو القيم المشتركة، بغض النظر عن الاختلافات في الخلفية أو المعتقد. ومن خلال تنمية الشعور بالتضامن بين الأفراد من خلفيات ثقافية مختلفة، يمكن للمجتمعات أن تعمل على إنشاء أنظمة أكثر شمولاً وإنصافاً تدعم حقوق جميع الأعضاء وكرامتهم.

إن السعي لتحقيق التسامح والعدالة في المجتمعات المتنوعة يتطلب دراسة متأنية للقيم العابرة للثقافات مثل احترام كرامة الإنسان، والتضامن، والنسبية الثقافية والعالمية. ومن خلال تبني هذه المبادئ بقلب وعقل منفتحين، يمكن للأفراد العمل على بناء علاقات أكثر انسجاماً داخل مجتمعات متعددة الثقافات، مع الحفاظ على المبادئ الأساسية للمساواة والعدالة للجميع. ويتطلب تشجيع الأفراد على تبني التعاطف والاحترام في الحوار بين الثقافات جهوداً متضافرة لتعزيز هذه القيم في جميع جوانب المجتمع.

وفيما يلي بعض الطرق لتشجيع الأفراد على تبني التعاطف والاحترام في الحوار بين الثقافات:

يمكن أن يلعب التعليم دوراً مهماً في تعزيز التعاطف والاحترام. إذ يمكن للمدارس والجامعات دمج الدورات والبرامج التي تركز على الحساسية الثقافية والتنوع والشمول[12]. ويمكن أن يساعد ذلك الطلاب على تطوير فهم أعمق للثقافات المختلفة وتعزيز التعاطف والاحترام. ويمكن أن تلهم نماذج الأدوار الأفراد لتبني التعاطف والاحترام في تفاعلاتهم مع الآخرين. كما يمكن للشخصيات العامة وقادة المجتمع والمعلمين أن يكونوا قدوة من خلال تعزيز القيم والسلوكيات الإيجابية في تفاعلهم مع أفراد من ثقافات مختلفة.

ويمكن أن تلعب وسائل الإعلام والتكنولوجيا أيضاً دوراً في تعزيز التعاطف

12. عبدالله، رؤى لؤى (2018). التنوع الثقافي وبناء هوية جامعة عراقية: رؤية تحليلية للحالة العراقية، Al-Adab Journal, 126, 435-424.

والاحترام. ويمكن للبرامج التلفزيونية والأفلام والبرامج الإخبارية أن تعزز التمثيل الإيجابي للأفراد من ثقافات مختلفة، في حين أن منصات وسائل التواصل الاجتماعي وتكنولوجيا الواقع الافتراضي يمكن أن توفر فرصاً للأفراد للتواصل مع بعضهم البعض وتبادل خبراتهم[13]. ويمكن أن تساعد المشاركة المجتمعية في تعزيز التعاطف والاحترام على المستوى المحلي. ويمكن أن تجمع الأحداث المجتمعية والمهرجانات الثقافية وفرص التطوع أفراداً من ثقافات مختلفة معاً وتعزز التفاعلات الإيجابية.

ويمكن أن تحفز الحوافز والمكافآت الأفراد على تبني التعاطف والاحترام في الحوار بين الثقافات، ويمكن أن يشمل ذلك التعرف على الأفراد الذين يظهرون سلوكيات إيجابية، بالإضافة إلى خلق فرص للأفراد للتعلم والنمو من خلال التفاعلات بين الثقافات. وبشكل عام، فإن تشجيع الأفراد على تبني التعاطف والاحترام في الحوار بين الثقافات يتطلب نهجاً شاملاً يتضمن التعليم ونمذجة الأدوار والإعلام والتكنولوجيا، والمشاركة المجتمعية، والحوافز، والمكافآت[14]. من خلال تعزيز هذه القيم، يمكن للأفراد العمل على بناء مجتمع عالمي أكثر شمولاً وترابطاً.

ويعد دمج الحساسية الثقافية والتنوع في التعليم أمراً بالغ الأهمية لتعزيز التفاهم والاحترام بين الثقافات. وفيما يلي بعض الطرق للقيام بذلك:

يمكن أن يلعب تطوير المناهج دوراً مهماً في تعزيز الحساسية الثقافية والتنوع في التعليم. ويمكن أن يشمل ذلك دمج الدورات والبرامج التي تركز على الثقافات والأديان والمجتمعات المختلفة، بالإضافة إلى دمج وجهات النظر والخبرات المتنوعة في الدورات الدراسية الحالية.

يمكن أن يساعد التطوير المهني المعلمين على تطوير المعرفة والمهارات اللازمة لتعزيز الحساسية الثقافية والتنوع في الفصل الدراسي. ويمكن أن يشمل ذلك ورش عمل وندوات وبرامج تدريبية تركز على الكفاءة الثقافية والإدماج والإنصاف.

13. الأحمد، محمد بشير ياسر (2021). قصيدة التجربة: المصطلح والأسس Journal of Humanities and Social Sciences, 5(15)، 130-145.

14. Taylor, D. (1991). Transculturation Transculturation. Performing Arts Journal, 13(2), 90-104.

يمكن أن يساعد دمج مواد تعليمية متنوعة، مثل الكتب والمقالات وموارد الوسائط المتعددة، في تعزيز الحساسية الثقافية والتنوع في التعليم. ويمكن أن يوفر ذلك للطلاب فرصاً للتعرف على الثقافات ووجهات النظر المختلفة، وتنمية التعاطف والاحترام للأفراد من خلفيات مختلفة.

يمكن أن يساعد التعلم المتمحور حول الطالب في تعزيز الحساسية الثقافية والتنوع في التعليم من خلال خلق فرص للطلاب لمشاركة وجهات نظرهم وخبراتهم. ويمكن أن يتضمن ذلك مناقشات جماعية، وتعلماً قائماً على المشروعات، وأنشطة تعاونية أخرى تشجع الطلاب على التعلم من بعضهم البعض.

يمكن أن تلعب المشاركة المجتمعية أيضاً دوراً في تعزيز الحساسية الثقافية والتنوع في التعليم. ويمكن أن يشمل ذلك شراكات مع المنظمات المحلية والمؤسسات الثقافية، فضلاً عن مشاريع خدمة المجتمع التي توفر للطلاب فرصاً للتفاعل مع أفراد من ثقافات مختلفة. وبشكل عام، يتطلب دمج الحساسية الثقافية والتنوع في التعليم التزاماً بإنشاء بيئات تعليمية شاملة وعادلة، من خلال تبني وجهات نظر وخبرات متنوعة، كما يمكن للمعلمين مساعدة الطلاب على تطوير المعرفة والمهارات اللازمة للازدهار في عالم متنوع ثقافياً ومترابطاً[15].

ويُعد ضمان جاهزية المعلمين لتعزيز الحساسية الثقافية والتنوع أمراً ضرورياً لخلق بيئات تعليمية شاملة وعادلة. وفيما يلي بعض الطرق للقيام بذلك:

إن توفير فرص التطوير المهني للمعلمين يمكن أن يساعدهم في تطوير المعرفة والمهارات اللازمة لتعزيز الحساسية الثقافية والتنوع. ويمكن أن يشمل ذلك ورش عمل وندوات وبرامج تدريبية تركز على الكفاءة الثقافية والإدماج والإنصاف.

يمكن أن يساعد تعيين وتوظيف المعلمين الذين لديهم خبرة في تعزيز الحساسية الثقافية والتنوع في ضمان أن يكون للمدارس والجامعات هيئة تدريس متنوعة ومختصة ثقافياً. ويمكن أن يلعب تطوير المناهج دوراً مهماً في تعزيز الحساسية

15. Siegel, H. (1999). Multiculturalism and the Possibility of Transcultural Educational and Philosophical Ideals. Philosophy, 74(289), 387-409.

الثقافية والتنوع في التعليم؛ من خلال دمج الدورات والبرامج التي تركز على الثقافات والأديان والمجتمعات المختلفة، ويمكن للمعلمين مساعدة الطلاب على تطوير فهم أعمق لوجهات النظر والتجارب المتنوعة.

يمكن أن يساعد تقييم أداء المعلمين وتقديم الملاحظات في ضمان قيامهم بتعزيز الحساسية الثقافية والتنوع في الفصل الدراسي بشكل فعال، ويمكن أن يتضمن ذلك تقييمات منتظمة لممارسات التدريس ونتائج الطلاب، بالإضافة إلى التعليقات من الطلاب والزملاء والمسؤولين.

يمكن أن يساعد تقديم الدعم والموارد للمعلمين في ضمان حصولهم على الأدوات والموارد اللازمة لتعزيز الحساسية والتنوع الثقافي. ويمكن أن يشمل ذلك الوصول إلى مواد تعليمية متنوعة، ودعم الزملاء والإداريين[16]، وفرص التطوير المهني. وبشكل عام، يتطلب التأكد من أن المعلمين مجهزين لتعزيز الحساسية الثقافية والتنوع نهجاً شاملاً يتضمن التطوير المهني، والتوظيف، وتطوير المناهج الدراسية، والتقييم والتغذية الراجعة، والدعم والموارد. من خلال تعزيز الكفاءة الثقافية والإدماج بين المعلمين، مما يمكننا من إنشاء بيئات تعليمية أكثر شمولاً وإنصافاً لجميع الطلاب.

رابعاً: تنويع الممارسات

إن مفهوم التضامن بين الثقافات المختلفة أمر ضروري لتعزيز الاحترام المتبادل والتفاهم في مجتمع متنوع؛ فمن خلال التضامن يمكن للأفراد من مختلف الخلفيات الثقافية أن يجتمعوا معاً، على الرغم من اختلافاتهم، لدعم بعضهم البعض والعمل على تحقيق الأهداف المشتركة. ويتجاوز هذا الشعور بالوحدة الحواجز الثقافية ويعزز الشعور بالانتماء والقبول بين جميع أفراد المجتمع. كما أن التضامن بين الثقافات المختلفة متجذر في الاعتقاد بأن جميع الأفراد، بغض النظر عن خلفيتهم الثقافية، يستحقون أن يعاملوا بكرامة واحترام. ومن خلال الاعتراف بالقيمة المتأصلة للتجارب ووجهات النظر الفريدة لكل شخص، يمكننا بناء مجتمع أكثر شمولا وانسجاماً.

16. ملكاوي، أسماء حسين، لحمامد، المهدي، العتيبي، أفراح، & الشطي، الشاذلي بية (2021). الصورة المعيارية للمجتمع القطري: دراسة في تصورات المقيمين Tajseer, 3(2) , 9-43. https://doi.org/10.29117/tis.2021.0068

وهذا يتطلب منا أن نضع جانباً مفاهيمنا المسبقة وتحيزاتنا بشأن الثقافات الأخرى، ونتعامل معها بدلاً من ذلك بعقل متفتح ورغبة في التعلم.

ومن خلال ممارسة التضامن بين الثقافات المختلفة، فإننا نتمسك أيضاً بمبادئ العدالة والمساواة. ومن خلال الوقوف معاً لدعم المجتمعات المهمشة أو الدعوة إلى الحقوق المتساوية لجميع الأفراد، فإننا نظهر التزامنا بالعدالة والمساواة. ولا يفيد هذا العمل الجماعي أولئك الذين يتأثرون بشكل مباشر بالظلم فحسب، بل يعزز أيضاً الروابط بين المجموعات الثقافية المختلفة. علاوة على ذلك، يشجعنا التضامن على اعتناق النسبية الثقافية مع الاعتراف أيضاً بأهمية القيم العالمية. وفي حين أنه من الضروري احترام تنوع المعتقدات والممارسات عبر الثقافات، يجب علينا أيضاً أن ندعم بعض المبادئ الأساسية التي تنطبق عالمياً، مثل حقوق الإنسان والكرامة، ومن ثم فإن إيجاد توازن بين النسبية الثقافية والعالمية يسمح لنا بالاحتفال باختلافاتنا، بينما نعمل على تحقيق أهداف مشتركة تعود بالنفع على جميع أفراد المجتمع.

ويلعب التضامن بين الثقافات المختلفة دوراً حاسماً في تعزيز التسامح والعدالة والمساواة واحترام كرامة الإنسان، وفي نهاية المطاف بناء مجتمع أكثر تماسكاً. ومن خلال التضامن معاً، يمكننا أن نخلق عالماً حيث يتم الاحتفاء بالتنوع، واحتضان الاختلافات، ومعاملة جميع الأفراد بإنصاف وتعاطف. ويعد ضمان وصول المعلمين إلى مواد التعلم المتنوعة أمراً ضرورياً لتعزيز الحساسية الثقافية والتنوع في التعليم. وفيما يلي بعض الطرق التي يمكن للمدارس من خلالها ضمان وصول المعلمين إلى هذه المواد:

يمكن للمدارس التأكد من أن مكتباتها لديها مجموعة متنوعة من الكتب والمقالات وموارد الوسائط المتعددة التي تمثل مجموعة متنوعة من الثقافات والأديان ووجهات النظر[17]. ويمكن أن يشمل ذلك شراء مواد من مؤلفين وناشرين متنوعين، بالإضافة إلى دمج التوصيات من الطلاب والمعلمين وأعضاء المجتمع. كما يمكن للموارد عبر

17. Zhou, G. (2005). The Chinese Renaissance: A Transcultural Reading. PMLA, 120(3), 783-795.

الإنترنت، مثل الكتب الإلكترونية والمقالات وموارد الوسائط المتعددة، أن توفر للمعلمين وصولاً سهلاً إلى مواد تعليمية متنوعة.

يمكن للمدارس تزويد المعلمين بإمكانية الوصول إلى قواعد البيانات عبر الإنترنت والمكتبات الرقمية التي تقدم مجموعة واسعة من الموارد المتنوعة. ويمكن للمدارس أن تشارك المؤسسات الثقافية المحلية، مثل المتاحف والمعارض الفنية والجمعيات التاريخية، لتزويد المعلمين بإمكانية الوصول إلى مواد تعليمية متنوعة. كما يمكن أن تتضمن هذه الشراكات توفير رحلات ميدانية ومتحدثين ضيوف وفرص أخرى للمعلمين للتفاعل مع وجهات نظر وخبرات متنوعة.

يمكن أن توفر فرص التطوير المهني للمعلمين إمكانية الوصول إلى مواد تعليمية متنوعة. ويمكن لورش العمل والندوات والبرامج التدريبية تعريف المعلمين بالموارد الجديدة وتزويدهم باستراتيجيات لدمج وجهات النظر والخبرات المتنوعة في ممارساتهم التعليمية.

يمكن أن يلعب تطوير المناهج دوراً مهماً في ضمان وصول المعلمين إلى مواد تعليمية متنوعة، من خلال دمج الدورات والبرامج التي تركز على الثقافات والأديان والمجتمعات المختلفة[18]، ويمكن للمعلمين ضمان وصول الطلاب إلى وجهات نظر وخبرات متنوعة. وبشكل عام، يتطلب ضمان وصول المعلمين إلى مواد تعليمية متنوعة التزاماً بإنشاء بيئة تعليمية شاملة ثقافياً. من خلال توفير الوصول إلى الموارد المتنوعة وتعزيز الكفاءة الثقافية والإدماج بين المعلمين، كما يمكن للمدارس مساعدة الطلاب على تطوير المعرفة والمهارات اللازمة للازدهار في عالم متنوع ومترابط.

ويعد تعزيز الكفاءة الثقافية بين المعلمين أمراً ضرورياً لخلق بيئات تعليمية شاملة وعادلة. وفيما يلي بعض الطرق التي يمكن للمدارس من خلالها تعزيز الكفاءة الثقافية بين المعلمين:

إن توفير فرص التطوير المهني التي تركز على الكفاءة الثقافية يمكن أن يساعد

18. Al-Malki, A., & Kaufer, D. (2008). [Review of Global Englishness and Transcultural Flows, by A. Pennycook]. Language in Society, 37(3), 476-479.

المعلمين على تطوير المعرفة والمهارات اللازمة للعمل بفعالية مع الطلاب من خلفيات متنوعة. ويمكن أن يشمل ذلك ورش عمل وندوات وبرامج تدريبية تركز على قضايا مثل الحساسية الثقافية والتنوع والشمول.

يمكن أن يساعد تعيين وتوظيف المعلمين الذين لديهم خبرة في العمل مع مجموعات متنوعة من الطلاب في تعزيز الكفاءة الثقافية في المدارس. ويمكن أن يشمل ذلك البحث بنشاط عن مرشحين لديهم فهم عميق للثقافات والأديان ووجهات النظر المختلفة. كما يمكن أن يساعد دمج الدورات والبرامج التي تركز على الثقافات والأديان والمجتمعات المختلفة في تعزيز الكفاءة الثقافية بين المعلمين. ويمكن أن يوفر هذا للمعلمين فهماً أعمق لوجهات النظر والخبرات المتنوعة، ويساعدهم على تطوير المعرفة والمهارات اللازمة للعمل بفعالية مع الطلاب من خلفيات مختلفة.

يمكن أن يساعد تقييم أداء المعلمين وتقديم الملاحظات في تعزيز الكفاءة الثقافية في المدارس[19]. ويمكن أن يتضمن ذلك تقييمات منتظمة لممارسات التدريس ونتائج الطلاب، بالإضافة إلى التعليقات من الطلاب والزملاء والمسؤولين. ويمكن أن يساعد تقديم الدعم والموارد للمعلمين في تعزيز الكفاءة الثقافية في المدارس. كما يمكن أن يشمل ذلك الوصول إلى مواد تعليمية متنوعة، ودعم الزملاء والإداريين، وفرص التطوير المهني. وبشكل عام، يتطلب تعزيز الكفاءة الثقافية بين المعلمين نهجاً شاملاً يتضمن التطوير المهني والتوظيف والتوظيف وتطوير المناهج الدراسية والتقييم، والتغذية الراجعة، والدعم، والموارد. من خلال تعزيز الكفاءة الثقافية والإدماج بين المعلمين، يمكن للمدارس إنشاء بيئات تعليمية أكثر شمولاً وإنصافاً لجميع الطلاب.

يمكن لبرامج التطوير المهني التي تركز على التدريس المستجيب ثقافياً أن تزود المعلمين باستراتيجيات لخلق بيئة صفية أكثر شمولاً وحساسية ثقافياً. والتدريب الضمني على التحيز هو برنامج يساعد المعلمين على التعرف على تحيزاتهم اللاواعية والتغلب عليها. ويمكن أن يكون هذا النوع من التدريب فعالاً بشكل خاص لتعزيز

19. Schwartz, M. S. (2005). Universal Moral Values for Corporate Codes of Ethics. Journal of Business Ethics, 59(1/2), 27-44.

الكفاءة الثقافية، حيث يمكن أن يساعد المعلمين على تحديد ومعالجة وتحيزاتهم. التعليم متعدد الثقافات هو نهج للتعليم يؤكد على أهمية التنوع والتفاهم الثقافي. ويمكن لبرامج التطوير المهني التي تركز على التعليم متعدد الثقافات أن تزود المعلمين بفهم أعمق للثقافات والأديان ووجهات النظر المختلفة، وتساعدهم على تطوير المعرفة والمهارات اللازمة للعمل بفعالية مع الطلاب من خلفيات متنوعة. توفر برامج الانغماس اللغوي والثقافي للمعلمين فرصة الانغماس في ثقافة مختلفة والتعرف بشكل مباشر على الممارسات ووجهات النظر الثقافية المختلفة. يمكن أن يكون هذا النوع من التطوير المهني فعالاً بشكل خاص في تعزيز الكفاءة الثقافية، حيث يوفر للمعلمين فهماً عميقاً للثقافات المختلفة ويساعدهم على تنمية التعاطف والاحترام للأفراد من خلفيات متنوعة. وتوفر برامج المشاركة المجتمعية للمعلمين فرصاً للانخراط مع مجتمعات متنوعة والتعرف على ممارساتهم الثقافية ووجهات نظرهم. لذا يمكن أن يساعد هذا النوع من التطوير المهني المعلمين على بناء علاقات مع الطلاب والأسر من خلفيات مختلفة، وتطوير فهم أعمق للسياق الثقافي الذي يعيش فيه طلابهم.

وبشكل عام، يجب أن توفر برامج التطوير المهني الفعالة لتعزيز الكفاءة الثقافية بين المعلمين فرصاً للمعلمين للتعرف على الثقافات المتنوعة، وتنمية التعاطف والاحترام للأفراد من خلفيات مختلفة، واكتساب المعرفة والمهارات اللازمة للعمل بفعالية مع الطلاب من خلفيات متنوعة.

خامساً: الكفاءة الثقافية Cultural competence

الكفاءة الثقافية هي القدرة على فهم وتقدير والعمل بفعالية مع أفراد من ثقافات وخلفيات مختلفة. إنه ينطوي على مجموعة من المعرفة والمهارات والمواقف التي تمكن الأفراد من التنقل عبر التفاعلات بين الثقافات وخلق بيئات شاملة وعادلة[20]. وتتطلب الكفاءة الثقافية فهم تأثير الثقافة على قيم ومعتقدات وسلوكيات الأفراد. إنه ينطوي على الاعتراف بالاختلافات الثقافية واحترامها، فضلاً عن فهم الطرق التي

20. Sakamoto, I. (2007). AN ANTI-OPPRESSIVE APPROACH TO CULTURAL COMPETENCE. Canadian Social Work Review / Revue Canadienne de Service Social, 24(1), 105-114.

يمكن للثقافة من خلالها تشكيل أنماط الاتصال والأعراف الاجتماعية ووجهات النظر العالمية. وتتضمن بعض المكونات الرئيسية للكفاءة الثقافية ما يلي:

- **الوعي الذاتي** Self-awareness: الكفاءة الثقافية تبدأ بالوعي الذاتي. يجب أن يكون الأفراد على دراية بخلفيتهم الثقافية وانحيازاتهم وافتراضاتهم من أجل التنقل بفعالية في التفاعلات بين الثقافات[21].
- **المعرفة الثقافية** Cultural knowledge: تتطلب الكفاءة الثقافية معرفة الثقافات المختلفة، بما في ذلك قيمها ومعتقداتها وممارساتها. ويمكن أن تساعد هذه المعرفة الأفراد على فهم الاختلافات الثقافية وتقديرها، وكذلك تحديد مناطق الصراع الثقافي المحتمل.
- **المهارات الثقافية** Cultural skills: تتضمن الكفاءة الثقافية تطوير المهارات التي تمكن الأفراد من العمل بفعالية مع أفراد من ثقافات مختلفة. ويمكن أن يشمل ذلك مهارات الاتصال ومهارات حل النزاعات ومهارات التكيف الثقافي.
- **التواضع الثقافي** Cultural humility: يتضمن التواضع الثقافي الاعتراف بأن الأفراد من ثقافات مختلفة لديهم وجهات نظر وخبرات فريدة، وأن الكفاءة الثقافية هي عملية تعلم مدى الحياة. إنه ينطوي على التعامل مع التفاعلات بين الثقافات بعقل متفتح ورغبة في التعلم والنمو. وبشكل عام، تعد الكفاءة الثقافية ضرورية لخلق بيئات شاملة وعادلة، ولا سيما في البيئات التعليمية[22]. ومن خلال تعزيز الكفاءة الثقافية بين المعلمين والطلاب يمكن للمدارس المساعدة في تعزيز التفاهم بين الثقافات والاحترام، وإعداد الطلاب للنجاح في عالم متنوع ومترابط.

ويُعد تعزيز الكفاءة الثقافية بين المعلمين والطلاب أمراً ضرورياً لخلق بيئات تعليمية شاملة وعادلة. وفيما يلي بعض الطرق التي يمكن للمدارس من خلالها تعزيز الكفاءة الثقافية:

21. Wells, M. I. (2000). Beyond Cultural Competence: A Model for Individual and Institutional Cultural Development. Journal of Community Health Nursing, 17(4), 189-199.

22. Rice, M. F. (2007). Promoting Cultural Competency in Public Administration and Public Service Delivery: Utilizing Self-Assessment Tools and Performance Measures. Journal of Public Affairs Education, 13(1), 41-57.

- **التطوير المهني:** إن توفير فرص التطوير المهني التي تركز على الكفاءة الثقافية يمكن أن يساعد المعلمين على تطوير المعرفة والمهارات اللازمة للعمل بفعالية مع الطلاب من خلفيات متنوعة. ويمكن أن يشمل ذلك ورش عمل وندوات وبرامج تدريبية تركز على قضايا مثل الحساسية الثقافية والتنوع والشمول.

- **تطوير المناهج الدراسية:** يمكن أن يساعد دمج الدورات والبرامج التي تركز على الثقافات والأديان والمجتمعات المختلفة في تعزيز الكفاءة الثقافية بين المعلمين والطلاب. ويمكن أن يوفر هذا للمعلمين والطلاب فهماً أعمق لوجهات النظر والخبرات المتنوعة، ومساعدتهم على تطوير المعرفة والمهارات اللازمة للعمل بفعالية مع الأفراد من خلفيات مختلفة.

- **الشراكات المجتمعية:** يمكن للمدارس أن تشارك المؤسسات الثقافية المحلية، مثل المتاحف والمعارض الفنية والجمعيات التاريخية، لتزويد المعلمين والطلاب بإمكانية الوصول إلى مواد تعليمية وخبرات ثقافية متنوعة. ويمكن أن تتضمن هذه الشراكات توفير رحلات ميدانية ومتحدثين ضيوف وفرص أخرى للمعلمين والطلاب للتفاعل مع وجهات نظر وخبرات متنوعة. ومن ثم فإن المبادرات التي يقودها الطلاب يمكن من خلالها مساعدة وتشجيع الطلاب على القيام بدور نشط في تعزيز الكفاءة الثقافية تجاه خلق بيئة مدرسية أكثر شمولاً وإنصافاً. ويمكن أن يشمل ذلك دعم الأندية والمنظمات التي يقودها الطلاب والتي تركز على الثقافات والهويات المختلفة، بالإضافة إلى توفير الفرص للطلاب لمشاركة خلفياتهم وخبراتهم الثقافية.

- **الدعم والموارد:** يمكن أن يساعد تقديم الدعم والموارد للمعلمين والطلاب في تعزيز الكفاءة الثقافية في المدارس. ويمكن أن يشمل ذلك الوصول إلى مواد تعليمية متنوعة، ودعم الزملاء والإداريين، وفرص التطوير المهني وقيادة الطلاب.

وبشكل عام، يتطلب تعزيز الكفاءة الثقافية في المدارس نهجاً شاملاً يتضمن التطوير المهني، وتطوير المناهج الدراسية، والشراكات المجتمعية، والمبادرات التي يقودها الطلاب، والدعم والموارد، من خلال تعزيز الكفاءة الثقافية والإدماج

بين المعلمين والطلاب[23]، ويمكن للمدارس إنشاء بيئات تعليمية أكثر شمولًا وإنصافاً لجميع الطلاب.

سادساً: عقلانية القيمة

لم يناقش ماكس فيبر بشكل صريح القيم العابرة للثقافات، ولكن يمكن اعتبار مفهومه لـ value rationality "Wertrationalität" (عقلانية القيمة) فكرة ذات صلة[24]. حيث تشير عقلانية القيمة إلى نمط من التفكير والعمل يقوم على مجموعة من القيم أو المُثل العليا التي يتم السعي وراءها لمصلحتها الخاصة، وليس لأسباب براغماتية أو نفعية. وتتميز عقلانية القيمة بإحساس الهدف والمعنى، وغالباً ما ترتبط بالمُثل الدينية أو الأخلاقية. وبهذا المعنى، يمكن اعتبار عقلانية القيمة شكلاً من أشكال القيمة العابرة للثقافات، لأنها تستند إلى مُثل عالمية تتجاوز الحدود الثقافية والتاريخية. ووفقاً لـ Weber، تعد عقلانية القيمة عنصراً مهماً في المجتمع الحديث، لأنها توفر أساساً للاستقلالية الفردية وتقرير المصير. وقد جادل فيبر أيضاً بأن المجتمع الحديث يتميز بالتوتر بين عقلانية القيمة والعقلانية الأداتية، وهي طريقة للفكر والعمل تستند إلى السعي وراء الأهداف والنتائج العملية، في حين أن العقلانية الأداتية مهمة لتحقيق الأهداف العملية، ويعتقد ويبر أنها يمكن أن تؤدي أيضاً إلى الشعور بعدم المعنى وخيبة الأمل[25]. وبشكل عام، يمكن اعتبار مفهوم ويبر لعقلانية القيمة مقدمة مهمة لفكرة القيم عبر الثقافات، لأنها تؤكد على أهمية المثل والقيم العالمية في المجتمع الحديث من خلال الاعتراف بأهمية القيم العابرة للثقافات. ويمكن للأفراد والمجتمعات العمل من أجل خلق عالم أكثر عدلاً وإنصافاً يحترم الكرامة والقيمة المتأصلة لجميع الأفراد[26].

23. Buddington, S. A., & Esmail, A. M. (2017). Ethnicity: Cultural Competence and Social Work Practice among College and University Students. Race, Gender & Class, 24(1-2), 160-171.

24. Wallace, W. L. (1990). Rationality, Human Nature, and Society in Weber's Theory. Theory and Society, 19(2), 199-223

25. Gane, N. (1997). MAX WEBER ON THE ETHICAL IRRATIONALITY OF POLITICAL LEADERSHIP. Sociology, 31(3), 549-564.

26. McIntosh, D. (1983). Max Weber as a Critical Theorist. Theory and Society, 12(1), 69-109.

سابعاً: الاستقلالية والحرية

يورغن هابرماس فيلسوف وعالم اجتماع ألماني كتب على نطاق واسع عن مفهوم الفعل التواصلي ودور اللغة في التفاعلات الاجتماعية. وقد استكشف هابرماس في عمله فكرة القيم العابرة للثقافات، وهي قيم قابلة للتطبيق عالمياً عبر ثقافات ومجتمعات مختلفة[27]. ويرى هابرماس أن القيم العابرة للثقافات متجذرة في المبادئ الأساسية لكرامة الإنسان واستقلاله. ويجادل بأن هذه القيم ضرورية لخلق مجتمع عادل وديمقراطي، ويمكن أن تكون بمثابة أساس للحوار والتفاهم بين الثقافات. وتتضمن بعض القيم عبر الثقافات التي حددها هابرماس ما يلي:

- **احترام كرامة الإنسان:** يجادل هابرماس بأن جميع الأفراد لديهم كرامة وقيم متأصلتين، بغض النظر عن خلفيتهم الثقافية أو وضعهم الاجتماعي[28]. وتتطلب هذه القيمة معاملة الأفراد باحترام ومراعاة وحماية حقوق الإنسان الأساسية الخاصة بهم.
- **الاستقلالية والحرية:** يؤمن هابرماس بأن للأفراد الحق في اتخاذ خياراتهم وقراراتهم، وأنهم يجب أن يكونوا أحراراً في السعي لتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم. وتتطلب هذه القيمة إعطاء الأفراد المساحة والموارد اللازمة لممارسة استقلاليتهم وحريتهم.
- **التضامن والعدالة الاجتماعية:** يجادل هابرماس بأن الأفراد يتحملون مسؤولية المساهمة في رفاهية المجتمع ككل[29]، وأن العدالة الاجتماعية تتطلب توزيع الموارد والفرص بشكل عادل ومنصف.
- **العقلانية والتفكير النقدي:** يؤمن هابرماس بضرورة تشجيع الأفراد على الانخراط في التفكير النقدي والخطاب العقلاني، وأن هذا ضروري لخلق مجتمع ديمقراطي

27. Nielsen, G. (1995). Bakhtin and Habermas: Toward a Transcultural Ethics. Theory and Society, 24(6), 803-835.

28. Mahoney, J. (2008). Liberalism and the Moral Basis for Human Rights. Law and Philosophy, 27(2), 151-191.

29. Sachsenmaier, D. (2006). Global History and Critiques of Western Perspectives. Comparative Education, 42(3), 451-470. 5

وعادل. وبشكل عام، يؤكد مفهوم هابرماس للقيم العابرة للثقافات على أهمية المبادئ العامة للكرامة الإنسانية والاستقلالية والعدالة الاجتماعية، ويجادل بأن هذه القيم يمكن أن تكون بمثابة أساس للحوار والتفاهم بين الثقافات.

ويُعد تعزيز الشمولية والتنوع مسؤولية مهمة يمكن للأفراد تحملها لخلق مجتمع أكثر إنصافاً وعدالة[30]. وفيما يلي بعض الخطوات التي يمكن للأفراد اتخاذها لتعزيز الشمولية والتنوع:

باعتبار التثقيف حول الثقافات والأديان والهويات المختلفة يمكن أن يساعدك على فهم وتقدير تجارب الآخرين بشكل أفضل؛ يمكن أن يشمل ذلك قراءة الكتب ومشاهدة الأفلام الوثائقية والمشاركة في الأحداث الثقافية والتفاعل مع أفراد من خلفيات متنوعة. وتحدي التحيزات والصور النمطية: خاصة وأننا لدينا جميعاً تحيزات وصور نمطية يمكن أن تؤثر على تصوراتنا ومواقفنا تجاه الآخرين. ويمكن أن يساعدنا التعرف على هذه التحيزات والصور النمطية ومواجهتها على أن نصبح أكثر انفتاحاً وقبولاً للأفراد من خلفيات متنوعة.

والتحدث ضد التمييز والتحيز يمكن أن يساعد في خلق ثقافة الشمولية والقبول[31]. يمكن أن يشمل ذلك تحدي اللغة أو السلوك العدواني، والدعوة إلى السياسات والممارسات التي تعزز التنوع والشمول. ودعم المجتمعات المتنوعة: يمكن أن يساعد دعم المجتمعات المتنوعة في تعزيز الشمولية والتنوع. ويمكن أن يشمل ذلك التطوع والتبرع للمنظمات التي تدعم المجتمعات المهمشة والمشاركة في الأحداث والاحتفالات الثقافية.

والانخراط في حوار مفتوح ومحترم مع أفراد من خلفيات متنوعة يمكن أن يساعد في تعزيز التفاهم والقبول. ويمكن أن يشمل ذلك طرح الأسئلة والاستماع إلى وجهات نظر الآخرين ومشاركة خبراتك ووجهات نظرك. فيما يمكن أن يتضمن

30. Antonio, R. J. (1989). The Normative Foundations of Emancipatory Theory: Evolutionary Versus Pragmatic Perspectives. American Journal of Sociology, 94(4), 721-748.

31. Roberts, J. M. (2012). Discourse or Dialogue? Habermas, the Bakhtin Circle, and the question of concrete utterances. Theory and Society, 41(4), 395-419.

اتخاذ إجراءات لتعزيز الشمولية والتنوع الدعوة إلى السياسات والممارسات التي تعزز المساواة والإدماج، ودعم المنظمات التي تعمل على تحقيق هذه الأهداف، وكونك حليفاً للأفراد من خلفيات متنوعة[32]. وبشكل عام؛ يتطلب تعزيز الشمولية والتنوع التزاماً بالتعلم والتعاطف والعمل. ومن خلال اتخاذ هذه الخطوات، يمكن للأفراد المساعدة في إنشاء مجتمع أكثر إنصافاً وعدالة يحترم ويقدر تجارب جميع الأفراد.

ثامناً: التوازن مع توقعات المجتمع

أنتوني جيدينز Anthony Giddens عالم اجتماع بريطاني كتب على نطاق واسع عن النظرية الاجتماعية والعلاقة بين الأفراد والمجتمع. في حين أن جيدينز لم يناقش صراحة القيم العابرة للثقافات، فإن مفهومه عن الانعكاسية "reflexivity" يمكن اعتباره فكرة ذات صلة[33]. فبالنسبة لجيدينز، تشير الانعكاسية إلى قدرة الأفراد على التفكير في ممارساتهم وهوياتهم الاجتماعية وتعديلها. وهذا ينطوي على مفاوضات مستمرة بين الفرد والمجتمع، حيث يسعى الأفراد إلى تحقيق التوازن بين رغباتهم وتطلعاتهم مع توقعات المجتمع وقواعده. بهذا المعنى، يمكن النظر إلى الانعكاسية على أنها شكل من أشكال القيمة العابرة للثقافات؛ لأنها تؤكد على أهمية الاستقلالية الفردية وتقرير المصير، مع الاعتراف أيضاً بدور المجتمع في تشكيل الهويات والممارسات الفردية.

ووفقاً لجيدينز، تعد الانعكاسية عنصراً مهماً في المجتمع الحديث، لأنها توفر للأفراد القدرة على تشكيل حياتهم وهوياتهم، بينما تسهم أيضاً في التطور المستمر للأعراف والممارسات الاجتماعية. وقد أكد جيدينز أيضاً على أهمية التنوع الثقافي والتعددية في المجتمع الحديث، وجادل بأن هذا التنوع يمكن أن يسهم في تطوير أفكار وممارسات جديدة، وأعرب عن اعتقاده أن الأفراد يتحملون مسؤولية التعامل مع وجهات نظر وخبرات متنوعة، والعمل من أجل خلق عالم أكثر شمولية وإنصافاً.

32. Piercey, R. (2004). Ricoeur's Account of Tradition and the Gadamer: Habermas Debate. Human Studies, 27(3), 259-280.

33. Mellor, P. A. (1993). Reflexive Traditions: Anthony Giddens, High Modernity, and the Contours of Contemporary Religiosity. Religious Studies, 29(1), 111-127.

وبشكل عام؛ يمكن اعتبار مفهوم Giddens للانعكاسية مقدمة مهمة لفكرة القيم عبر الثقافات، لأنها تؤكد على أهمية الاستقلالية الفردية وتقرير المصير، مع الاعتراف أيضاً بدور المجتمع والثقافة في تشكيل الهويات والممارسات الفردية. من خلال تعزيز الانعكاسية والتنوع الثقافي، ويمكن للأفراد والمجتمعات العمل من أجل خلق عالم أكثر عدلاً وإنصافاً يحترم الكرامة والقيمة المتأصلة في جميع الأفراد[34].

من جانب آخر تعد الانعكاسية بالنسبة لجيدينز جانباً مهماً من جوانب المجتمع الحديث، لأنها توفر للأفراد القدرة على تشكيل حياتهم وهوياتهم، بينما تسهم أيضاً في التطور المستمر للأعراف والممارسات الاجتماعية. وتنطوي الانعكاسية على مفاوضات مستمرة بين الفرد والمجتمع، حيث يسعى الأفراد إلى موازنة رغباتهم وتطلعاتهم مع توقعات المجتمع وقواعده. وقد جادل جيدينز بأن الانعكاسية هي عنصر مهم في المجتمع الحديث[35]، لأنها توفر للأفراد إحساساً بالوكالة والاستقلالية، بينما تسهم أيضاً في التطور المستمر للأعراف والممارسات الاجتماعية. وكان يعتقد أن الانعكاسية تسمح للأفراد بتحدي الهرمية الاجتماعية التقليدية وهياكل السلطة وتعديلها، وإنشاء ترتيبات اجتماعية جديدة أكثر إنصافاً وعدالة. وفي الوقت نفسه، أدرك جيدينز أن الانعكاسية يمكن أن تؤدي أيضاً إلى الشعور بعدم اليقين والقلق، حيث يضطر الأفراد إلى مواجهة التدفق المستمر والتغيير في المجتمع الحديث. وجادل بأن الأفراد يتحملون مسؤولية التعامل مع حالة عدم اليقين هذه والعمل من أجل خلق عالم أكثر عدلاً وإنصافاً. وبشكل عام، يسلط مفهوم Giddens للانعكاسية الضوء على أهمية الفاعلية الفردية والاستقلالية في تشكيل المجتمع، مع الاعتراف أيضاً بدور المجتمع في تشكيل الهويات والممارسات الفردية. ومن خلال تعزيز الانعكاسية والاستقلالية الفردية، يمكن للأفراد والمجتمعات العمل من أجل خلق عالم أكثر عدلاً وإنصافاً يحترم الكرامة والقيمة المتأصلة لجميع الأفراد[36].

34. Atkinson, W. (2007). Anthony Giddens as Adversary of Class Analysis. Sociology, 41(3), 533-549.

35. Moraru, C. (2001). The Global Turn in Critical Theory. Symplokē, 9(1/2), 74-82.

36. Gluck, M. (1993). [Review of Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age, by A. Giddens]. History and Theory, 32(2), 214-220.

تاسعاً: عالم التجربة الحيّة

كان ألفريد شوتز Alfred Schutz فيلسوفاً وعالم اجتماع نمساوياً معروفاً بعمله في علم الظواهر والنظرية الاجتماعية. وفي حين أن شوتز لم يناقش صراحة القيم العابرة للثقافات، إلا أن مفهومه عن العالم المُعيش "lifeworld" يمكن اعتباره فكرة ذات صلة[37]. فبالنسبة إلى شوتز، يشير عالم الحياة إلى العالم اليومي للتجربة الحية، حيث يتفاعل الأفراد مع بعضهم البعض ومع البيئة المادية. يتميز عالم الحياة بفهم مشترك للواقع، يقوم على الممارسات والمعايير الثقافية والاجتماعية المشتركة. بهذا المعنى، يمكن اعتبار العالم المُعيش شكلاً من أشكال القيمة العابرة للثقافات، لأنه يؤكد على أهمية التفاهمات والممارسات المشتركة التي تتجاوز الهويات والثقافات الفردية. ووفقاً لشوتز، يعد العالم المُعيش عنصراً مهماً في التجربة الإنسانية[38]، لأنه يوفر أساساً للتفاعل الاجتماعي والتواصل.

شدّد شوتز أيضاً على أهمية التداخل في عالم الحياة، والتي تشير إلى الفهم المشترك والتواصل بين الأفراد. إذ كان يعتقد أن الأفراد يتحملون مسؤولية التعامل مع الآخرين بطريقة محترمة وعاطفية، وأن هذا ضروري لخلق مجتمع عادل ومنصف[39]. وبشكل عام؛ يمكن النظر إلى مفهوم شوتز للعالم المُعيش على أنه مقدمة مهمة لفكرة القيم العابرة للثقافات، لأنها تؤكد على أهمية الفهم والممارسات المشتركة التي تتجاوز الهويات الفردية والثقافات. ومن خلال تعزيز الذاتية والتعاطف[40]، يمكن للأفراد والمجتمعات العمل من أجل خلق عالم أكثر عدلاً وإنصافاً يحترم الكرامة والقيمة المتأصلة لجميع الأفراد. ووفقاً لشوتز، فإن عالم الحياة هو عالم التجربة العادية، التي يعتبرها الأفراد أمراً مفروغاً منه أثناء ممارستهم لحياتهم اليومية.

37. Costelloe, T. M. (1996). Between the Subject and Sociology: Alfred Schutz's Phenomenology of the Life-World. Human Studies, 19(3), 247-266.

38. Peritore, N. P. (1975). Some Problems in Alfred Schutz's Phenomenological Methodology. The American Political Science Review, 69(1), 132-140.

39. Harrington, A. (2000). Alfred Schutz and the "Objectifying Attitude." Sociology, 34(4), 727-740.

40. Zhao, S. (2004). Consociated Contemporaries as an Emergent Realm of the Lifeworld: Extending Schutz's Phenomenological Analysis to Cyberspace. Human Studies, 27(1), 91-105.

ويتميز عالم الحياة بفهم مشترك للواقع، يقوم على الممارسات والمعايير الثقافية والاجتماعية المشتركة. إنه العالم الذي نعيش فيه جميعاً، ويوفر الأساس لتصوراتنا وأفعالنا وتفاعلنا مع الآخرين.

يعتقد شوتز أن عالم الحياة هو جانب حاسم من التجربة الإنسانية، لأنه يوفر الأساس للتفاعل الاجتماعي والتواصل. وقد جادل بأن العالم المُعيش هو واقع مشترك يتم بناؤه وإعادة بنائه باستمرار من خلال التفاعل الاجتماعي والتواصل. وفي الوقت نفسه، أدرك شوتز أهمية التجربة الفردية والذاتية في عالم الحياة، حيث كان يعتقد أن الأفراد لديهم وجهات نظرهم وخبراتهم الفريدة، والتي يمكن أن تشكل كيفية إدراكهم للعالم المُعيش وتفاعلهم معه. بشكل عام. ويسلط مفهوم شوتز عن العالم المُعيش الضوء على أهمية الممارسات الثقافية والاجتماعية المشتركة في تشكيل التجربة الإنسانية[41]. من خلال فهم عالم الحياة، وإمكانية اكتساب الأفراد نظرة ثاقبة للقوى الاجتماعية والثقافية التي تشكل تصوراتهم وأفعالهم، والعمل على خلق مجتمع أكثر عدلاً وإنصافاً.

عاشراً: الممارسات المشتركة

كان إرنست جيلنر Ernst Gellner فيلسوفاً بريطانياً وعالماً في الأنثروبولوجيا الاجتماعية معروفاً بعمله في القومية والحداثة والهوية الثقافية. وفي حين أن جيلنر لم يناقش بشكل صريح القيم العابرة للثقافات، فإن مفهومه عن "الثقافة المعيارية" modular culture يمكن اعتباره فكرة ذات صلة[42]. فبالنسبة لجيلنر تشير الثقافة المعيارية إلى شكل من أشكال الثقافة يمكن نقلها بسهولة عبر سياقات اجتماعية وثقافية مختلفة. وتتميز الثقافة المعيارية بمجموعة من القيم والممارسات المشتركة التي يمكن تكييفها بسهولة وتبنيها من قبل الأفراد في بيئات ثقافية

41. Straßheim, J. (2016). Type and Spontaneity: Beyond Alfred Schutz's Theory of the Social World. Human Studies, 39(4), 493-512.

42. Leask, N. (2013). Loss and Permanence [Review of The Scots Imagination and Modern Memory, by A. Blaikie]. History Workshop Journal, 75, 273-281.

مختلفة. وبهذا المعنى، يمكن اعتبار الثقافة المعيارية شكلاً من أشكال القيمة العابرة للثقافات، لأنها تؤكد على أهمية القيم والممارسات المشتركة التي يمكن أن تتجاوز الهويات والثقافات الفردية. ووفقاً لجيلنر فإن الثقافة المعيارية تعد عنصراً مهماً في المجتمع الحديث، لأنها توفر أساساً للتفاعل الاجتماعي والتواصل عبر السياقات الثقافية المختلفة[43]. وقد أكد جيلنر أيضاً على أهمية التنوع الثقافي والتعددية في المجتمع الحديث، وجادل بأن هذا التنوع يمكن أن يسهم في تطوير أفكار وممارسات جديدة. وأعرب عن اعتقاده أن الأفراد يتحملون مسؤولية التعامل مع وجهات نظر وخبرات متنوعة، والعمل من أجل خلق عالم أكثر شمولية وإنصافاً[44]. وبشكل عام، يمكن النظر إلى مفهوم جيلنر للثقافة المعيارية باعتباره مقدمة مهمة لفكرة القيم عبر الثقافات، لأنها تؤكد على أهمية القيم والممارسات المشتركة التي يمكن أن تتجاوز الهويات والثقافات الفردية. ومن خلال تعزيز التنوع الثقافي والتعددية، يمكن للأفراد والمجتمعات العمل من أجل خلق عالم أكثر عدلاً وإنصافاً يحترم الكرامة والقيمة المتأصلة في جميع الأفراد[45].

وتتميز الثقافة المعيارية بمجموعة من القيم والممارسات المشتركة التي يمكن تكييفها بسهولة وتبنيها من قبل الأفراد في بيئات ثقافية مختلفة. ووفقاً لجيلنر، تعد الثقافة المعيارية عنصراً مهماً في المجتمع الحديث، لأنها توفر أساساً للتفاعل الاجتماعي والتواصل عبر السياقات الثقافية المختلفة[46]. جادل جيلنر بأن الثقافة المعيارية هي نتاج الحداثة، مما أدى إلى زيادة التنقل والتواصل عبر الحدود الثقافية والجغرافية المختلفة. عندما أصبح الأفراد والأفكار أكثر قدرة على الحركة والعولمة، واعتقد جيلنر أن ثقافة مشتركة من العناصر المعيارية ستظهر.

43. JAYARAM, N. (2012). Identity, Community, and Conflict: A Survey of Issues and Analyses. Economic and Political Weekly, 47(38), 44-61.

44. Mabry, T. J. (2015). Muslim Nations. In Nationalism, Language, and Muslim Exceptionalism (pp. 17-33). University of Pennsylvania Press.

45. Mabry, T. J. (2015). Muslim Nations. In Nationalism, Language, and Muslim Exceptionalism (pp. 17-33). University of Pennsylvania Press.

46. Appleby, R. S. (1997). [Review of Civil Society: Theory, History, Comparison., by J. A. Hall]. Contemporary Sociology, 26(2), 171-172.

ومن وجهة نظر جيلنر، فإن الثقافة المعيارية ليست قوة متجانسة، بل هي وسيلة لتعزيز التنوع الثقافي والتعددية. فمن خلال التأكيد على القيم والممارسات المشتركة عبر الثقافات المختلفة، تشجع الثقافة المعيارية الأفراد على الانخراط في وجهات نظر وخبرات متنوعة، وتقدير ثراء التنوع الثقافي وتعقيده[47]. في الوقت نفسه، أدرك جيلنر أن الثقافة المعيارية يمكن أن تؤدي أيضاً إلى الإمبريالية الثقافية وتآكل الممارسات الثقافية التقليدية. وقال إن الأفراد يتحملون مسؤولية الانخراط في وجهات نظر وخبرات متنوعة، مع العمل أيضاً على الحفاظ على الممارسات والتقاليد الثقافية الفريدة التي تحدد هوياتهم الثقافية وتعزيزها. وبشكل عام، ويسلط مفهوم Gellner للثقافة المعيارية الضوء على أهمية القيم والممارسات المشتركة في تعزيز التنوع الثقافي والتعددية؛ من خلال الاعتراف بالعناصر الثقافية المشتركة التي تتجاوز الهويات الفردية والثقافات، ويمكن للأفراد والمجتمعات العمل من أجل خلق عالم أكثر عدلاً وإنصافاً يحترم الكرامة والقيمة المتأصلة لجميع الأفراد.

إن احترام الكرامة الإنسانية في جميع الثقافات هو جانب أساسي لتعزيز التسامح والعدالة والمساواة في المجتمعات المتنوعة. ومن الضروري أن ندرك القيمة والقيمة المتأصلة لكل فرد، بغض النظر عن خلفيته الثقافية أو معتقداته. وهذه الفكرة تتجاوز الحدود وتؤكد أهمية التضامن بين المجتمعات المختلفة. وعلى الرغم من أن النسبية الثقافية تدعو إلى قبول وفهم الممارسات الثقافية المتنوعة، فلا ينبغي استخدامها كمبرر لانتهاك حقوق الإنسان الأساسية أو كرامته. وفي حين أنه من الضروري تقدير تفرد كل ثقافة، إلا أن هناك بعض القيم العالمية التي يجب الحفاظ عليها لضمان رفاهية واحترام جميع الأفراد. ومن خلال التأكيد على احترام الكرامة الإنسانية كمبدأ عالمي، يمكننا سد الفجوة بين الاختلافات الثقافية وتعزيز الشعور بالوحدة بين البشر.

في عالم جعلت فيه العولمة الناس من خلفيات مختلفة أقرب إلى بعضهم البعض

47. HANN, C. (2011). MILITANT LIBERAL RATIONALISM - ERNEST GELLNER'S SWASHBUCKLING AUSTERITY PACKAGE [Review of Ernest Gellner: An Intellectual Biography, by J. A. Hall]. European Journal of Sociology / Archives Européennes de Sociologie / Europäisches Archiv Für Soziologie, 52(3), 592-598.

من أي وقت مضى، فمن الأهمية بمكان أن ننمي عقلية التعاطف والرحمة تجاه بعضنا البعض. ومن خلال الاعتراف بكرامة كل فرد واحترامها، بغض النظر عن تراثه الثقافي، يمكننا إنشاء مجتمع أكثر شمولاً وتناغماً حيث يشعر الجميع بالتقدير والاحترام. علاوة على ذلك، فإن تعزيز احترام الكرامة الإنسانية في جميع الثقافات يمكن أن يساعد في مكافحة التمييز والتحيز القائم على الصور النمطية أو المفاهيم الخاطئة حول مجموعات معينة. ومن خلال الاعتراف بالإنسانية الموجودة في كل شخص نلتقي به، يمكننا كسر الحواجز التي تفرقنا والعمل على بناء عالم أكثر إنصافاً حيث تسود العدالة للجميع.

إن التمسك بمبدأ احترام الكرامة الإنسانية في جميع الثقافات أمر ضروري لتعزيز التسامح والعدالة والمساواة والتضامن، وفي نهاية المطاف خلق مجتمع أكثر تعاطفا حيث يتم الاحتفاء بالتنوع بدلا من الخوف منه. ومن خلال تبني هذه القيمة العالمية، يمكننا تجاوز الحدود الثقافية والعمل من أجل تعايش أكثر سلاماً بين المجتمعات المختلفة حول العالم.

الخاتمة:

في الشبكة المعقدة من التفاعلات البشرية، يمثل مفهوم الموازنة بين النسبية الثقافية والقيم العالمية معضلة صعبة. فمن ناحية، تؤكد النسبية الثقافية على أهمية فهم واحترام الأعراف والممارسات الثقافية المختلفة. فهو يدرك أن ما قد يعتبر مقبولاً أو أخلاقياً في ثقافة ما قد لا يكون صحيحاً بالضرورة في ثقافة أخرى. ويدعو هذا المنظور إلى التسامح والانفتاح والتعاطف تجاه أساليب الحياة المتنوعة. ومن ناحية أخرى، يُنظر إلى القيم العالمية مثل العدالة والمساواة والتضامن واحترام كرامة الإنسان على أنها مبادئ أساسية ينبغي تطبيقها عالمياً عبر جميع الثقافات. وتتجاوز هذه القيم الحدود الثقافية وتكون بمثابة أساس لتعزيز الانسجام والتعاون بين الأفراد من خلفيات مختلفة. إنها توفر أرضية مشتركة لمعالجة قضايا الظلم الاجتماعي والتمييز وعدم المساواة على نطاق عالمي.

ويكمن التحدي في إيجاد توازن دقيق بين هذين المنظورين. وفي حين أنه من الأهمية بمكان تقدير التنوع الثقافي والاحتفال به، فمن المهم بنفس القدر دعم القيم العالمية التي تعزز العدالة والرحمة والتفاهم المتبادل. ويتطلب تحقيق هذا التوازن التفكير النقدي، والتأمل الذاتي، والاستعداد للانخراط في حوار هادف مع الآخرين. وأحد الأساليب للتغلب على هذا التعقيد هو ممارسة الاستماع النشط والتعاطف. ومن خلال الاستماع بنشاط إلى وجهات نظر الآخرين دون حكم أو تحيز، يمكننا الحصول على فهم أعمق لقيمهم ومعتقداتهم. وهذا يمكن أن يساعدنا على سد الفجوات الثقافية وإيجاد أرضية مشتركة على أساس المبادئ المشتركة للعدالة والمساواة. علاوة على ذلك، فإن تعزيز الشعور بالتضامن بين الأفراد من خلفيات متنوعة يمكن أن يساعد في تنمية الشعور بالوحدة وسط الاختلافات. ومن خلال الوقوف معاً لدعم القيم العالمية مثل حقوق الإنسان والكرامة، يمكننا إنشاء مجتمع أكثر شمولاً يشعر فيه الجميع بالتقدير والاحترام.

إن تحقيق التوازن بين النسبية الثقافية والقيم العالمية يتطلب منا أن نبحر في نسيج التجربة الإنسانية المعقد بالتواضع والرحمة. ومن خلال تبني التنوع والقواسم المشتركة في تفاعلاتنا مع الآخرين، يمكننا العمل على بناء عالم أكثر عدلاً وإنصافاً للجميع. والنقاش حول القيم العابرة للثقافات، والتسامح، والعدالة والمساواة، والتضامن، والنسبية الثقافية، والعالمية، واحترام كرامة الإنسان، قد سلط الضوء على تعقيدات التعامل مع المجتمعات المتنوعة. ومن الواضح أن كلاً من النسبية الثقافية والعالمية يلعبان أدواراً حاسمة في تعزيز التفاهم والوئام بين الثقافات المختلفة.

وتكمن أهمية النسبية الثقافية في الاعتراف بالمعتقدات والممارسات الفريدة لكل ثقافة واحترامها دون فرض القيم الخاصة بها. وهذا يعزز التسامح والعدالة في المجتمعات المتنوعة من خلال الاعتراف بصحة وجهات النظر المختلفة. وفي الوقت نفسه، تشكل القيم العالمية، مثل احترام الكرامة الإنسانية، أرضية مشتركة لتعزيز التضامن بين الثقافات المختلفة. ومن الضروري تحقيق التوازن بين النسبية الثقافية والقيم العالمية لضمان معاملة جميع الأفراد على قدم المساواة والإنصاف. ومن خلال احتضان التنوع مع التمسك بالمبادئ الأساسية للعدالة والمساواة، يمكننا إنشاء

مجتمع أكثر شمولاً حيث تُحترم جميع الثقافات. فمن خلال تبني النسبية الثقافية والقيم العالمية يمكننا تعزيز عالم يسود فيه التسامح والعدالة والتضامن واحترام الكرامة الإنسانية عبر جميع الثقافات. ولن نتمكن حقا من تحقيق الانسجام في مجتمعاتنا المتنوعة إلا من خلال إيجاد هذا التوازن الدقيق.

يمكن أن تلعب القيم عبر الثقافات دوراً مهماً في تطوير ونشر أنظمة الذكاء الاصطناعي (AI). ويتم تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي وتنفيذها في جميع أنحاء العالم، ومن المهم التأكد من تطويرها واستخدامها بطرق تتماشى مع القيم العابرة للثقافات. فعلى سبيل المثال؛ يمكن تطبيق قيمة الكرامة الإنسانية على الذكاء الاصطناعي من خلال ضمان تصميم أنظمة الذكاء الاصطناعي مع التركيز على رفاهية الإنسان وعدم انتهاكها لحقوق الإنسان، ويمكن تطبيق قيمة التعاطف على الذكاء الاصطناعي من خلال ضمان استخدامه للمساعدة في مواجهة التحديات الاجتماعية والبيئية، مثل تغير المناخ والفقر والرعاية الصحية. كما يمكن تطبيق قيمة العدالة والمساواة على الذكاء الاصطناعي من خلال ضمان تطويره بطرق لا تديم التفاوتات الاجتماعية القائمة أو تخلق تفاوتات جديدة.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تساعد القيم عبر الثقافات في ضمان تطوير الذكاء الاصطناعي واستخدامه بطريقة مسؤولة وأخلاقية. ويمكن كذلك أن يشمل ذلك ضمان شفافية الذكاء الاصطناعي وخضوعه للمساءلة والرقابة البشرية. كما يمكن أيضاً أن يشمل معالجة قضايا التحيز والتمييز في أنظمة الذكاء الاصطناعي، والتأكد من مشاركة فوائد الذكاء الاصطناعي بشكل عادل عبر المجتمعات والثقافات المختلفة. وبشكل عام، يمكن أن توفر القيم عبر الثقافات إطاراً لتطوير ونشر أنظمة الذكاء الاصطناعي التي تتوافق مع المبادئ العالمية وتعزز رفاهية جميع الأشخاص، بغض النظر عن خلفيتهم أو ثقافتهم.

المصادر:

• أولاً: المصادر باللغة العربية

- توعية الطلبة بقيم التسامح وقبول الآخر: دليل مرجعي (nap) (2023):
- عبد الحميد أحمد أبو سليمان (2002). الإنسان بين شريعتين رؤية قرآنية لمعرفة الذات ومعرفة الآخر ،123 Islāmīyat al-ma'rifah, 7(28).
- ملكاوي، فتحي (2004). التحيز في الفكر التربوي الغربي 181 , (37-38)10 Islāmīyat al-ma'rifah,.

• ثانياً: المصادر باللغة الإنجليزية

- Antonio, R. J. (1989). The Normative Foundations of Emancipatory Theory: Evolutionary Versus Pragmatic Perspectives. American Journal of Sociology, 94(4)
- Appleby, R. S. (1997). [Review of Civil Society: Theory, History, Comparison., by J. A. Hall]. Contemporary Sociology, 26(2),
- Al-Malki, A., & Kaufer, D. (2008). [Review of Global Englishness and Transcultural Flows, by A. Pennycook]. Language in Society, 37(3)
- Atkinson, W. (2007). Anthony Giddens as Adversary of Class Analysis. Sociology, 41(3)
- Buddington, S. A., & Esmail, A. M. (2017). Ethnicity: Cultural Competence and Social Work Practice among College and University Students. Race, Gender & Class, 24(1-2).
- Dallmayr, F. (2002). "Asian Values" and Global Human Rights. Philosophy East and West, 52(2),
- EISER, A. R. (1998). Violence and Transcultural Values. In S. G. FRENCH, W. TEAYS, & L. M. PURDY (Eds.), Violence against Women: Philosophical Perspectives, Cornell University Press.
- Kim, H. J., & Sharman, J. C. (2014). Accounts and Accountability: Corruption, Human Rights, and Individual Accountability Norms. International Organization, 68(2),
- McKenty, M. (1992). Cultural appropriation. Off Our Backs, 22(10),
- Springer, M. L. (2016). Effective Communication Skills. In Project and Program Management: A Competency-Based Approach, Third Edition, Purdue University Press.
- Iheduru, O. (2006). Social Values, Democracy, and the Problem of African American Identity. Journal of Black Studies, 37(2).
- Johansson, M. S. (2016). Making Sense of Genre and Style in the Age of Transcultural Reproduction. International Review of the Aesthetics and Sociology of Music, 47(1)
- Taylor, D. (1991). Transculturation, Performing Arts Journal, 13(2)

- Siegel, H. (1999). Multiculturalism and the Possibility of Transcultural Educational and Philosophical Ideals. Philosophy, 74(289)
- Zhou, G. (2005). The Chinese Renaissance: A Transcultural Reading. PMLA, 120(3)
- Schwartz, M. S. (2005). Universal Moral Values for Corporate Codes of Ethics. Journal of Business Ethics, 59(1/2)
- Sakamoto, I. (2007). AN ANTI-OPPRESSIVE APPROACH TO CULTURAL COMPETENCE. Canadian Social Work Review / Revue Canadienne de Service Social, 24(1)
- Wells, M. I. (2000). Beyond Cultural Competence: A Model for Individual and Institutional Cultural Development. Journal of Community Health Nursing, 17(4)
- Rice, M. F. (2007). Promoting Cultural Competency in Public Administration and Public Service Delivery: Utilizing Self-Assessment Tools and Performance Measures. Journal of Public Affairs Education, 13(1)
- Wallace, W. L. (1990). Rationality, Human Nature, and Society in Weber's Theory. Theory and Society, 19(2), 199-223
- Gane, N. (1997). MAX WEBER ON THE ETHICAL IRRATIONALITY OF POLITICAL LEADERSHIP. Sociology, 31(3)
- McIntosh, D. (1983). Max Weber as a Critical Theorist. Theory and Society, 12(1),
- Nielsen, G. (1995). Bakhtin and Habermas: Toward a Transcultural Ethics. Theory and Society, 24(6),
- Mahoney, J. (2008). Liberalism and the Moral Basis for Human Rights. Law and Philosophy, 27(2)
- Sachsenmaier, D. (2006). Global History and Critiques of Western Perspectives. Comparative Education, 42(3)
- Roberts, J. M. (2012). Discourse or Dialogue? Habermas, the Bakhtin Circle, and the question of concrete utterances. Theory and Society, 41(4)
- Piercey, R. (2004). Ricoeur's Account of Tradition and the Gadamer: Habermas Debate. Human Studies, 27(3)
- Mellor, P. A. (1993). Reflexive Traditions: Anthony Giddens, High Modernity, and the Contours of Contemporary Religiosity. Religious Studies, 29(1)
- Moraru, C. (2001). The Global Turn in Critical Theory. Symplok, 9(1/2)
- Gluck, M. (1993). [Review of Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age, by A. Giddens]. History and Theory, 32(2)
- Leask, N. (2013). Loss and Permanence [Review of The Scots Imagination and Modern Memory, by A. Blaikie]. History Workshop Journal, 75,

- JAYARAM, N. (2012). Identity, Community, and Conflict: A Survey of Issues and Analyses. Economic and Political Weekly, 47(38), 44-61.
- Mabry, T. J. (2015). Muslim Nations. In Nationalism, Language, and Muslim Exceptionalism (pp. 17-33). University of Pennsylvania Press.
- Mabry, T. J. (2015). Muslim Nations. In Nationalism, Language, and Muslim Exceptionalism (pp. 17-33). University of Pennsylvania Press.
- HANN, C. (2011). MILITANT LIBERAL RATIONALISM - ERNEST GELLNER'S SWASHBUCKLING AUSTERITY PACKAGE [Review of Ernest Gellner: An Intellectual Biography, by J. A. Hall]. European Journal of Sociology / Archives Européennes de Sociologie / Europäisches Archiv Für Soziologie, 52(3)
- Costelloe, T. M. (1996). Between the Subject and Sociology: Alfred Schutz's Phenomenology of the Life-World. Human Studies, 19(3), 247-266.
- Peritore, N. P. (1975). Some Problems in Alfred Schutz's Phenomenological Methodology. The American Political Science Review, 69(1), 132-140.
- Harrington, A. (2000). Alfred Schutz and the "Objectifying Attitude." Sociology, 34(4), 727-740.
- Zhao, S. (2004). Consociated Contemporaries as an Emergent Realm of the Lifeworld: Extending Schutz's Phenomenological Analysis to Cyberspace. Human Studies, 27(1), 91-105.
- Straßheim, J. (2016). Type and Spontaneity: Beyond Alfred Schutz's Theory of the Social World. Human Studies, 39(4), 493-512.

تأثير العولمة على الحضارة: رؤية أولية

أ. م. د. خضير عباس أحمد النداوي
كلية الفارابي - جامعة بغداد - العراق

الملخَّص:

ظهرَّ مُصطلح العولمة، وفقاً لما يتمُ تداوله في العصر الحديث، منذُ ستة عقود خلت وتحديداً في عام 1959م، إلا إنَّ العولمة كتطبيق عملي، سبقت المفهوم المُعاصر ولسنواتٍ طويلة جداً إذْ كان لكل حضارة من الحضارات القديمة "عولمتها الخاصة بها"، والتي حاولت إستخدام أدواتها الحضارية المتاحة للتأثير بالبيئة المُحيطة بها، وفقاً لتطورات الظروف الذاتية والموضوعية التي أحاطت بها. معَّ تفَّوق الحضارات الغربية المُعاصرة، وبخاصة الحضارة الأمريكية والتي إستخدمت ظاهرة العولمة لنشر إنجازاتها وتقاليدها العلمية والثقافية والاجتماعية في غالبية دول العالم، وقد تضمن البحث الموسوم (تأثير العولمة على الحضارة: رؤية أولية) المقدمة وثلاثة مباحث. تناول المبحث الأول: مفهوم العولمة لغة واصطلاحاً. وتضمن المبحث الثاني إلى ظاهرة العولمة بين التطور والتأثير. واستعرض المبحث الثالث التداعيات السلبية للعولمة على الحضارة في غالبية ميادين الحياة، وبخاصة في الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية. واختتم البحث بالملاحظات الختامية، ولعل أهمها، إنَّ في العالم ثمة حضارات أخرى، كالحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية، والحضارة الصينية، والحضارة الروسية، والحضارة الهندية مما يصعب من الناحية العملية تجاوز تأثيرات تلك الحضارات في مجتمعاتها الحالية والدول الأخرى.

Globalization's impact on civilization: a preliminary vision

Prof. Khudair Abbas Ahmed Al-Nadawi
Al-Farabi University College - Baghdad - Iraq

Abstract:

The term "globalization", as it is commonly understood today, emerged six decades ago, specifically in 1959. However, globalization as a practical concept predates its modern definition by many years. Each ancient civilization had its own form of "globalization", using the tools and resources available to influence their surroundings, shaped by the unique circumstances they faced. With the rise of modern Western civilizations, particularly American civilization, globalization became a means to spread their achievements, traditions, and scientific, cultural, and social values across much of the world.

The research, titled The Impact of Globalization on Civilization: An Initial Perspective, includes an introduction and three main sections. The first discusses the concept of globalization both linguistically and technically. The second explores globalization as a phenomenon, focusing on its development and influence. The third examines the negative impacts of globalization on civilization, particularly in political, economic, military, and social domains.The study concludes with key observations, most notably that other civilizations-such as the Islamic, European, Chinese, Russian, and Indian civilizations-continue to exert significant influence, making it practically impossible to overlook their effects on their societies and the wider world.

المقدمة:

تتجلى أهمية مفهوم الحضارة، لأي أمة في التأريخ، كونه يعكس مضامين ودلالات واسعة ومُتشعبة جداً، وهو شديد الارتباط مع حركة مُجتمع مُبدع في غالبية ميادين الحياة ومع توفر بيئة جغرافية مواتية في مرحلةٍ تأريخية حاسمة. ومما زادَّ من أهمية الموضوع إنَّ مُخرجات أي حضارة، وبغض النظر عن التفاصيل، قد تجسدت في حُزمةٍ من القيم الروحية، سواءً أكانت مشاعر دينية، سماوية أو وضعية، أم مجموعة من القيم والتقاليد والقوانين الاجتماعية فضلاً عن الترابط الوثيق مع مجموعة كبيرة أخرى من القيم المادية اللامعة، مُعبراً عنها في مختلف مُعطيات البناء الحضاري.

وعلى الرغم من اختلاف عُلماء التاريخ والآثار في تحديد أعداد الحضارات في العالم منذُ أقدم العصور وحتى الوقت الحاضر، وتباين الظروف الذاتية والموضوعية لنشوء وتطور كل حضارة، إلا إنَّ مراحل التطور الحضاري لأي منها، عكست وجود بعض السلاسل المُترابطة مع الحضارات العالمية، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنَّ لكل حضارة خصوصية مُعينة مثلتَّها بصمات مُتفردة لها في مُختلف الميادين. وقد تجلى ذلك واضحاً منذ أفول عصر القرون الوسطى وبداية عصر النهضة الحديثة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

ومعَّ أنَّ التطبيقات العملية لظاهرة العولمة المعاصرة، كجزء مُعبرٍ عن الإبداعات الحضارية ، حيث تزامن انتشارها مع ظهور عصر النهضة الحديثة، ومَّثلت مرحلة مُترابطة ومتداخلة مع مراحل التطور الحضاري الذي شهدته الحضارة الغربية المُعاصرة، إلا إنها تميزت بالانتشار السريع على المستوى الدولي، والذي وفرته لها الابتكارات العلمية في مجال التطور التكنولوجي، وبخاصة الابتكارات العلمية في ميداني المواصلات والاتصالات الحديثة، وانعكس جانباً من تجلياتها الروحية والمادية، سواءً أكان ذلك في عناصر قوتها الإيجابية أم في مكامن وهنها السلبية على مُختلف مُجتمعات العالم المعاصر وبخاصة منذُ مُنتصف القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر.

المبحث الأول:

- **مفهوم العولمة:**

العولمة لغة: يعَّود استخدام مُصطلح العولمة في اللغة العربية إلى ما عقب ترجمة المصطلح عن اللغة الإنكليزية (Globalization). والعولمة هي واحدة من ثلاث كلمات عربية جرى طرحها ترجمةً للمصطلح الإنكليزي آنف الذكر، والكلمتان الأخريان هما: "الكوكبية" وقد فضَّلَ استخدامها عدد من العلماء العرب ومنهم د. إسماعيل صبري عبدالله. ومصطلح "الكونية"، والتي أسهم في شيوع استخدامها المفكر المصري السيد ياسين. والعولمة في اللسان العربي من كلمة "العالم" ويتصل بها فعل "عولم" على صيغة "فوعل"، وهي من أبنية الموازين الصرفية في اللغة العربية[1]. وتتفق أقدم المعاجم في اللغة العربية بشأن إرجاع الكلمة إلى أصولها الأولى وهي كلمة (العالم) التي اشتق منها مُصطلح (العولمة)، فيحدد ابن منظور في لسان العرب كلمة (العالم) بأنها تعني: "العالمون": وهم أصناف الخلق. والعالم: الخلق كله، وقيل هو ما احتواه بطن الفلك، وقيل: جمع العالم الخلق العوالم، وفي التنزيل: الحمد لله رب العالمين، ومعنى العالمين كل ما خلق الله، وهو "جمع عالم"[2].

العولمة اصطلاحاً: مع إنَّ مُصطلح "العولمة" لم يُصاغ إلا في النصف الثاني من القرن العشرين إلا أنه يتمتع بوجود راسخ. ففي اللغة الإنجليزية يعود تاريخ الاسم "globe" إلى القرن الخامس عشر وهو مُشتق من الكلمة اللاتينية (globus) وبدأ يشير إلى تمثيل كروي للأرض منذ عدة مئات من السنين. فيما ظهرت كلمة "العولمة" بدلالاتها المُعاصرة لأول مرة في اللغة الإنجليزية في عام 1959م ودخلت قاموس "ويبستر" بعد عامين. وقد أصبح الحديث عن "العولمة" مُنتشراً بين العلماء والأكاديميين، والصحافيين، والسياسيين، ورجال الأعمال، والفنانين، وغيرهم. والآن تشمل المحادثات اليومية الإشارة المنتظمة إلى الأسواق العالمية

1. خضير عباس احمد النداوي، العولمة ...المضامين والدلالات، مجلة الحكمة، تصدر عن دار الحكمة، بغداد، العدد (16) السنة الثالثة، عام 2000م، ص 46.

2. د. مريم خليفة المبروك، العولمة (المفهوم النشأة الابعاد) مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سرت / كلية الآداب/ قسم الفلسفة، المجلد الأول /العدد (3)، 2020، ص 32.

والاتصالات العالمية، والمؤتمرات العالمية، والتهديدات العالمية، والبيئة العالمية وما إلى ذلك. وعندما تكتسب المفردات الجديدة مثل هذه الشعبية الواسعة عبر القارات، واللغات، ومناحي الحياة؛ فهل يمكن تفسير ذلك على أنه مجرد موضة عابرة؟ أم أن الكلمة الجديدة تسلط الضوء على تغيير كبير في العالم، حيث هناك حاجة إلى مُصطلحات جديدة لمناقشة الظروف الجديدة؟ ويبدو من غير المرجح أن يكون الانتشار الحالي للحديث العالمي عرضياً. إذْ إنَّ شعبية مُصطلح (العولمة) تعكس حدساً واسع النطاق بأن العلاقات الاجتماعية المعاصرة تخضع لتحول مهم في شخصيتها. ويتمثل التحدي – بل والحاجة الملحة – في الانتقال إلى ما هو أبعد من الكلمات الطنانة إلى مفهوم مُحكم. وباعتبارها أداة تحليلية مصممة عمداً ظهرت مفاهيم العولمة بشكل مُتزامن ومُستقل تقريباً في العديد من المجالات الأكاديمية في أوائل الثمانينيات من القرن العشرين، وبخاصة في علم الاجتماع وفي العلاقات الدولية، وقد التقط خبراء الاقتصاد والجغرافيون وغيرهم هذا المفهوم في وقت لاحق في ثمانينيات القرن الماضي. ومنذ التسعينيات، أصبحت العولمة موضوعاً في مختلف التخصصات الأكاديمية[3]. وقد أطلق مُصطلح العولمة على عملية التداخل الثقافي بين أنحاء العالم المختلفة، وما ينتج عن ذلك من تأثير ثقافي وسياسي واقتصادي.

وتحدث العولمة نتيجة التطور الهائل في وسائل الاتصال بين المجتمعات والدول وانتقال المؤثرات من بلد إلى آخر بسرعة لم يسبق لها مثيل. فالاتصالات الهاتفية عبر الأقمار الصناعية والمحطات الفضائية التلفازية وانتقال الناس عبر المواصلات السريعة من طائرات وغيرها، كل هذه عوامل تزيد من تداخل الشعوب والثقافات ببعضها البعض. ونموذج الأخبار التي تنقلها الشبكات التلفازية المنتشرة عالمياً مثال على توحد العالم في معلومات إخبارية واحدة تقريبا[4].

3. Jan Aart Scholte, Globalization a critical introduction, Second Edition (New York: Palgrave Macmillan ,2005), P 50.

4. مجموعة من العلماء العرب، الموسوعة العربية العالمية، المجلد (16)، ط2 (الرياض: طبع مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999)، ص 721.

وهناك من الباحثين من يعود بالعولمة، كنظام اقتصادي وإعلامي وأيديولوجي إلى "مبادرة عكست رؤية أمريكية" تقدم بها بعض المُنظرين في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1965م، طرحوا فيها ثلاث قضايا جعلوا منها برنامج عمل يضمن للولايات المتحدة الأمريكية الهيمنة على العالم، وهي كما يأتي:

- **القضية الأولى،** تتعلق باستعمال السوق العالمية كأداة للإخلال بالتوازن في الدول القومية، في نظمها وبرامجها الخاصة بالحماية الاجتماعية.
- **القضية الثانية،** تخص الإعلام بوصفه القضية المركزية التي يجب الاهتمام بها لإحداث التغيرات المطلوبة على الصعيدين المحلي والعالمي.
- **القضية الثالثة،** وتتعلق بالسوق كمجال للمنافسة، لقد ذهبوا في هذه المسألة مذهباً قصياً، فقالوا إنَّ "السوق" يجب أنْ يصبح مجالاً لـ(اصطفاء الأنواع) وتبنوا بصورة صريحة النظرية الداروينية التي تقول "البقاء للأصلح" في مجال البيولوجيا، داعين إلى اعتمادها في مجال الاقتصاد على المستوى العالمي. وهكذا فبدلاً من الحدود الوطنية والقومية تطرح أيديولوجية العولمة حدوداً أخرى غير مرئية ترسمها شبكات الهيمنة العالمية على الاقتصاد والأذواق الثقافية والاجتماعية[5].

كما تُعرف العولمة بأنها: الأمركة أو الهيمنة، وهي ليست مجرد هيمنة سياسية واقتصادية فحسب، ولكنها أبعد من ذلك بكثير، حيث تمتد للسيطرة على ثقافات الشعوب والهوية القومية والوطنية، وهي بالتالي تحمل ثقافة غربية أمريكية تغزو بها ثقافات المجتمعات الأخرى.

وتعرف العولمة أيضاً بأنها: "تلك العملية التي يتم بواسطتها إقامة عالم بلا حدود اقتصادية أو ثقافية أو سياسية، معتمدة في ذلك على التقدم الهائل في تكنولوجيا المعلومات والاتصال وسيطرة الليبرالية الجديدة وأعضاء القطيع الإلكتروني، والمؤسسات والمنظمات الدولية، والمؤسسات الخاصة والشركات متعدية الجنسيات، وصندوق النقد والبنك الدوليين، ووكالات الأمم المتحدة في مجالات التنمية والثقافية وغيرها". فيما ذهب آخرون باعتبار العولمة ظاهرة تهدف إلى دمج وتوحيد العالم

5. د. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، ط1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م)، ص 144

سياسياً واقتصادياً واجتماعيا وثقافياً دون اعتبار للحدود الجغرافية والسياسية، ودون اهتمام بالثقافة والهوية القومية، من خلال مجموعة من الآليات تستخدمها الدول الكبرى الأقوى للهيمنة على الدول الضعيفة[6].

المبحث الثاني:

- **ظاهرة العولمة بين التطور والتأثير:**

مراحل العولمة:

رافقت ظاهرة العولمة، ومنذ أقدم العصور، الحضارات الإنسانية، وجاءت كل حضارة لكي تقوم بفرض عولمتها حيناً من الزمن، فالعولمة كلمة حديثة لكن معناها وفحواها قديم جداً يمتد لسنوات طويلة خلت من التأريخ، حيثُ بدأت تطبيقات ظاهرة العولمة في الحضارات القديمة، ابتداءً من الحضارة المصرية، إذْ كان لكل عصر من العصور الفرعونية عولمتهِ الخاصة به. وظهرت العولمة في حضارة وادي الرافدين من خلال شريعة حمورابي (1772 ق.م)، وهي أول قانون مُسجل في التاريخ، كما إنَّ قدماء الصينيين كانوا من أكثر الشعوب مدنية، ومن مظاهر المدنية العولمة التي أرستها مبادئ وقيم الفيلسوف (كونفوشيوس 560ق.م). كما اشتركت الحضارة الرومانية القديمة في نقل الحضارة من الشرق إلى الغرب الأوروبي[7]. وعموماً يُمكن إيجاز مراحل العولمة المُعاصرة بثلاث مراحل، وكما يأتي:

- **المرحلة الأولى:** بدأ انتشار ظاهرة العولمة على الصعيد العالمي في القرن الخامس عشر[8]، وتحديداً منذُ عام 1492م، مع الاكتشافات الجغرافية الكبرى والرحلات

6. أ.د. سعيد محمود موسى عطية و د. حسن مصطفى حسن سليم، العولمة وتداعياتها على الأمن الفكري العربي والإسلامي، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الرابع، كانون الثاني/ يناير 2021م، إصدار كلية التربية في جامعة الزقازيق، ص 28.

7. لمزيد من التفاصيل انظر: السيد أحمد فهمي، ماهي العولمة كإحدى المتغيرات العالمية المعاصرة، المجلة الافريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن الأكاديمية الافريقية للدراسات المتقدمة تركيا، العدد (3) 2022، ص 107.

8. د. جورج فريدمان، الأعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، ترجمة أ.د. منذر محمود محمد، (دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2019)، ص 50.

الاستكشافية، وكانت النتيجة إقامة علاقات جديدة ولأول مرة، مع أجزاء مُختلفة من العالم، كانت معزولة بعضها عن بعضٍ حتى ذلك الوقت بالتواصل فيما بينها، ولعلَّ ذلك كان أسوأ كارثة عرفتها الشعوب الأصلية في قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية (أي الشعوب الهندية الأمريكية، حيث تم إبادة الشعوب والحضارة في نصف الكرة الأرضية الغربي).

- **المرحلة الثانية:** حصلت في القرن التاسع عشر مع الثورة الصناعية، إذْ قادت سلسلة من الاكتشافات التكنولوجية إلى إحداث تغيير في علاقات الزمان والمكان، مثل التلغراف، والهاتف، والمحركات البخارية، الأمر الذي أتاح المجال أمام ظهور السكك الحديدية، والتي قلبت نظام النقل البري القائم رأساً على عقب. كما أدت السفن البخارية إلى إحداث ثورة في وسائل النقل البحرية (وفي الحروب أيضاً)، وفي ذات الاتجاه أدت عربات الدفع الذاتي إلى إحداث تغيير في العلاقة مع المكان. ولن يطول الأمر كثيراً حتى أحدثت الطائرات أيضاً قطيعة في علاقة الإنسان مع الفضاء، مُغيّرة مفهومي الزمان والمكان.

- **المرحلة الثالثة:** تميزت بتحريك واسع للمعاملات المالية، والاستثمارات وتدفقات رؤوس الأموال من خلال ما أنجزته وسائل الاتصال الحديثة من تقليص مُذهل لحدود الزمان والمكان، وانخفاض فاتورة هذه الوسائل[9]. عززتها ثورة الاتصالات الحديثة، وبخاصة عقب اختراع الإنترنت ومُختلف وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة التي نقلت المعلومات وأتاحت الفرص للاستفادة منها في مختلف ميادين الحياة[10].

أولاً:الميدان السياسي

بعد أربعمائة وتسعة وتسعين عاماً على رحلة "كولومبس" انهار الاتحاد السوفيتي السابق عام 1991م، مما أدى إلى وضع نهاية لمرحلة تاريخية كاملة.

9. باسكال بونيفاس، الجيوبوليتيك مقاربة لفهم العالم في 48 مقالاً، ترجمة إياد عيسى (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2020)، ص 217.

10. Jan Aart Scholte, Globalization a critical introduction, Second Edition (New York: Palgrave Macmillan, 2005), P 258.

فللمرة الأولى على امتداد خمسمائة عام، لم تعد القوة متموضعة في أوروبا، كما إنَّ أوروبا لم تعد تمثل قطب الرحى في المنافسة العالمية. وبعد عام 1991م، أضحت الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى الوحيدة في العالم، كما أضحت مركز النظام العالمي الجديد[11].

إنَّ ردحاً طويلاً من الزمن قد انقضى كانت فيه العلاقات الدولية مُجرد علاقات بين الدول، وفي السنوات الأخيرة، لابدَّ من الاعتراف، وكنتيجة للتأثيرات الإيجابية لظاهرة العولمة، جرى التوسع لتشمل جهات أخرى (غير حكومية)، ومنها على سبيل المثال، الشركات الكبرى، وغوغل، والفيفا، ومنظمة العفو الدولية، ومباريات الرياضة الدولية، والتي لا تمت بصلة إلى مفهوم الدولة، وعلى الرغم من ذلك برزت ذات وزن حقيقي في العلاقات الدولية[12].

ثانياً: الميدان الاقتصادي

تزامنت مع انتشار ظاهرة العولمة، وبخاصة منذ الربع الأول من القرن الحادي والعشرين ظهور العديد من المؤشرات في هذا الميدان لعل أهمها الآتي:

1. **القوة الاقتصادية الأمريكية:** بلغت نفوس الولايات المتحدة الأمريكية (334) مليون نسمة مقارنة بإجمالي سكان العالم والبلغ نحو (8.02) مليار نسمة في عام 2023[13] فيما بلغ الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة الأمريكية، وهو أحد أهم مؤشرات القوة الاقتصادية للدولة ما قيمته (27.360) تريليون دولار أمريكي لعام 2023م، وبذلك احتلت الولايات المتحدة الأمريكية المرتبة الأولى عالمياً مقارنة بإجمالي الناتج المحلي العالمي البالغ (105.44) تريليون دولار للسنة ذاتها[14]. أي

11. د. جورج فريدمان، الأعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، مصدر سابق، ص 53.

12. باسكال بونيفاس، الجيوبوليتيك مقاربة لفهم العالم في 48 مقالاً، ترجمة أياد عيسى (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2020)، ص19و41.

13. مجموعة البنك الدولي، تعداد السكان الإجمالي، موقع البنك الدولي، (تاريخ دخول الموقع: 5/9/2024)، في الإنترنت وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/SP.POP.TOTL?view=chart

14. مجموعة البنك الدولي، إجمالي الناتج المحلي، موقع البنك الدولي (تاريخ دخول الموقع: 5/9/2024) في الإنترنت، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.CD?view=chart

يُشكل الأمريكيون ما نسبته (4%) بالمائة فقط من إجمالي سكان العالم، إلا إنهم ينتجون ما نسبته (25.7%) من مجمل الإنتاج العالمي من البضائع والخدمات.

2. **التطور السريع للتجارة الدولية:** انعكس تأثير ظاهرة العولمة في القطاع التجاري على الصعيد الدولي خلال المدة (1950 - 2022) بشكل جلي وكما تؤكده إحصاءات مُنظمة التجارة الدولية عن تطور نمو حجم التجارة الدولية خلال المدة (1950 - 2022)، إذْ استمر تصاعد أرقام إجمالي التجارة الدولية من (100) بليون دولار عام 1950م، لينتقل إلى (2171) بليون دولار في عام 2000م، ولتصل في نهاية عام 2022 إلى (4473) بليون دولار أمريكي. فقد تضاعف حجم التجارة الدولية بنحو (45) ضعف، أي بنسبة (4500%) عن المُستوى المسجل مع تأسيس منظمة الجات في عام 1950 (انظر الشكل 1) مما يعكس التطور السريع في هذا المضمار.

الشكل (1): تطور حجم التجارة الدولية خلال الفترة (1950 - 2022)

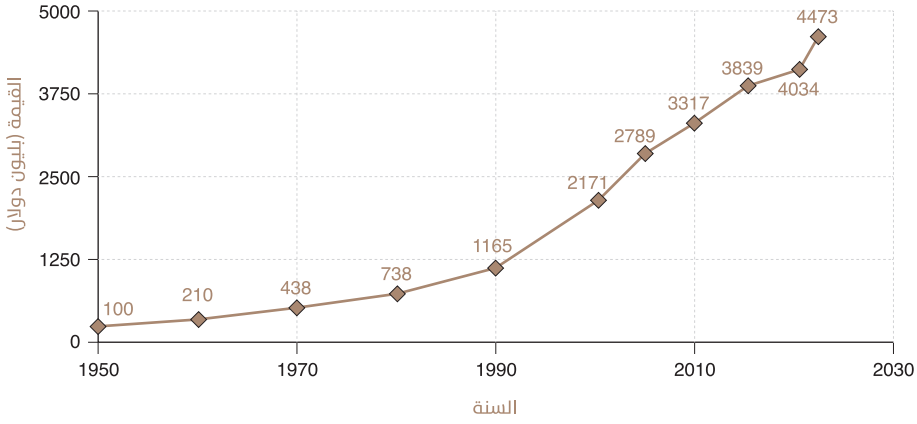

Source: Evolution of trade under the WTO: handy statisticshttps://www.wto.org/english/res_e/statis_e/trade_evolution_e/evolution_trade_wto_e.htm

ومع سرعة حركة العولمة الاقتصادية حول العالم، إلا إنَّ البضائع لا تزال بعيدة كل البعد عن "العولمة الكاملة" رغم انخفاض التعريفات الجمركية للبضائع في معظم دول العالم كنتيجة لمجهودات منظمة التجارة العالمية، إلا إنه لا تزال هناك

العديد من العقبات أمام التجارة الدولية حيث إن بعض القطاعات لا تزال تتمتع بدرجة عالية من الحماية، ومنها على سبيل المثال، المنتجات الزراعية والدعم الموجه للمزارعين في أوروبا وأمريكا الشمالية[15].

3. **الشركات متعددة الجنسيات:** شهد التاريخ الاقتصادي، وبخاصة بعد ظهور الدول القومية في أوروبا بعد القرون الوسطى وجود بعض الشركات العابرة للحدود الوطنية، فمنذ وقت مُبكر من القرن الخامس عشر، بدأت عائلة "فوجر" في أنشطة مالية وتجارية على أساس مُتعدد الجنسيات في عدة أجزاء من قارة أوروبا. إلا إنَّ هذه الشركات اختلفت حالياً عن تلك التي كانت في الماضي من عدة جوانب، لعل أهمها الآتي:

- **الأولى: تعدد المقرات والفروع:** منذُ سنوات طويلة خلت، كانت أغلب الشركات تتخذ من دولة واحدة مقراً لها، تمارس أعمالها التجارية داخل الحدود الإقليمية للدولة، وكان كل أو معظم إنتاجها يتركز هناك. وسرعان ما تغير هذا الموضوع وبشكل كبير جداً، وأضحى ثلث التجارة العالمية على الأقل يتم داخل الشركات متعددة الجنسيات.

- **الثانية: تضخم القدرات المالية للشركات:** حققت الشركات متعددة الجنسيات نجاحاً مُذهلاً. ولعل إحدى الطرق الأكثر دراماتيكية لإظهار درجة نجاحها هي مقارنة الأنشطة الاقتصادية (مثل الرواتب والدخل) للشركات مع الناتج المحلي الإجمالي للدول. فإنَّ العديد من أكبر الوحدات الاقتصادية في العالم هي شركات، وليست دولاً وطبقاً لهذه المقاييس، فإن الإمكانيات الاقتصادية لشركة (إكسون موبيل) أكبر من الإمكانيات الاقتصادية لدولتي الباكستان ونيوزيلندا، وشركة (وول مارت) أكبر من الإمكانيات الاقتصادية لدولتي كوبا وأوروغواي[16].

15. د. عبد الله سراج، العولمة والأزمات الاقتصادية، سلسلة كتيبات تعريفية، العدد (42) (أبو ظبي: صندوق النقد العربي، 2023)، ص 11.

16. Juliet kaarbo and James Lee Ray, Global Politics, tenth edition, (Boston USA: Carlisle Publishing Services ,2011), P 120.

وقبل بضعة عقود من الزمان، كانت شركات النفط وعمالقة التصنيع تحتل المراتب الأولى على المستوى العالمي، فيما تقدمت في السنوات الأخيرة شركات التقنيات الإلكترونية، والتي أضحت (7) منها ضمن الشركات العشر الأولى في العالم. وكلها مقرها في الولايات المتحدة الأمريكية. ومنها على سبيل المثال: شركة مايكروسوفت، ومقرها في الولايات المتحدة الأمريكية، وتحتل المرتبة الأولى عالمياً، وتبلغ قيمتها السوقية (3.342) تريليون دولار أمريكي[17]، أي ما يتجاوز الناتج المحلي الإجمالي لدولة فرنسا والبالغ (3.030) تريليون دولار لعام 2023[18].

ثالثاً: الميدان العسكري

مع تباين تهديدات الأمن القومي بين دول العالم واختلاف إستراتيجيات المواجهة، وفقاً لقدرات القوة والقدرة لهذه الدولة أو تلك، إلا إنَّ الركون لمعيار الإنفاق العسكري ونسبته من الناتج المحلي الإجمالي سواءً على الصعيد الدولي أم لكل دولة من دول العالم، قد يُلخص جانباً من العولمة العسكرية في العالم. إذْ واصل الإنفاق العسكري العالمي نموّه للعام الثامن على التوالي، وبلغ آفاقاً جديدة في عام 2022م، إذْ تزايد هذا الإنفاق بنسبة (19%) في العقد (2013 - 2022) وبنسبة (3.7%) في عام واحد فقط وبلغ نحو (2240) مليار دولار أمريكي، وهذا أعلى مُستوى مُسجّل في قاعدة بيانات سيبري للإنفاق العسكري. لكّن هذه الزيادة المُسجّلة في عام 2022م، لم تمنع من بقاء العبء العسكري العالمي الإنفاق العسكري العالمي كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي العالمي عند مُستوى (2.2%) من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، كما أنفقت الحكومات في جميع أنحاء العالم (2.6%) في المتوسط من ميزانياتها على الإنفاق العسكري[19]. فيما تتقدم الموازنة

17. علي وديع حسن، 7من أكبر 10 شركات في العالم هي شركات تقنية. تعرف عليها، موقع ميناتك، 23 حزيران/يونيو 2024، (تاريخ دخول الموقع: 23/8/2024)، في الإنترنت، وعلى الرابط: https://www.menatech.net/7-%D9%85%D9%86-%D8%A3%D9%83%D8%A8%D8%B1-10-

18. مجموعة البنك الدولي، إجمالي الناتج المحلي موقع البنك الدولي (تاريخ دخول الموقع: 5/9/2024) في الإنترنت، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.CD?view=chart

19. معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي (سيبري)، التسلح ونزع السلاح والامن الدولي، الكتاب لسنوي 2023، ترجمة، عمر سعيد الأيوبي وأمين سعيد الأيوبي، ط1 (بيروت: طبع مركز دراسات الوحدة العربية، 2024)، ص 213.

العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية لتحتل المرتبة الأولى على المستوى الدولي والتي بلغت (886) مليار دولار أمريكي لعام 2024[20].

رابعاً: الميدان العلمي والتكنولوجي

لقد قاد الميدان العلمي قاطرة الابتكارات العالمية والتكنولوجية في مختلف مجالات الحياة، وسرعانَّ ما تجاوزت تأثيرات مخرجاته الحدود الإقليمية للدول المنتجة لهذه التحولات، وأضحى التأثير ذو أبعاد عالمية. ولربما يصعب من الناحية العملية التطرق لتفاصيل تأثير العولمة في هذا المضمار في بحث مُقتضب، مما يتطلب الإيجاز والاشارة لبعض العينات، وكما يأتي:

1. **قطاع الاتصالات:** لقد شهدت الاتصالات العالمية نمواً غير مسبوق في القرن التاسع عشر. وتوحدت الخدمات البريدية عبر العالم. وانتشرت خطوط التلغراف عبر المحيطات منذ خمسينيات القرن التاسع عشر وبفضل هذه الاتصالات، أصبح من الممكن أن تدور المعلومات حول الكوكب في غضون أيام قليلة بدلاً من بضعة أشهر[21]. كما حدث أول إرسال لاسلكي بين البلدان في عام 1899م عبر القناة الإنجليزية. تم استقبال إشارة راديو عبر الأطلسي بنجاح لأول مرة في عام 1901. وتطورت الخدمات العالمية على اللاسلكي منذ عام 1924. وحدث أول اتصال لاسلكي عبر الكرة الارضية فعلياً في كانون الثاني/ يناير 1930، وتحسنت الأمور مع إدخال الكابلات المحورية في ثلاثينيات القرن العشرين، ورغم اختراع التلفاز في عام 1926م، فإن البث ظل محلياً حتى ستينيات القرن العشرين. وظهر الكمبيوتر الرقمي لأول مرة في عام 1946م[22].

20. الكونغرس الأمريكي يقر ميزانية دفاع ضخمة لعام 2024، موقع الجزيرة نت، الدوحة، 14 كانون الأول/ ديسمبر2023 (تاريخ دخول الموقع 23/9/2024) في الانترنت، وعلى الرابط: https://www.alhurra.com/usa/2023/12/14/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9

21. Jan Aart Scholte, Globalization a critical introduction, Second Edition (New York: Palgrave Macmillan ,2005), P, 91.

22. Jan Aart Scholte, ibid, P, 92.

2. **المواصلات:** ساهمت العديد من التطورات الرئيسية في البنية الأساسية العالمية في تعزيز قطاع النقل عبر العالم. وبمرور الزمن أدت قناتا السويس وبنما، اللتان اكتملتا في عامي 1867 و1903 على التوالي، إلى تقليص طول العديد من الرحلات عبر المحيطات بشكل كبير، كما حدث مع إدخال السفن البخارية بدلاً من السفن الشراعية. وفي الوقت نفسه، سهّل بناء السكك الحديدية على نطاق واسع السفر عبر القارات بشكل كبير. وشهد أوائل القرن العشرين ظهور النقل الجوي. وبدأت خدمات البريد الجوي في عام 1918، وتم تحقيق أول رحلة عبر المحيط الأطلسي بدون توقف في عام 1919. وبحلول عام 1957، عبَر عدد كبير من الركاب المحيط الأطلسي بالطائرات[23]. وعلى سبيل المثال، بلغ إجمالي عدد رحلات شركات النقل الجوي المُسجلة على المُستوى العالمي لعام 2021م، استناداً لآخر المُعطيات الإحصائية للبنك الدولي نحو (24) مليار و(54) مليون و(588) ألف و(850) رحلة[24]. ووفقاً لإحصاءات منظمة الطيران المدني الدولية، ارتفع إجمالي عدد الركاب المنقولين جواً إلى (3.3) مليار راكب في عام 2022م[25]. وتعكس أرقام أعداد الرحلات، وأرقام إجمالي المُسافرين، مدى التطور الحضاري الهائل في مضمار النقل الجوي، مما يعكس الترابط العالمي بين شعوب الكرة الأرضية في ظل انتشار ظاهرة العولمة على المستوى الدولي.

3. **تطورات ظهور شبكة الإنترنت:** إنَّ التطورات التي شهدتها شبكة الإنترنت لا تنعزل عن بقية التطورات في مجالات المعلوماتية والإعلام الآلي والاتصالات؛ فتكنولوجيا هذه الميادين كانت دوماً مُرتبطة ببعضها البعض، واستفاد كل ميدان من التطور الذي يحدث في الميدان الآخر. وتعود جذور فكرة ابتكار شبكة الإنترنت لأعمال (Paul Baran) والذي كان يعمل لصالح شركة (Raul Corporation) حيث طلبَ منه سلاح الجو الأمريكي التفكير في مبدأ لشبكة اتصالات غير مركزية يتم توزيع

23. Jan Aart Scholte, ibid, P 93.

24. النقل الجوي، عدد رحلات شركات النقل المسجلة على مستوى العالم، موقع البنك الدولي (تاريخ دخول الموقع 21/9/2024) في الإنترنت، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/IS.AIR.DPRT

25. ICAO Economic Development, The World of Air Transport in 2022, https://www.icao.int /sustainability/WorldofAirTransport/Pages/the-world-of-air-transport-in-2022.aspx

الاتصالات فيها بدون الحاجة إلى مركز رئيسي، والفكرة التي اقترحها (Baran) كانت تحمل عنوان (الاتصالات الموزعة على الشبكات)، وبدأ الجيش الأمريكي يهتم بهذا المفهوم حيث تبنت فكرة (Baran) وكالة أبحاث المشاريع المتقدمة في وزارة الدفاع الأمريكية (ARPA)، واستمر الاهتمام حتى تم ميلاد شبكة (ARPANET) سنة 1969م. ومن ثمَّ اقترح الجيش الأمريكي سنة 1983م على الجامعات استعمال هذه الشبكة، بعدها قامت جمعية العلوم الوطنية (NSF) بفتح خمسة خوادم خارج الولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت الشبكة تدعى الإنترنت، وقد شكل البريد الإلكتروني حتى سنة 1988م أهم خدماتها، ومن ثمَّ جرى ابتكار العديد من البرامج والخدمات الأخرى لشبكة الإنترنت الحالية[26]. ومنها على سبيل المثال، منصات التواصل الاجتماعي، وللعولمة أثار إيجابية ومباشرة من خلال تداول الشعوب التقنية والمعرفة المتاحة وبما يسهم في رفع المستوى الثقافي والحضاري لها. ومنها على سبيل المثال، التعامل مع منصات التواصل الاجتماعي إذ تلعب هذه المنصات دوراً بارزاً في توجيه دفة الأمور في العديد من الدول، حيث تعد بمنزلة أدوات اتصال حيوية لأكثر من (4.6) مليار شخص في جميع أنحاء العالم[27]، أي لما يزيد عن نصف سكان الكرة الأرضية بالوقت الحاضر.

4. **تكنولوجيا الفضاء:** أطلق الاتحاد السوفيتي (السابق) صاروخاً للفضاء يحمل القمر الصناعي" سبوتنيك" وكان أول قمر صناعي يُطلق للفضاء في عام 1957م وبعد مدة وجيزة من السنة ذاتها، استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية إطلاق ثاني قمر صناعي للفضاء في مدار حول الأرض، وكان الهدف الرئيسي للصواريخ والأقمار الصناعية عسكرياً بالدرجة الأولى[28]. وبذلك تم تدشين عصر جديد

26. ابن عون الطيب، أثر شبكة الإنترنت على أداء العامل في المؤسسة الجزائرية، سوناطراك، شهادة ماجستير مقدمة لجامعة الحاج خضر باتنة / معهد العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، الجزائر، 2008، ص 80.

27. تهديد المنصات: مآلات الصدام العالمي المتصاعد بين الحكومات ومواقع التواصل الاجتماعي، موقع إنتريجونال للتحليلات الاستراتيجية، ابوظبي: 22 آب/ أغسطس 2024 (تاريخ دخول الموقع: 2/9/2024) في الإنترنت، وعلى الرابط: https://www.interregional.com/article/%D8%AA%D9%87%D8%AF%D9%8A%

28. د. عبد الحي يحيى زلوم، نذر العولمة، هل بوسع العالم أن يقول لا للرأسمالية المعلوماتية ط1(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999) ، ص 65.

للتنافس العلمي والعسكري ميدانه الفضاء الخارجي. وهنا يكفي مراجعة مُؤشر الأجسام المُطلقة في الفضاء الخارجي التابع لمكتب الأمم المتحدة لشؤون الفضاء الخارجي، والذي أوضح أنَّ هناك (11330) قمراً صناعياً فردياً كان يدور حول الأرض في عام 2023[29].

المبحث الثالث:

- **التداعيات السلبية للعولمة على الحضارة**

اتسمت أنماط الحياة البشرية بالاستمرارية لآلاف السنين بتطبيق أنماط تقدم رتيبة وبدائية في غالبية الميادين وبالذات الاقتصادية منها. فيما حققت الثورات الصناعية التي وقعت في الدول الغربية، والتي بدأت في منتصف القرن الثامن عشر انعطافاً نوعياً ومُتفردا في كل ميادين الحياة، عبر أربع ثورات صناعية، وهي كما يأتي:

- انطلقت الثورة الصناعية الأولى في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في منُتصف القرن الثامن عشر باختراع المحرك البخاري والتوسع باستخدام الطاقة الميكانيكية.
- وبدأت الثورة الصناعية الثانية باختراع الكهرباء في القرن التاسع عشر والعديد من الاختراعات الأخرى والتي أدت إلى زيادة الإنتاج.
- وبدأت الثورة الصناعية الثالثة خلال ثمانينيات القرن العشرين باختراع الإنترنت والبرمجيات الرقمية.
- فيما أطلق المنُتدى الاقتصادي العالمي في دافوس، سويسرا، في عام 2016 اسم "الثورة الصناعية الرابعة" على المرحلة الأخيرة من سلسلة الثورات الصناعية. واعتبرها قيد الانطلاق حالياً. وأكد المؤسس والرئيس التنفيذي للمنتدى د. كلاوس شواب: "بأنَّ حجم التحوُّل ونطاقه وتعقيداته، سيكون مختلفاً عما شهدته البشرية من قبل". وتوقع اقتصاديون أن تبتكر هذه الثورة اقتصادات جديدة،

29. شادي عبد الحافظ، هل تبدأ روسيا الحرب العالمية الثالثة من الفضاء؟ موقع الجزيرة نت، قطر/الدوحة 14/5/2024، (تاريخ دخول الموقع 23/9/2024) في الإنترنت، وعلى الرابط: https://www.aljazeera.net/science/longform/2024/5/14/%D8%A7%D9%84%D8%B9%

تتغير فيها أساليب وطرق ممارسة الأعمال في ظل التطبيقات العملية لظاهرة العولمة وستصبح التكنولوجيا جزءاً لا يتجزأ من حياة الناس وحتى من أجسامهم البشرية وحركتهم التي سترتبط بالكامل بالشبكة الإلكترونية وتكنولوجيا الفضاء الخارجي، وسينتقل الجيل القادم إلى العيش في مدن ذكية يُديرها ذكاء اصطناعي وبتقنية جديدة عالية الجودة[30].

في ضوء ما تقدم، وعلى الرغم مما حققته ظاهرة العولمة من إيجابيات كبيرة جداً على الصعيد العالمي، إلا إنها كانت ولا تزال سبباً في نشر العديد من السلبيات، وعلى كافة المستويات، لعل أهمها الآتي:

أولاً: المستوى السياسي

1. التجاوز عن الحدود الإقليمية للدول: تُمثل التطورات العلمية، وبخاصة الإلكترونية منها، والتي حدثت في مجالات الإعلام، والقنوات الفضائية، واستخدام الإنترنت وحركة وعمل الأقمار الصناعية التي تدور في الفضاء الخارجي على مدار الساعة.

2. التجاوز عن مفهوم (السيادة) لدول العالم، إذْ لا تستطيع الدول منع التأثيرات السلبية لتلك التطورات على حقوقها الوطنية. فإذا استمرت العولمة على المسار الذي يتوقعه كثيرون، فإن حدود الدول سوف تصبح بلا معنى، وسوف تفقد الدول قوتها لصالح جهات فاعلة غير حكومية، ولن تعود (السيادة)، هي المبدأ السائد في السياسة العالمية كما كانت منذ توقيع معاهدة وستفاليا في عام 1648م. ومع إن هذه التطورات حدثت فعلاً، إلا إنَّ بعض المختصين لا زالوا يراهنون على أن الدولة لا تزال قوية، وبكونها قادرة على مقاومة التأثيرات السلبية للعولمة[31].

3. هيمنة النموذج الأمريكي: تتميز الولايات المتحدة الأمريكية، بكونها الدولة الأولى

30. د. جعفر الصائغ، نحن والثورة الصناعية الرابعة، مجلة اتحاد المصارف العربية، العدد 469 ديسمبر 2019، (تاريخ دخول الموقع 16/10/2024) موقع اتحاد المصارف العربية في الانترنت، وعلى الرابط: https://uabonline.org/ar/%D9%86%D8%AD%D9%86-

31. Juliet kaarbo and James Lee Ray, Global Politics, tenth edition, (Boston USA: Carlisle Publishing Services ,2011), P 525.

في العالم في غالبية ميادين الحياة، وأضحت عولَمتها، بلا مُنازع، نموذج مُهيمن ومؤثر على الصعيد الدولي، لاعتبارات عديدة، لعل أهمها الآتي:

- **الاستثمار:** تملك الولايات المتحدة الأمريكية نسبة 30% من أسهم الاستثمار الأجنبيّ المباشر، وهي بذلك تقع في المرتبة الأولى بفارقٍ كبيرٍ عن سواها.
- **العملة الدولية:** يعتبر الدولار الأمريكي هو أساس التبادلات في أسواق المصارف والعملات في غالبية دول العالم.
- **المصارف الدولية:** توجد أربعةٌ من بين المصارف السبعة الأكبر في العالم بحسب القيمة السوقية (هي مصارف أمريكية).
- **الشركات الإعلامية:** الشركات السبع الإعلامية الأعلى تصنيفاً و95% من عائدات وسائل الإعلام العالمية تخص الولايات المتحدة الأمريكية.
- **تجارة الأسلحة:** تبيع الولايات المتحدة الأمريكية ثلاثة أرباع الأسلحة في العالم، كما تقدم مساعداتٍ عسكريةٍ سنوية تبلغ 18 بليون دولار أمريكي وهي بذلك تتفوق على الجميع بمجالٍ كبير.
- **الاختراعات العلمية:** إنَّ الأبحاث والاختراعات التي تدفع بشبكات المعلومات في العالم نحو التقدم أمريكية في معظمها.
- **المؤسسات العالمية:** تترأس الولايات المتحدة، أو تشارك في ترؤّس أكثر المؤسسات العالمية أهمية، بما فيها تلك التي تسيطر على الاقتصاد العالميّ.
- **القوة العسكرية البحرية:** تمتلك قوات البحرية الأمريكية تفوقاً مماثلاً لذاك الذي كانت تتصف به البحرية الملكية خلال القرن التاسع عشر؛ مما يمكن لهذه القوات من فرض السيطرة البحرية أو الحظر البحريّ في أيّ مكانٍ تقريباً مما يجعلها شرطيّ التجارة العالمية.
- **الإمكانيات الاستخباراتية:** تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية قدرات استخبارية متفوقة، تجعل مثيلاتها في أيّ دولةٍ أخرى تبدو محدودةً بما لا يُقارَن، وتوفر

"وعياً" ينتشر في العالم، وتؤثّر على عملية صنع القرار لدى الأصدقاء والأعداء على حدٍّ سواء[32].

في ضوء ما تقدم، فإنَّ ظاهرة العولمة بشكل عام، والأمريكية منها على وجه التخصيص، أصبحت (عولمة غير مسؤولة) في تداعياتها السلبية، وكانت سبباً لاختيار عنوان (العولمة المسؤولة Responsible Globality) عنواناً لمنتدى دافوس في سويسرا لعام 1999. وعند سؤال (كلوس شواب Klaus Schwab مؤسس منتدى دافوس ورئيسه لماذا اختار العولمة المسؤولة عنواناً لمُنتدى 1999 أجاب: "إنَّ الاندماجات العملاقة بين الشركات، والآثار العالمية لأحداث شرق آسيا وروسيا والبرازيل، وحقيقة انعدام أهمية الحدود بين الدول كلها إشارات بأن حقيقة العولمة تخطت كونها عملية Process إذ اصبحت حالة Condition وحقيقة. أما لماذا العولمة المسؤولة؟ ففي عالم تلاشت به حدود الدول، أصبح لزاماً إيجاد (حدود عالمية بديلة)، تتمثل في إيجاد الآليات التنظيمية والقانونية والاجرائية لتلافي الاثار الخبيثة لثورة العولمة"[33].

ثانياً: المستوى الاقتصادي

وصفَ عالم الاقتصاد الأمريكي، والعميد السابق لجامعة (MIT) العريقة (ليستر ثورو: Lester C. Thurow)، الرأسمالية في عصر العولمة وثبَّت ذلك في الصفحة الأولى من كتابه الموسوم: (مستقبل الرأسمالية)، "بكونها تشبه سمكة كبيرة استُخرجت من الماء تتخبط وتضرب بذيلها لعلها تجد طريقها إلى الماء من جديد. وفي حالة كهذه لا تعرف أين ستؤدي بها حركاتها تلك، إنها تَحس فقط بأنَّ وضعها القائم غير قابل للاحتمال وإنَّ شيئاً ما يجب محاولته" وفي حقيقة الأمر، فإنَّ وضع الاقتصاد والمال العالمي وقواعد السوق الخاصة به حالياً كلها غير قابلة للاحتمال[34]. ومعَّ ذلك تجلت

32. ديفيد غومبرت وهانس بيننديك، القدرة على الإرغام مواجهة الأعداء بدون حرب، موقع مؤسسة راند، كاليفورنيا، 2016، ص 6. (تاريخ دخول الموقع 29/9/2024) ، في الإنترنت ، وعلى الرابط: www.rand.org/t/rr1000

33. د. عبد الحي يحيى زلوم، نذر العولمة، مصدر سابق، ص 82.

34. د. عبد الحي يحيى زلوم، نذر العولمة، مصدر سابق، ص 24

التأثيرات السلبية للعولمة في العديد من القطاعات الاقتصادية. ويمكن إيجاز البعض منها بالآتي:

1. **الرأسمالية المعلوماتية:** كنتيجة للتطبيقات العملية لظاهرة العولمة في الميدان الاقتصادي حصلَ الاندماج والتنسيق الوثيقين بين وسائل ثورة عصر المعلومات من جهة والتمويل العالمي. ومن جهة أخرى، نشأ اقتصاد عالمي قائم على المالية والمعلوماتية وهو الاقتصاد الرأسمالي المعلوماتي. وهكذا أصبح في العالم اقتصاد إنتاجي يقوم على انتاج السلع والخدمات، واقتصاد طفيلي وامتصاصي يقوم على المالية والمعلوماتية. ويتميز بصفتين أحدهما إنه قائم على المضاربة، والثانية انه غير مُنتج، ولكنه مع ذلك قادر على انتزاع ما يُحققه العالم المنتج من الثروة. أما الركيزة التي يعتمد عليها هذا الاقتصاد القائم على الإنتاجية فهي العولمة[35].

2. **سوق العمالة الدولية:** إن المشاكل التي تواجه التجارة والتمويل الدوليين تنشأ من الإفراط في العولمة، وعدم إدارتها على النحو اللائق. وعلى النقيض من ذلك، فإن قطاعاً كبيراً من الاقتصاد العالمي لا يتمتع بالعولمة الكافية. ومن الممكن أن يوفر المزيد من الانفتاح الاقتصادي في أسواق العمل العالمية فوائد هائلة، وبخاصة للفقراء في العالم.

إنَّ أسواق العمل تشكل الحدود غير المُستغلة للعولمة. وقد يبدو من المستغرب أن تكون أسواق العمل ليست مُعولمة بالقدر الكافي. ذلك أن وسائل الإعلام مليئة بقصص العمال الأجانب في البلدان الغنية، والتي تتراوح بين "الملهمة والمرعبة"، فمثلاً مهندسو البرمجيات الهنود في وادي السليكون، والمكسيكيون غير الشرعيين في الولايات المتحدة، والعمال المهرة في الولايات المتحدة[36].

3. **تطبيق الحمائية في القطاع التجاري:** في الوقت الذي تُمثل فيه العولمة ، الوجه الآخر لحرية التجارة الدولية ، نجد إنَّ دولاً عديدة تحركت لفرض قيود على

35. د. عبد الحي يحيى زلوم، نذر العولمة، مصدر سابق ص 19.

36. Dani Rodrik, The Globalization Paradox, first edition (New York: Oxford University Press,2011) P ,267

حركة التجارة الدولية ومنها على سبيل المثال، قيام دول الاتحاد الأوروبي بفرض رسوم جمركية وبنسبة تصل إلى (38%)على السيارات الكهربائية الصينية المستوردة، واعتباراً من 2024/7/4[37]. كما أعلنت كندا بتاريخ 2024/8/26 تطبيق ضريبة إضافية بنسبة 100% على جميع المركبات الكهربائية المصنوعة في الصين، اعتباراً من الأول من تشرين الأول/أكتوبر 2024، وفرض ضريبة إضافية بنسبة 25% على واردات منتجات الصلب والألمنيوم من الصين اعتباراً من 15 تشرين الأول/أكتوبر 2024[38]. مما ألحق أضراراً كبيرة بالاقتصاد الصيني، كما ساهمت جُملة من الإجراءات في كلٍ من الولايات المتحدة والصين على وضع المنافسة الاقتصادية بين البلدين لمرحلة "الحرب التجارية" عقب اتخاذ إدارة الرئيس الأمريكي السابق "دونالد جون ترامب" سلسلة من القرارات العقابية لمواجهة التطور الاقتصادي في الصين مما أدى لمعاقبة (48) شركة في عهد الرئيس السابق "دونالد ترامب"، وازداد هذا العدد إلى (59) شركة أخرى في عهد الرئيس "جو بايدن"، فضلاً عن معاقبة (100) شركة أخرى لها صلة بالتعاون الصيني الروسي[39].

4. **سوق المشتقات المالية:** وكنموذج آخر على تداعيات هذه الظاهرة؛ فالمشتقات المالية هي أدوات مالية يتم اشتقاق قيمتها من قيمة الأصول محل التعاقد، ويتم تداولها بنفس الطريقة التي تتم مع الأسهم والأصول المالية الأخرى. وعلى غرار المتاجرة في الأسهم والسندات، فإن المشتقات المالية يتم تداولها في الأسواق المنظمة (البورصات) أو في الأسواق غير المنظمة، وتشمل الأدوات المالية المشتقة

37. الاتحاد الأوروبي يفرض 38% رسوما جمركية على السيارات الكهربائية الصينية، موقع الجزيرة نت، الدوحة، 4/7/2024(تاريخ دخول الموقع: 7/9/2024)، في الإنترنت، وعلى الرابط: https://www.aljazeera.net/ebusiness/2024/7/4/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA

38. الصين تعرب عن استيائها الشديد من قرار كندا بفرض رسوم جمركية على السيارات الكهربائية، موقع صحيفة الشعب الصينية باللغة العربية، بكين 27آب / أغسطس 2024 (تاريخ دخول الموقع: 7/9/2024) ، في الإنترنت ، وعلى الرابط: http://arabic.people.com.cn/n3/2024/0827/c31659-20210974.html

39. د. خضير عباس أحمد النداوي، القدرات العربية في مواجهة تحديات الحرب التجارية الأمريكية الصينية، مجلة آراء حول الخليج، إصدار مركز الخليج للأبحاث، جدة، العدد (198) حزيران/ يونيو 2024، ص 126.

كلاً من عقود الخيارات، والعقود المستقبلية والعقود الآجلة وعقود المقايضة. وتوصف سوق المشتقات المالية بأنها "سوق الكوادريليون" (مليون مليار دولار أمريكي)، وبلغ حجمها في عام 2020 حوالي (600) تريليون دولار أمريكي في حين لا يتجاوز حجم الناتج العالمي (85) تريليون دولار أمريكي للسنة ذاتها، وهذا التضخمً الهائل في قيمة سوق المشتقات هو الذي يجعل احتمالية انهيارها وارداً في أي لحظة، كما إنه يُهدد الاقتصاد العالمي بشكل عام[40].

5. **ارتفاع نسبة البطالة:** تشير البطالة إلى نسبة أفراد القوى العاملة الذين ليس لديهم عمل ولكنهم مؤهلون للعمل ويبحثون عن الوظائف، واستناداً لأحدث الإحصاءات المتاحة من قبل البنك الدولي في نهاية عام 2023م، بلغ إجمالي سكان العالم نحو (8.2) مليار نسمة[41]. أما إجمالي القوى العاملة في العالم فقد بلغ نحو (3.63) مليار نسمة[42]، فيما وصلت نسبة البطالة من إجمالي القوى العاملة (5%)، على مستوى العالم[43]. أي نحو (181) مليون و(500) ألف نسمة من العاطلين عن العمل. ومما لا شك فيه، أنَّ للبطالة آثارها السلبية المتعددة، وفي مقدمتها تأثيراتها النفسية والاجتماعية جراء مساهمتها في زيادة نسبة الفقر والتشرد، وغيرها.

ثالثاً: المستوى العسكري

شهدت العولمة العسكرية توسعاً كبيراً منذ منتصف القرن العشرين. ورغم عدم اندلاع "حرب عالمية ثالثة" حتى الآن، إلا أن ما أطلق عليها بالحرب

40. د. عبد الكريم قندوز، المشتقات المالية، سلسلة كتب تعريفية، العدد (38)، (أبو ظبي: إصدار صندوق النقد العربي، 2022)، ص 21.

41. تعداد السكان، الإجمالي، موقع البنك الدولي (تاريخ دخول الموقع 26/9/2024)، في الإنترنت، وعلى الرابط: https:// data.albankaldawli.org/indicator/SP.POP.TOTL?view=chart

42. إجمالي القوى العاملة، موقع البنك الدولي (تاريخ دخول الموقع 26/9/2024)، في الإنترنت، وعلى الرابط: https:// data.albankaldawli.org/indicator/SL.TLF.TOTL.IN?view=chart49

43. إجمالي البطالة، موقع البنك الدولي، (تاريخ الدخول: 26/9/2024)، في الإنترنت، وعلى الرابط: https://data. albankaldawli.org/indicator/SL.UEM.TOTL.ZS?view=chart

الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (السابق) امتدت إلى جميع أنحاء العالم، فقد تدخلت القوات المسلحة الأمريكية في كل مكان باسم إنقاذ الإنسانية من الشيوعية، من تركيا إلى كوريا إلى فيتنام إلى غرينادا، ناهيك عن مجموعة من العمليات السرية والحروب بالوكالة. ومن جانب الاتحاد السوفيتي السابق، ظهرت قوات سوفيتية ومستشارون عسكريون في كوبا وأفغانستان وإثيوبيا، وأنغولا وكذلك في التجمعات الرئيسية عبر أوروبا الشرقية وعلى طول حدود الاتحاد السوفيتي مع الصين. واستمرت الحملات العسكرية العالمية الأخرى بعد نهاية الحرب الباردة. وعلى سبيل المثال، قامت جيوش دول من أجزاء بعيدة من الكوكب بذلك، وتقاربت في الصومال والبوسنة وكوسوفو والعراق، كما تضاعفت إلى حد غير مسبوق منذ التسعينيات القوات شبه العسكرية العالمية، ونما العنف الإرهابي ليصبح مصدراً رئيسياً لتهديدات الأمن لعدد كبير من دول العالم، فقد شهدت العقود التي تلت الخمسينيات أيضاً التطور الرئيسي للعالم بالأسلحة، وبخاصة الصواريخ الباليستية العابرة للقارات ذات الرؤوس الحربية النووية[44].

وفي ظل العولمة العسكرية المعاصرة، شهد ميدان التسليح العسكري وفي غالبية دول العالم، تطوراً نوعياً في مُختلف الفروع العسكرية البرية والبحرية والجوية والنووية والكيمياوية والبيولوجية، وعلى سبيل المثال، بلغ مجموع الأسلحة النووية في بداية عام 2023م نحو (12512) سلاحاً نووياً وهي في حوزة تسعة بلدان هي: الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، وبريطانيا، وفرنسا، والصين، والهند، والباكستان، وكوريا الشمالية وإسرائيل (انظر الشكل 2)، ومنها نحو (2000) رأس نووي في حالة تأهب تشغيلي قصوى[45]. وهذا العدد من الأسلحة النووية قادر على تدمير الكرة الأرضية بمن فيها لعدة مرات.

44. Jan Aart Scholte, Globalization a critical introduction, Second Edition (New York: Palgrave Macmillan ,2005), P,115.

45. معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي (سيبري)، التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي، الكتاب لسنوي 2023، ترجمة، عمر سعيد الأيوبي وأمين سعيد الأيوبي، ط1 (بيروت: طبع مركز دراسات الوحدة العربية، 2024)، ص 329.

الشكل (2): القوى النووية العالمية، كانون الثاني/ يناير 2023

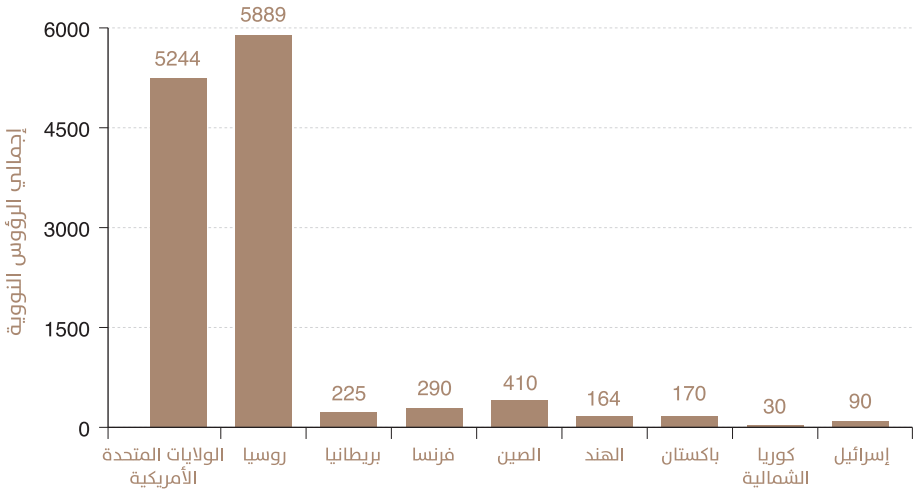

المصدر: معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي (سيبري)، التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي، الكتاب السنوي 2023، ترجمة، عمر سعيد الأيوبي وأمين سعيد الأيوبي، ط1 (بيروت: طبع مركز دراسات الوحدة العربية، 2024)، ص 330.

كما تشير البيانات التي جمعها (مشروع بيانات مواقع النزاعات المسلحة وحوادثها ACLED) إلى إنَّ (56) دولة في مناطق مُختلفة من الكرة الأرضية على الأقل شهدت نزاعات مسلحة في عام 2022م، ويقدّر إنها تسبّبت بوفاة بنحو (147605) شخص من سكان تلك الدول. وبالمقارنة مع عام 2021، إذْ وقعت نزاعات مسلحة في (51) بلداً أوقعت نحو (153753) قتيلاً[46] من سكان تلك الدول.

وإذا ما سلَّمنا جدلاً بأنَّ الولايات المتحدة الأمريكية هي أقوى دولة عسكرية في العالم، والعصر الحالي هو العصر الأمريكي بدون منازع، وأحد نقاط قوته استخدام العولمة في كافة الميادين ومنها الميدان العسكري. ولإدامة هذا الزخم، "ووفقاً لما ذكره المفكر الأمريكي د. جورج فريدمان"، فقد انخرطت الولايات المتحدة الأمريكية في حروب في القرن العشرين شملت (15%) من زمنه. وفي النصف الثاني من القرن العشرين، انخرطت الولايات المتحدة الأمريكية كذلك في حروب على امتداد (22%)

46. معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي (سيبري)، التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي، الكتاب لسنوي 2023، ترجمة، عمر سعيد الأيوبي وأمين سعيد الأيوبي، ط1 (بيروت: طبع مركز دراسات الوحدة العربية، 2024)، ص 63.

من تلك المدة. ومنذ بداية القرن الحادي والعشرين، ما تزال الولايات المتحدة منخرطة في حروب طيلة هذه المدة[47].

رابعاً: المستوى الاجتماعي

وعلى الرغم من الإيجابيات الكثيرة التي أفرزتها التطبيقات العلمية والتكنولوجية لظاهرة العولمة على الصعيد الدولي إلا إنها أفضت إلى تداعيات سلبية على المستوى الاجتماعي، أثرت على غالبية دول العالم وفي مقدمتها الآتي:

1. **اتساع فجوة التطور العلمي بين الدول المتقدمة والدول النامية:** مما يُعطي إحساساً بدخول عصر جديد من التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي على المستوى الدولي. وهذه إحدى المدارس الفكرية حول العولمة، التي تتبنى أطروحة "العولمة المُفرطة" كونها أرست معالم عصر جديد، أصبح الناس في كل مكان خاضعين بشكل متزايد لقواعد السوق العالمية والذي تبنت العولمة بموجبه أشكالاً جديدة من التنظيم الاجتماعي تحل أو سوف تحل في نهاية المطاف محل الدول القومية التقليدية باعتبارها الوحدات الاقتصادية والسياسية الأساسية للمجتمع العالمي[48]. مما يُضفي نمطاً جديداً من الانقسام على الصعيد العالمي.
2. **تحفيز ظاهرة الإحياء الديني:** شجعت ظاهرة العولمة عبر أدواتها المُختلفة الحركات الدينية في بعض الدوائر البروتستانتية عبر القارات نحو التطرف، وفي الوقت نفسه شهدت العديد من أوساط الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية الرومانية تحفظات متزايدة فيما اكتسبت ظاهرة الإحياء الديني الإسلامي قوة كبيرة في العديد من أجزاء وسط وجنوب غرب وجنوب شرق آسيا وكذلك شمال إفريقيا. كما حفزت ظاهرة الإحياء الديني اليهودي بعضاً من الجماعات، ومنها على سبيل المثال، (غوش إيمونيم أي كتلة المؤمنين)، ودفعتهم نحو التطرف. وفي الهند، سعت منظمات عديدة ومنها حزب بهاراتيا جاناتا (BJP) إلى هندوسية السياسة وتطرف الهندوسية. وفي الوقت نفسه،

47. د. جورج فيلدمان، الأعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، ترجمة أ.د. منذر محمود محمد، ط1(دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2019)، ص39 و72

48. Juliet kaarbo and James Lee Ray, Global Politics, tenth edition, (Boston USA: Carlisle Publishing Services ,2011), P, 514.

ظهرت أشكال مختلفة من الإحياء البوذي في منغوليا وسريلانكا وتايلاند. وقد اجتذبت العديد من الحركات الدينية الإحيائية أتباعاً كثراً وممارست نفوذاً سياسياً ملحوظاً ومع ذلك، فإن النهضة الدينية في المجمل لم تستقطب سوى نسبة محدودة من البشرية ولم تحفز سوى عدد قليل نسبياً من التغييرات الكبرى في السياسة العامة[49].

3. **تقليص حجم العوائل:** وعلى الرغم من تَميز المجتمع الرأسمالي المتقدم بنمط عال من حياة الرفاهية، فإنه في الوقت ذاته عمل على تقليص حجم العوائل، وبالتالي انخفاض حجم السكان، نتيجة اهتمام المجتمع بالتكنولوجيا الحديثة والتي أدت مُخرجاتها إلى مزيد من التقليص للعوائل. فضلاً عن التوسع بتطبيق الليبرالية السياسية والاجتماعية مما أفضى إلى تقوقع عدد كبير من هذه المُجتمعات على ذاتها، وانتشار ظاهرة العزوف عن الزواج ومُثله الراقية والانغماس في الملذات الأخرى مما ولد أجيالاً من الشباب انحرفت باتجاهات أخرى بعيدة عن القيم والمثل الدينية والاجتماعية السامية.

4. **استهداف القيم الروحية:** تفرض العولمة إستراتيجية جزئية للإنسان، فهي تريد مسخ ونزع الروح من الجسد بإبقاء الجانب المادي والجسدي للفرد، بإخلال التوازن والتكامل في الشخصية، فالعولمة تركز على الإنسان المادي والقضاء على الجانب الروحي والنفسي والفكري من خلال إعادة صياغة الإنسان من جديد وتغيير خلقته وتغيير مفاهيمه الفكرية؛ بحيث تتأسس الثقافة المعولمة على حب الذات والفردانية بتحقير المعالم الشخصية للفرد والولاء للفكر المادي والتبعية للثقافة المادية الغربية.

5. **على المستوى الإعلامي:** السيطرة على وسائل الإعلام المحركة للثقافة المعولمة تهيمن عليها الدول التكنولوجية والمتفوقة عسكريا، فالعالم الفقير ليس لديه القدرة على استخدام هذه الوسائل ومواجهة الاكتساح الإعلامي الغربي؛ مما يعني قصور العالم الفقير في حماية وتجديد هويته الثقافية[50].

---

49. Jan Aart Scholte, Globalization a critical introduction, Second Edition (New York: Palgrave Macmillan ,2005), P 260.

50. زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، كلية العلوم القانونية والإدارية الجزائر، ولاية الشلف، العدد (4)، 2010، ص و9896.

الخاتمة:

1. ظهر مُصطلح العولمة، وفقاً لما يتمُ تداوله في العصر الحديث، منذُ ستة عقود خلت، وتحديداً في عام 1959م، إلا إنَّ العولمة كتطبيق عملي، سبقت المفهوم المُعاصر ولسنواتٍ طويلة جداً إذْ كان لكل حضارة من الحضارات القديمة "عولمتها الخاصة بها"، والتي حاولت استخدام أدواتها الحضارية المتاحة للتأثير في البيئة المُحيطة بها، وفقاً لتطورات الظروف الذاتية والموضوعية التي أحاطت بها.

2. معَّ تفَّوق الحضارات الغربية المُعاصرة، وبخاصة الحضارة الأمريكية والتي استخدمت ظاهرة العولمة لنشر إنجازاتها وتقاليدها العلمية والثقافية والاجتماعية في غالبية دول العالم، إلا إنَّ ثمة حضارات أخرى في العالم، كالحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية، والحضارة الصينية، والحضارة الروسية، والحضارة الهندية مما يصعب من الناحية العملية تجاوز تأثيرات تلك الحضارات في مجتمعاتها الحالية والدول الأخرى.

3. تُعتبر الثقافة من حيث المضمون جزءاً من الحضارة لمجتمع ما، والتي ينتج عنها مجموعة من القيم والتقاليد والنتاجات الأدبية لهذه المجتمعات، وحيث تعمل أدوات العولمة بنشر جانب من المخزون الفكري لهذه الحضارة أو تلك، مما أدى إلى شيوع ظاهرة المنافسة الشديدة بين الثقافات السائدة، مما يحول من الناحية العملية دون فرض ثقافة من الثقافات على المستوى الدولي.

4. أدت التطورات الحضارية المُتسارعة في مُختلف دول العالم إلى تقدم مجموعة من الدول المتقدمة، وبخاصة تلك التي امتلكت الأسلحة النووية، فضلاً عن امتلاكها للتقنيات العلمية التي تؤهلها للانتقال لساحة الفضاء الخارجي، وفي مقدمتها الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية، مما أدى، ولأول مرة في التاريخ، إلى انتقال الصراع الحضاري من ساحة الكرة الأرضية إلى ساحة الفضاء الخارجي من جانب، وتعميق الهوة العلمية بين الدول النامية والدول المتقدمة، وفي كافة المجالات من جانب آخر.

5. على الرغم من مساهمة العديد من الحضارات العالمية المعاصرة بتطبيقات العولمة الخاصة بها، وبخاصة في الميدان الاقتصادي، إلا إنَّ الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال صاحبة القدح المعلى في هذا المجال، كونها تحتل المرتبة الأولى في كثير من المجالات، وتمتلك أكبر اقتصاد على الصعيد الدولي.

6. بهدف إجراء تقويم أولي للتأثيرات الإيجابية والسلبية لظاهرة العولمة المعاصرة على منظومة القيم والتقاليد الاجتماعية في المجتمعات العالمية، يتضح أنَّ هذه المسألة نسبية وفي غاية الصعوبة، بل وحتى في المجتمع الغربي أضحت مثاراً للانقسام، كما حصل أثناء الحملات الانتخابية الأمريكية لعام 2024م، حيث أيد الحزب الديمقراطي مسألتي (الإجهاض والمثلية الجنسية)، فيما رفض مرشح الحزب الجمهوري "دونالد ترامب" ونائبه هذا التوجه، وأعتبره خرقاً لمنظومة القيم والتقاليد الدينية والاجتماعية الأمريكية.

في ضوء ما تقدم، ومع الإقرار بأنَّ تأثير التطبيقات العملية لظاهرة العولمة واسعة جداً وعلى كافة دول العالم إلا أن الدول النامية بشكل عام وبالذات الدول العربية منها تبقى من أكثر الدول تعرضاً للتداعيات السلبية لظاهرة العولمة المُعاصرة، لاسيما وإنها باتت تُستخدم لفرض تطبيق التقنيات والبرمجيات العلمية من جانب واستهداف بعض منظومة القيم والتقاليد الاجتماعية من جانب آخر؛ مما يتطلب استنهاض مُنظمات العمل العربي المشترك والمؤسسات الرسمية، والجامعية، والعلمية، ومراكز صنع القرار، وقادة الرأي في ميدان الصحافة والإعلام والتنظيمات القطاعية والنقابات المختلفة؛ لمحاولة فرز واسع للتأثيرات السلبية لظاهرة العولمة على المجتمعات العربية والعمل على مواجهتها، وتعميق الجوانب الإيجابية قدر المستطاع، سواءً أكان ذلك في المدى المنظور أم على المستوى الاستراتيجي.

مصادر البحث:

• أولاً: المصادر باللغة العربية

- ابن عون الطيب، أثر شبكة الإنترنت على أداء العامل في المؤسسة الجزائرية، سوناطراك، شهادة ماجستير مقدمة لجامعة الحاج خضر باتنة / معهد العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، الجزائر، 2008.

- الاتحاد الأوروبي يفرض 38% رسوما جمركية على السيارات الكهربائية الصينية، موقع الجزيرة نت، الدوحة، 4/7/2024(تاريخ دخول الموقع: 7/9/2024)، في الانترنت، وعلى الرابط: https://www.aljazeera.net/ebusiness/2024/7/4/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%A

- إجمالي البطالة، موقع البنك الدولي، (تاريخ الدخول: 26/9/2024)، في الانترنت، وعلى الرابط: https:// data.albankaldawli.org/indicator/SL.UEM.TOTL.ZS?view=chart

- إجمالي القوى العاملة، موقع البنك الدولي (تاريخ دخول الموقع 26/9/2024)، في الإنترنت، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/SL.TLF.TOTL.IN?view=chart49

- باسكال بونيفاس، الجيوبوليتيك مقاربة لفهم العالم في 48 مقالاً، ترجمة إياد عيسى (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2020).

- تعداد السكان، الإجمالي، موقع البنك الدولي (تاريخ دخول الموقع 26/9/2024)، في الإنترنت، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/SP.POP.TOTL?view=chart

- تهديد المنصات: مآلات الصدام العالمي المتصاعد بين الحكومات ومواقع التواصل الاجتماعي، موقع إنتر ريجونال للتحليلات الاستراتيجية، أبوظبي: 22 آب/ أغسطس 2024 (تاريخ دخول الموقع: 2/9/2024) في الانترنت، وعلى الرابط: https://www.interregional.com/article/%D8%AA%D9%87%D8%AF%D9%8A%

- جعفر الصائغ، نحن والثورة الصناعية الرابعة، مجلة اتحاد المصارف العربية، العدد 469 ديسمبر 2019، (تاريخ دخول الموقع 16/10/2024) موقع اتحاد المصارف العربية في الإنترنت، وعلى الرابط: https:// uabonline.org/ar/%D9%86%D8%AD%D9%86-

- جورج فريدمان، الأعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، ترجمة أ.د. منذر محمود محمد، (دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2019).

- خضير عباس احمد النداوي، العولمة ...المضامين والدلالات، مجلة الحكمة، تصدر عن دار الحكمة، بغداد، العدد (16) السنة الثالثة، عام 2000م.

- خضير عباس أحمد النداوي، القدرات العربية في مواجهة تحديات الحرب التجارية الأمريكية الصينية، مجلة آراء حول الخليج، إصدار مركز الخليج للأبحاث، جدة، العدد (198) حزيران/ يونيو 2024.

- ديفيد غومبرت وهانس بيننديك، القدرة على الإرغام، مواجهة الأعداء بدون حرب، موقع مؤسسة راند، كاليفورنيا، 2016، ص 6. (تاريخ دخول الموقع 29/9/2024)، في الإنترنت، وعلى الرابط: www.rand.org/t/rr1000

- زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، كلية العلوم القانونية والإدارية الجزائر، ولاية الشلف، العدد (4)، 2010.

- سعيد محمود موسى عطية ود. حسن مصطفى حسن سليم، العولمة وتداعياتها على الأمن الفكري العربي والإسلامي، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الرابع، كانون الثاني / يناير 2021م، إصدار كلية التربية بجامعة الزقازيق.

- السيد أحمد فهمي، ما هي العولمة كإحدى المتغيرات العالمية المعاصرة، المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن الأكاديمية الإفريقية للدراسات المتقدمة تركيا، العدد (3) 2022.

- شادي عبد الحافظ، هل تبدأ روسيا الحرب العالمية الثالثة من الفضاء؟ موقع الجزيرة نت، قطر/الدوحة 14/5/2024، (تاريخ دخول الموقع 23/9/2024) في الإنترنت، وعلى الرابط: https://www.aljazeera.net/science/longform/2024/5/14/%D8%A7%D9%84%D8%B9

- الصين تعرب عن استيائها الشديد من قرار كندا بفرض رسوم جمركية على السيارات الكهربائية، موقع صحيفة الشعب الصينية باللغة العربية، بكين 27آب / أغسطس 2024 (تاريخ دخول الموقع: 7/9/2024) ، في الإنترنت، وعلى الرابط: http://arabic.people.com.cn/n3/2024/0827/c31659-20210974.html

- عبد الحي يحيى زلوم، نذر العولمة، هل بوسع العالم أن يقول لا للرأسمالية المعلوماتية ط1(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999).

- عبد الكريم قندوز، المشتقات المالية، سلسلة كتب تعريفية، العدد (38)، (أبو ظبي: إصدار صندوق النقد العربي، 2022).

- عبد الله سراج، العولمة والأزمات الاقتصادية، سلسلة كتيبات تعريفية، العدد (42) (أبو ظبي: صندوق النقد العربي، 2023).

- علي وديع حسن، 7من أكبر 10 شركات في العالم هي شركات تقنية. تعرف عليها، موقع ميناتك، 23 حزيران/ يونيو 2024، (تاريخ دخول الموقع: 23/8/2024)، في الإنترنت، وعلى الرابط: https://www.menatech.net/7-%D9%85%D9%86-%D8%A3%D9%83%D8%A8%D8%B1-10-

- الكونغرس الأمريكي يقر ميزانية دفاع ضخمة لعام 2024، موقع الجزيرة نت، الدوحة، 14 كانون الأول/ ديسمبر2023 (تاريخ دخول الموقع 23/9/2024) في الانترنت، وعلى الرابط: https://www.alhurra.com/usa/2023/12/14/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9

- مجموعة البنك الدولي، إجمالي الناتج المحلي موقع البنك الدولي (تاريخ دخول الموقع: 5/9/2024) في الإنترنت، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.CD?view=chart.

- مجموعة البنك الدولي، إجمالي الناتج المحلي، موقع البنك الدولي (تاريخ دخول الموقع: 5/9/2024) في الإنترنت، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.CD?view=chart

- مجموعة البنك الدولي، تعداد السكان الإجمالي، موقع البنك الدولي، (تاريخ دخول الموقع: 5/9/2024)، في الإنترنت وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/SP.POP.TOTL?view=chart

- مجموعة من العلماء العرب، الموسوعة العربية العالمية، المجلد (16)، ط2 (الرياض: طبع مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999).

- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، ط1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م).

- مريم خليفة المبروك، العولمة (المفهوم النشأة الابعاد) مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سرت/ كلية الآداب/ قسم الفلسفة، المجلد الأول /العدد (3)، 2020.

- معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي (سيبري)، التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي، الكتاب لسنوي 2023، ترجمة، عمر سعيد الأيوبي وأمين سعيد الأيوبي، ط1 (بيروت: طبع مركز دراسات الوحدة العربية، 2024).

- النقل الجوي، عدد رحلات شركات النقل المسجلة على مستوى العالم، موقع البنك الدولي (تاريخ دخول الموقع 21/9/2024) في الإنترنت، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/IS.AIR.DPRT

• ثانياً: المصادر باللغة الإنجليزية

- Dani Rodrik, The Globalization Paradox, first edition (New York: Oxford University Press,2011).

- ICAO Economic Development, The World of Air Transport in 2022, https://www.icao.int/sustainability/WorldofAirTransport/Pages/the-world-of-air-transport-in-2022.aspx

- Jan Aart Scholte, Globalization a critical introduction, Second Edition (New York: Palgrave Macmillan ,2005).

- Juliet kaarbo and James Lee Ray, Global Politics, tenth edition, (Boston USA: Carlisle Publishing Services ,2011).

الحوار الحضاري عبر طرق الحرير حتى بدايات العصر الإسلامي

د. محمد أحمد عبدالسلام
كلية الآثار - جامعة عين شمس - مصر
جامعة طريق الحرير - سمرقند - أوزبكستان

الملخَّص:

حقق التوسع العربي الإسلامي سواء أكان بالفتوحات العربية أو بتجارة العرب مع شعوب العالم، أهم مَيّزَة للدين الإسلامي كونه الرسالة الخاتمة، والصفة الأولى للحضارة الإسلامية كونها "حضارة عالمية شاملة"، شارك في بنائها كل الشعوب التي وصلها الإسلام، على اختلاف أجناسهم وأصولهم العرقية ولغاتهم وثقافاتهم. وبالتالي تضاعفت وتنامت التأثيرات الحضارية والثقافية المتبادلة بين العرب وشعوب الأرض؛ لتبقى شاهدةً على روعة تاريخ العرب المسلمين، وتبقى مُبينةً لعظمة الجنس العربي، والذي جعل الإسلام منه أكبر ثقافة نوعية كفلت في طياتها؛ وتضمنت في جنبات تعاليمها قبول الآخر والنصح له بالإحسان، بل والبر إليه والتكامل والتكافل معه من أجل تحقيق المصالح العليا للإنسانية، نافضةً عنها غبار التعصب الأعمى، تاركةً بلا هوادة التميِّز العرقي، رافضةً بالكلية الظلم وعدم المساواة بين البشر.

جاءت المنهجية البحثية المتبعة في ثنايا البحث متضمنة المنهج الوصفي التأصيلي والاستقراء التحليلي للظواهر التاريخية وثيق الصلة بالموضوع، حيث يتناول البحث تعريفاً شاملاً لطرق الحرير، وبداية تأصيلها تاريخيّاً، واتساع شهرتها العالمية، كأقدم ممرات تجارية عالمية برية وبحرية تربط بين شرق وغرب العالم، مع بيان أهم الرحلات التجارية والاستكشافية القديمة العابرة لطرق الحرير في صفحات التاريخ التليد، مع تأصيل الجوانب الحضارية واحداثيات الحوار الحضاري متنوع الثقافات والمرجعيات عبر طرق الحرير، والتي نعمت بثراء حواري متعدد الأطياف الفكرية والحضارية.

Intercultural dialogue along the Silk Road until the beginnings of the Islamic age

Dr. Mohamed Ahmed Abd el-Salam
Archaology Faculty - Ain Shams Univeristy - Cairo - Egypt
Silk Road - International Univeristy - Samarkand - Uzbakistan

Abstract:

The expansion of Islamic Arab influence, whether through Arab conquests or Arab trade with peoples of the world, embodies the most distinctive feature of Islam as the final message and the primary characteristic of Islamic civilization as a “comprehensive global civilization”. All peoples reached by Islam participated in its construction, regardless of their races, ethnic origins, languages, and cultures. Consequently, reciprocal civilizational and cultural influences between Arabs and the peoples of the earth multiplied and grew, bearing witness to the splendor of the history of Muslim Arabs and demonstrating the greatness of the Arab nation. Islam made it the greatest qualitative culture, encompassing within its folds acceptance of the other, advising them with benevolence, and extending kindness, integration, and mutual support to achieve the highest interests of humanity, clearing away the dust of blind fanaticism, leaving no room for racial discrimination, and wholly rejecting injustice and inequality among humans.

The research methodology employed includes descriptive-analytical methodology and analytical introspection of historically relevant phenomena related to the subject. The research provides a comprehensive definition of the Silk Roads, traces their historical roots, and elaborates on their global renown as the oldest global overland and maritime trade routes linking the East and West. It also delineates the most important ancient trade and exploration journeys across the Silk Roads in the annals of history, while grounding the civilizational aspects and coordinates of civilizational dialogue, diverse cultures, and references across the Silk Roads, which flourished with a rich dialogic exchange of diverse intellectual and cultural spectra.

المقدمة:

تمثلت الإشكالية البحثية في عدم الرصد التاريخي والحضاري الكافي لمظاهر الحوار الحضاري للعرب والمسلمين عبر طرق الحرير. وعليه، يربو الموضوع على معالجتها وبيان جانب من الإسهام الحضاري للعرب والمسلمين عبر أقدم الطرق التجارية العالمية بين الشرق والغرب.

كما يتبيّن عند استقراء بعض المنشورات العلمية في دائرة البحث عن طرق الحرير، مدى التركيز الكامل على التراث المادي Tengabel Heritage لطرق الحرير؛ وبيان النواحي الاقتصادية والسلع التجارية القديمة المتداولة عبر ممراته، غير أن هناك جانب آخر من الأهمية بمكان، وثيق الصلة بالتراث غير المادي Intengabel Heritage الذي نعمت به طرق الحرير عبر تاريخها الممتد. وكان الحوار الحضاري والتكامل الثقافي أحد أهم هذه الموروثات التراثية غير المادية الباقية من ذاكرة تاريخ طرق الحرير.

تُعد تسميتها بـ"طرق الحرير" جمعاً؛ هي التسمية الأكثر دقة ودِلالة من "طريق الحرير" بلفظة المفرد، وللحديث في ثنايا هذا البحث التاريخي أهمية خاصة، حيث تفرّدت صفحاته بطرح ومناقشة التواجد الحضاري والثقافي للعرب عبر أقدم مجموعة ممرات وطرق تجارية برية في التاريخ الإنساني (طرق الحرير)، وللقارئ العربي أن يتخيل ذلك أن أجداده من العرب السابقين حتى قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم)، عبروا طرق الحرير؛ ليصلوا إلى بلاد بعيدة المنال مترامية الأطراف، ولما جاءت البعثة المحمدية المباركة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، ونظراً لطبيعة حضارة الإسلام كحضارة إنسانية الطابع عالمية الأداء، تُجيّد لغة الحوار الحضاري وتنفتح على الثقافات النوعية المتباينة؛ عليه زادت روابط التواصل بين العرب وشعوب العالم المختلفة، وجعل الإسلام من أبناء جزيرة العرب قوة تجارية عالمية، فباتت أسواق العرب التجارية تتضمن ألوان الفنون والصناعات من شتى الأقطار، وأضحت سياحة العرب في الأرض لِزاماً عليهم؛ لنشر الإسلام وتعاليمه وحضارته في العالم بأكمله، وطافوا الأرض من أقصاها إلى أقصاها؛ رغبةً منهم في تبليغ دعوة الحق للعالمين. يمكن القول قطعاً، أنه لا توجد دراسة تاريخية

سابقة متخصصة في حوار الحضارات عبر طرق الحرير، وما أَحْدَثَهُ العرب من تغيرات حضارية جذرية عبر تاريخهم التجاري الممتد في هذه الطرق البرية الرابطة بين الصين وبلاد العرب؛ لذا اعتمد الباحث في دراستها على استقراء المعلومات من بواطن المصادر العربية والصينية الأصيلة. كما تَمَّ الاعتماد على بعض الدراسات الحديثة والمعاصرة، والتي تضمنت في طياتها إشارات عابرة لموضوع البحث، أو تلك التي تحدثت بصفة مجملة عامة عن طرق الحرير، لاسيما المنشورات العلمية الدورية لمنظمة اليونسكو العالمية (UNSCO)؛ ضمن إطار مشروع المنظمة لإعادة إحياء طرق الحرير، علماً بأن جميع المؤلفات الأجنبية والمترجمة عن لغات أجنبية، تتحدث عن طرق الحرير من وجهات نظر عالمية وصينية فقط، وقامت بتسليط الضوء على منجزات الأمم والشعوب الصينية والهندية تحديداً عبر هذه الطرق. لذا؛ يُعد البحث أول دراسة تاريخية حضارية متخصصة عن الدور العربي في إعمار ورواج الحوار الحضاري بطرق الحرير، وكيف كان العرب لاسيما في العصر الإسلامي نافذة الصين على العالم، وحلقة الوصل الأكبر والأهم في التاريخ الإنساني بين شرق وغرب العالم.

أذكر تأكيداً لما سبق تأصيله، بعض المراجع التي تحدثت عن طرق الحرير بصفةٍ عامّةٍ، وتناولت إسهامات شعوب الصين والهند ودياناتهم ومعتقداتهم وثقافاتهم المنقولة عبر طرق الحرير، علماً بأنها لم تتطرق إلى دور العرب الحضاري في طرق الحرير لا من قريب ولا من بعيد، ومن ضمن هذه الدراسات مع بيان تحليلها علميّاً، ما يلي:

- Xinru Liu, A Silk Road Legacy "The Spread of Buddhism and Islam", Journal of World History, University of Hawai'i Press on behalf of World History Association, March 2011, Vol. 22, No.1, pp.55–81.

يُعد من الأبحاث العلمية القيّمة في هذا الصدد، وقام الباحث فيه بالتركيز على دور طرق الحرير في نشر البوذية والإسلام، وبيان التواجد الحضاري لهما عبر مسالك وممرات طرق الحرير، وأوضح الباحث كيف لِعَبت طرق الحرير دوراً جوهريّاً في رعاية ونشر المذاهب والأفكار والثقافات بين الشعوب المارة به للتجارة.

- Bai Shouqi (白寿弃), “中国穆斯林的历史贡献”=”The Historical Contributions of Chinese Muslims”, “应邀出席在阿尔及利亚召开, 第13 伊斯, 兰思想讨论会上所 发表的学术论文, 页 6-11= China, Algeria: Session of the Islamic Seminar 13, 1979.

يُعَدُّ هذا الكتاب من الأهمية بمكان، فهو من أهم المصادر الصينية التي تحدثت عن التواجد الإسلامي في الصين وعبورهم لطرق الحرير، فكان لاستنباط المعلومات من بين سطوره وتدقيقها وتنقيحها، له عظيم الأثر في توثيق وتأصيل تواجد التجار العرب عبر طرق الحرير، وكيف كانت بدايات تكوين مجتمعات عربية في ضواحي وممرات طرق الحرير.

- John Carswell, Blue & White Chinese Porcelain around the World, the British Museum Press, London, 2007.

تضمّن هذا الكتاب دراسة مفصلة عن خزف البورسلين الصيني الأبيض والأزرق، والذي تم نقله عبر طرق الحرير من بلاد الصين إلى دول العالم، وبعض هذه المنتجات الخزفية الصينية جاءت تحمل تأثيرات عربية وإسلامية، بل وتم تصديره وتقليده في أكثر من اثنتين وعشرين دولة حول العالم عن طريق تجارة العرب مع بلاد الصين عبر طرق الحرير.

- Yuka Kadoi, Islamic Chinoiserie, the Art of Mongol Iran, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2009.

الباحثة Yuka Kadoi من أهم الباحثين المتخصصين في الوقت الراهن، في مجال تاريخ الفنون الإسلامية لاسيما تاريخ الفنون المتبادلة بين إيران والصين، وترتكز مؤلفاتها على عقد المقارنات بصفة دائمة بين فنون المشرقين الإسلامي والأقصى، ووصول التأثير الصيني إلى فنون إيران في العصر الإسلامي، ولكنها لم تتطرق على الإطلاق إلى الإسهام الفني والحضاري للعرب وللمسلمين أنفسهم ببلاد الصين، كما أنها لم تذكر على الإطلاق دور العرب في الرواج التجاري والسياسي في العصر الذهبي لطرق الحرير، وما نتج عن العرب المسلمين من آثار معمارية وفنية على طول طرق الحرير، ومحطاته المختلفة في الصين وغرب آسيا وجنوب شرق ووسط آسيا، وهذا

هو الهدف الرئيس لهذا البحث العلمي، بيان ما أحدثّه العرب المسلمون من تطور اجتماعي وسياسي وفني وحضاري في عادات وعوائد وعلائق وعمائر وفنون طرق الحرير، مع تسليط الضوء على التواجد والتأثير العربي والإسلامي عبر تاريخهم الممتد في بلاد الصين ومأرب تجارة الخزف والحرير الصينيين، وهو ما لم تصل إليه أيادي الباحثين من قريب أو بعيد.

- Caidong Fan (蔡東藩), 歷史演義, 唐史= (Historical Romance: History of Tang Dynasty), Vol.3, 獨立作家 =(Independent Writers Press), China, 2013.

يُعَدُّ من المراجع الصينية المهمة التي تحدثت عن بدايات الوجود العربي والإسلامي في مناطق ومحطات التجارة مع بلاد الصين، وكيف بدأت رحلات التجارة والهجرة المنظمة للعرب والمسلمين إلى الصين وما حولها منذ عهد أسرة تانغ الصينية، والتي تزامن وجودها مع أوائل العصر الإسلامي، وكيف كانت التجارة والتجار العرب هم أساس بناء مجتمعات إسلامية راسخة الأركان في الصين وما حولها.

- Jessica Harrison-Hall, Craig Clunas, Ming 50 Years That Changed China, the British Museum press, London, 2014.

تكمن أهمية هذا الكتالوج، في كونه كتالوج فني رائع عن أهم التحف الفنية الصينية، والتي حملت تأثيرات فنية إسلامية، ومدى تأثير الفن الإسلامي على فنون الصين المنقولة عبر طرق الحرير، فهذا الكتالوج الخاص بمعرض الفنون الصينية من عهد أسرة مينغ في بلاد الصين، وهو أهم معرض للفن الصيني في الفترة الأخيرة، وكانت دراسة ونشر بعض التحف الفنية الخاصة بهذا المعرض من عوامل إثراء هذا الكتاب فنيّاً وحضاريّاً؛ ولكن لم يتطرق الكتالوج إلى الجانب التاريخي والحضاري باستفاضة، ولم يذكر دور العرب في نقل ثقافة وفنون الصين للعالم من خلال السيطرة على طرق التجارة العالمية.

أما عن تحليل المراجع المترجمة والمؤلفة باللغة العربية:

- إيرين فرانك، ديفيد براونستون، طريق الحرير، ترجمة: أحمد محمود، طباعة

المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، مطابع الأهرام، القاهرة، 1989م.

يقع الكتاب في عدد (364) صفحة، ولا يمكن تصنيف الكتاب على أنه مرجع تاريخي أو حضاري، فهو كتاب في تاريخ الأدب تطبيقاً على ما ذُكر من روايات وأقاصيص عن طرق الحرير، ولم يعتمد فيه المؤلفان على أيّة مراجع، سوى الروايات التي أخذت منها النصوص المتعلقة بطرق الحرير، في حين اجتهد المترجم في إضافة بعض الحواشي والتعليقات والتفاسير البسيطة باللغة العربية، معتمداً على عدد (6 مصادر عربية قديمة) من كتب التاريخ والرحالة المشهورة كالمقدسي وابن بطوطة والمسعودي.

استمرارية التحفظ من جانبي على وسم طرق الحرير بـ"طريق الحرير" اللفظة المفردة، رُغم أن المؤلفان والمترجم أشاروا في ثنايا الكتاب إلى كون الطريق متعدد المسالك والدروب، فهو عدّة طرق وليس طريقًّا واحداً، وذكره بلفظة الجمع هي الأصح لغة وتاريخًا واصطلاحاً جغرافيّاً، كما سيتم التوضيح في ثنايا هذا البحث. أخيراً لم يتطرق الكتاب لا من قريب أو بعيد إلى تاريخ العرب المنسي بين مسالك طرق الحرير، بل وخلط بين بعض الحقائق التاريخي والقصص الأدبي الشعبي والموروث الفلكلوري.

- أسامة محمد فهمي صديق، العلاقات التجارية والثقافية بين المدن الصينية ومدن آسيا الوسطى الواقعة على طريق الحرير في عصر الأسرتين اليوانية والتيمورية المغوليتين: (658-911هـ/1260-1505م)، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط-كلية الآداب، العدد (40)، 2011م، ص209-365.

هذا بحث علمي أكاديمي قيّم، تناول المؤلف فيه العديد من الجوانب الحضارية والفنية لقومية المغول، وحكمها في الصين وإيران، وانعكاس ذلك على بلاد وسط آسيا عبر التجارة مع الصين في مسالك طرق الحرير، ولكن لم يذكر التواجد العربي، ولم يتطرق البحث إلى مآثر العرب على طرق الحرير لا من قريب أو بعيد، والبحث منتظم في عدد (159 صفحة) تحدثت جميعاً عن فترة السلام المغولي وأثرها على الرواج التجاري بطرق الحرير، علماً بأن التواجد العربي سبق ولحق واستمر قبل وأثناء وبعد فترة السلام المغولي.

- تشو يوي نينغ، تانغ تشاو فانغ، الآثار الإسلامية لقومية هوي الصينية، ترجمة: أحمد السعيد، بكين، 2012م.

أجمل ما قدمه هذا الكتاب هو ترجمة العديد من الأختام والعلامات الصينية إلى اللغة العربي، ورغم كبر حجم محتوى الكتاب، والذي بلغ (448) صفحة غير أنه جاء مقتصراً على آثار قومية مسلمة واحدة ببلاد الصين ممن أثروا التجارة والحضارة عبر طرق الحرير، وهي قومية (هوي)، ورغم أنها أكبر القوميات الإسلامية، إلا أن النتاج الحضاري للمسلمين الصينين على طرق الحرير يرجع إلى عشرة قوميات وليست قومية واحدة، فضلاً عن عدم تطرق الكتاب على الإطلاق إلى علاقة قومية هوي المسلمة بإخوانهم من العرب القادمين إلى بلاد الصين عبر طرق الحرير. علاوة على عدم الدقة أحياناً في الوصف الأثري للعمائر والفنون، وعدم استخدام المصطلحات الأثرية في التوصيف بصورة صحيحة؛ ربما لتخصص المترجم في اللغة الصينية، وعدم تخصصه في علوم التاريخ والآثار.

- أشرف أبو اليزيد، "طريق الحرير"، إصدارات مكتبة الإسكندرية -إدارة المشروعات الخاصة، مصر، 2013م.

انتظم محتوى الكتاب في عدد (221) صفحة، وهو مصنف علمي يُوصف بكونه معجم أدبي وتاريخي لأهم الممالك والآثار المعمارية والفنية والأعلام وثيقة الصلة بطرق الحرير، غير أن معلومات جاءت مختصرة ومركزة للغاية والمحتوى به مرتب أبجديّاً؛ بما يتفق مع أشكال المعاجم، فلم يُقدم الكتاب مقارانات أو تحليلات تاريخية واضحة، واكتفى بالجانب التعريفي المختصر لكل جزئية على حدي كمعجم دون الربط بين أجزاء المحتوى. وأرى أن الكتاب لم يهتم بسرد تاريخ طرق الحرير، بقدر ما انصب اهتمامه على ذكر من زار وارتحل ومر بطرق الحرير، بل أولى الاهتمام الأكبر لمن تحدثوا عن طرق الحرير في مذكراتهم وكتاباتهم. فالكتاب يتحدث عمن تحدث عن طرق الحرير، وليست الطرق ذاتها.

- يوهان أيلفركوغ، البوذية والإسلام على طريق الحرير، تعريب وتعليق: عبد الجبار ناجي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، الطبعة الأولى، 2016م.

بذل المؤلف الأمريكي جهداً للتعمق ورصد أوضاع الدين والتجارة على طرق الحرير، من حيث انتقال البوذية عبر التاريخ إلى مناطق أفغانستان، إيران، باكستان. ويقع المحتوى العلمي للكتاب في (340) صفحة تنصب جميعها إلى بيان العلاقة بين تاريخي البوذية والإسلام، ورغم تحديد البعد الجغرافي في عنوان الكتاب، وهو طريق الحرير -مع التحفظ على لفظة طريق المفردة؛ لأنها بالجمع أكثر صحة ودلالة- ولكن سرد الأحدث يميل إلى مدن شبه القارة الهندية أكثر من غيرها على طرق الحرير، كما أن الكتاب أغفل العلاقة بين البوذية الصينية والعرب المسلمين على طرق الحرير، رُغم وجود علاقات تاريخية وتجارية جمعت بينهما.

لم يُقدم نصوص وأدلة تاريخية من المصادر الأصيلة التي أرّخت لطرق الحرير، كمصادر التاريخ العربية وكتابات الرحالة العرب والمسلمين إلا فيما ندر، فضلاً عن عدم ذكر نصوص تاريخية من الكتب الصينية والهندية أيضّاً، واعتمد الكتاب بشكل كبير على المقالات والكتب المنشورة في أوروبا حديثّاً، في حين أجاد المؤلف في دحر بعض الشبهات العالقة بموقف الإسلام من الديانات والقوميات الأخرى في الشرق الآسيوي.

بناءً على ما سبق تأصيله، سوف تنتظم هذه الدراسة البحثية في المحاور التالية:

المحور الأول: التأصيل وتسمية "طرق الحرير"

أولاً: تأصيل الحوار الحضاري عبر طرق الحرير[1]

في عام (138 ق.م)، أرسلت إمبراطورية أسرة هان الغربية[2] الصينية (206ق.م-24م) تشانغ تشيان مبعوثاً لها، إلى ما كان يُسمّى آنذاك بالمناطق الغربية، وهي منطقة آسيا الوسطى حالياً[3]، فتشكلت الملامح الأولى لما صار يُعرف لاحقاً بطرق الحرير، والذي عزز التبادلات الاقتصادية والتجارية بين الصين ووسط وغرب آسيا، بل وأوروبا وأفريقيا. منذ ذلك الوقت، بدأ تداول وتبادل المنتجات الصينية مثل: الورق والبوصلة والبارود وفن الطباعة والحرير والشاي والأواني الخزفية، مع منتجات مناطق غرب الصين مثل: العطور والتوابل والأحجار الكريمة عبر هذه الطرق، فكان هذا التطور الجغرافي الكبير في عهد أسرة الهان الغربية، حيث تم استغلال منطقة غرب الصين لأول مرةٍ، وقامت بنقل الحرير الصيني بواسطة طرق الحرير، إلى إيران وغرب آسيا. فلم تكن طرق الحرير طرقا تجارية فحسب، بل كانت طرقا لنقل التقاليد الشعبية والثقافة والأفكار؛ وطرقا للحوار الحضاري الممتد والمؤثر بين أقطار الشرق الآسيوي والعالم[4].

---

1. أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى اللجنة القطرية لحوار الحضارات، والتي شَرُفتْ بتكريمها لي عند الفوز بالمركز الأول في جائزة قطر لحوار الحضارات-الدورة الثانية لعام 2019م، ويُعد الكتاب الفائز في هذه الجائزة هو ركيزة أساسية تم الرجوع إليه في قطوف من هذا البحث؛ ونواة رئيسة في صياغته. محمد أحمد عبد السلام، أثر هجرة المسلمين في ثقافة وفنون الشرق الأقصى، جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، قطر-الدوحة، 2019م.

2. يُعَدُّ ليو بانغ ولقبه هان قاو تسو، وهو الإمبراطور الأول لأسرة الهان، واتخذ من مدينة تشانغان في غرب الصين عاصمة للإمبراطورية الجديدة، واستمر حكم أسرة الهان الغربية للصين في الفترة ما بين (206ق.م–24م). تطورت صناعة الحرير في عهد أسرة الهان الغربية تطورا كبيرا، وأنتجوا من الحرير المنسوجات المطرزة والشفافة، كما كان لأسرة الهان الغربية قصب السبق في صناعة الورق للكتابة، وصنعوه من ألياف الحرير، ثم من ألياف الكتان.
Valerie Hansen, The Silk Road A New History, book world, New York, 2015, p.71.
كعادة التاريخ الصيني القديم، ثار الفلاحون لسوء أحوالهم الاقتصادية ضد أسرة (الهان الغربية)، وتم القضاء عليها في عام (24م)؛ لتبدأ الصين مرحلة جديدة من تاريخها، وهي فترة أسرة الهان الشرقية (204-24م) ازداد فيها الاهتمام بطرق الحرير. جيا وجيان، تاريخ الصين، سلسلة كتب سور الصين العظيم، الجزء الأول، دار مجلة بناء الصين، الطبعة الأولى، بكين، 1986م، ص46.

3. أصبحت منطقة آسيا الوسطى من أهم المحطات التجارية عبر طرق الحرير، ومن أهم المراسي للقوافل التجارية العربية.

4. Xinru Liu, A Silk Road Legacy "The Spread of Buddhism and Islam", Journal of World History, University of Hawai'i Press on behalf of World History Association, March 2011, Vol. 22, No.1, p.56.

ثانيّاً: مسميات طرق الحرير

حملت طرق الحرير أسماء كثيرة، مثل "طريق اليشم"[5]، و"طرق الأحجار الكريمة" و"طرق البوذية" و"طرق الفخار والخزف"، وبعض مسمياته جاءت نابعة بالكلية من ثقافة الصين القديمة، فأطلق عليه الصينيون "طرق ما بين أشجار الصفصاف"، "طرق نبع التنين"، ولكن كل اسم من تلك الأسماء كان يخص جزءاً أو طريقاً فرعيّاً أو مسلكاً محدداً من طرق الحرير، كما عكس هذا الثراء في التسميات ومدلولاتها التنوع الحضاري والفكري الذي شَهِدَته طرق الحرير على مدار قرون طويلة من التاريخ الإنساني[6].

في عام (1294هـ/1877م)، أطلق عليه عالم الجغرافيا الألماني فرديناند فون ريشتهوفن مُسمّى "طرق الحرير" لأول مرة، ثم عُرف في العالم بهذا الاسم حتى الآن، وطرق الحرير التي ذكرها ريشتهوفن كان يقصد به الجزء الذي يتم من خلاله تبادل تجارة الحرير، وهو بين نهر آمو داريا -جيحون- ونهر سير داريا -سيحون- بين الصين والهند، وبعد ذلك، تم تعميم المصطلح على الطرق التجارية، والتي تربط الصين بالغرب لتوصف جميعها بـ(طرق الحرير)؛ حيث كان الحرير أشهر سلعة تجارية تصدرها الصين عبر طرق الحرير، وكان الصينيون عندما يذهبون إلى المناطق الواقعة غرب بلادهم أو أبعد من ذلك، يقدمون الحرير هدية للتعبير عن الصداقة،

5. اليَشْم أو اليَشْف أو اليَشْب الأخضر من الأحجار الكريمة. لويس معلوف، المنجد في الأدب واللغة والعلوم، حرف (ي) مادة يشب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 2009م، ص926. ويُعرف منذ قرابة 6000عام، ويتخذ لصناعة الأدوات والزينة، عادةً يكون لونه أخضر ولكنه يوجد بجميع الألوان ما عدا الأزرق. ويكثر استعماله في الصين حيث تُعتبر الأيقونات والتمائم والحلي المصنوعة منه جالبةً للحظ والسعادة في المعتقدات الصينية القديمة. مجموعة من الباحثين، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1983م، ص284. يوجد من اليشم نوعان، وهما: الجاديت أو اليَشميت وهو الأكثر غلاءً وجمالاً ويتكون من سيليكات الألمنيوم والصوديوم. والنفريت، والذي يتكون من سيليكات الكالسيوم والمغنيسيوم والحديد. عبد الحكيم الوائلي، موسوعة الأحجار الكريمة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2001م، ص343. أمّا عن أصل تسمية اليشم: فثبت أن للمفردة أصل عربي عريق وكشف عن ذلك ويل ديورانت عندما ذكر أنها أُخذت عن الكتبة الآشوريين. ول ديورانت، قصة حضارة، "الشرق الأدنى" الجزء 2، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل للطبع والتوزيع، لبنان، 1971م، هامش ص283. ولم يكن أصلها من الفارسية أو اليونانية كما زعم بعضهم. منير البعلبكي، المورد قاموس، إنكليزي، عربي، دار العلم للملايين، الطبعة 7، بيروت-لبنان، 1977م، ص1252.

6. تعددت مسميات طرق الحرير؛ وفي ذلك دِلالة بالغة على تنوع وظائف هذه الطرق، فلم تكن ممرات تجارية فحسب، بل ساهمت أيضّاً في نقل الفنون بشتى أنواعها، وكذا نقلت المذاهب الدينية والثقافات المختلفة. إيرين فرانك، ديفيد براونستون، طريق الحرير، ترجمة: أحمد محمود، طباعة المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، مطابع الأهرام، القاهرة، 1989م، ص34.

وكان قادة ونبلاء الدول الغربية يعتزون بارتداء الحرير الصيني الملون بالأحمر الفينيقي، وكانت ملكة مصر المشهورة كليوباترا[7] تستقبل المبعوثين، وهي مرتدية لباساً من الحرير الصيني، كما اكتشف الحرير الصيني في مقبرة من الحضارة المصرية القديمة يرجع تاريخها إلى ألف سنة قبل الميلاد[8].

المحور الثاني: تاريخ ازدهار وتراجع الحوار الحضاري عبر طرق الحرير

يمكن القول إجمالاً، بأن الحوار الحضاري ازدهر وبلغ أوج مظاهر تأثيره بين الأمم المتعاونة عبر طرق الحرير في العصر الإسلامي، ومن نافلة القول أن نذكر أن الحوار الحضاري ارتبط ارتباطاً وثيقاً بحالة التجارات الواقعة عبر طرق الحرير، فكلما كان التوغل التجاري أكثر كلما كانت حالة الحوار الحضاري أوسع. فعن تاريخ ازدهار مكانة طرق الحرير، فقد شهدت طرق الحرير أوج ازدهارها منذ فترة سلالة هان/أسرتي هان الغربية والشرقية (206ق.م - 220م)، وأثبتت البحوث الأثرية أن مروج وادي النيل وبلاد الرافدين ووادي السند وشمالي النهر الأصفر، كانت بها طرق تتكون من خطوط تجارية على نطاق صغير، وفي مصر اكتشف حجر اللازورد، والذي كان يستخرج في أفغانستان ويرجع تاريخه إلى أكثر من خمسة آلاف سنة، وهذا يثبت أن المصريين القدماء عرفوا التجارة على نطاق معين على طرق الحرير[9].

بعد حوالي ألف سنة، بدأت تجارة حجر اللازورد تدخل قرية هارابا في وادي السند، وأصبح حجر اللازورد من الكنوز السبعة النفيسة للبوذية، وبعد وقت قصير، دخل حجر اللازورد الصين، حيث اكتشف في مقبرة زوجة الإمبراطور وو دينغ لأسرة شيانغ فيما بين القرنين (11-16ق.م) حجر اليشم اللين -الفريت- المستخرج في

7. لملكة كليوباترا السابعة والمعروفة باسم كليوباترا، وهي ابنة بطليموس الثاني عشر، وخلفته كملكة على مصر عام 51ق.م، كآخر ملوك الأسرة المقدونية.

Joyce A. Tyldesley, Chronicle of the Queens of Egypt "From Early Dynastic Times to the Death of Cleopatra", Thames & Hudson, 2006, P.203.

8. Sven Hedin, The Silk Road, Ten Thousand Miles through Central Asia, TPP, 2009, p.42.

9. Henry C. Fenn, A Sketch of Chinese History and advanced level text for modern Chinese, New York, 1983, p.64.

منطقة شينجيانغ، وذلك يثبت أن الصين بدأت التبادلات التجارية مع المناطق الواقعة غربها والغرب الأقصى وأمّة العرب عبر طرق الحرير منذ فترات تاريخية بعيدة، تمتد لأكثر من ألفي عام[10].

ذكر الدكتور قوه وو، باحث بمركز الدراسات الأثرية بالأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية: "إن الأواني البرونزية، والتي اكتشفت في الصين وروسيا وهضبة منغوليا خلال أعمال الحفائر الأثرية، كانت تصدر من شمالي الصين في نهاية أسرة تشو الغربية[11] فيما بين القرن (11 ق.م حتى عام 771 ق.م)، وانتشرت في المناطق الأورو آسيوية؛ مما يُعَدُّ دليلاً مادياً مهماً لبداية التبادلات الثقافية بين الشرق والغرب"[12].

دُوِنَ اسم المبعوث الصيني تشانغ نشيان (164 - 114ق.م)، كأول مبعوث صيني لأسرة هان الغربية[13] (206ق.م - 24م) إلى آسيا الوسطى، والذي رأى في سوق داشيا -أفغانستان حالياً- العكاز الخيزراني، وقماش شو المصنوعين في جنوب غربي الصين، وذلك يثبت أن منطقة جنوب غربي الصين كانت تتبادل التجارة مع دول آسيا الوسطى عبر طرق الحرير منذ أزمنة غابرة. وفي عام (138 ق.م)،

10. F. L. Hawks Pott, A Sketch of Chinese History, with a foreword by T. S. Wentworth, Historical books of the World, New York, 2011, p.55.

11. حكمت أسرة تشو الغربية بلاد الصين بعد أسرة شانغ، واتخذت مدينة هاوجينغ عاصمة لها، وهي مدينة تقع جنوب غرب مدينة شيآن بمقاطعة شانشي الصينية، وشهدت مدينة هاوجينغ كعاصمة أسرة تشو الغربية أول ظهور للسجلات التاريخية الصينية.

Kyong-Mcclain Rohlf, Jeff Kyong-McClain and Yongtao Du, Chinese History in Geographical Perspective, London, 2015, p.37.

اتسعت حدود بلاد الصين في عهد هذه الأسرة وزاد نفوذها، وتقدمت الحرف اليدوية في عهد أسرة تشو الغربية، وصارت أكثر تعقيداً وتطوراً. ونظرا لاضطهاد العبيد في عصر أسرة تشو الغربية، قاموا بانتفاضةٍ مسلحةٍ في عام (841 ق.م) للقضاء على حكم هذه الأسرة، ونجحت في القضاء على حكم الأسرة تماماً عام (771 ق.م)؛ لتبدأ الصين مرحلة جديدة من تاريخها القديم.

Michael Szonyi and Michael Szonyi, A Companion to Chinese History, Publishing by Wiley, New York, 2017, p.24.

12. Frederic E. Wakeman, and others, Telling Chinese History, A Selection of Essays, Lea H. Wakeman, New York, 2009, p.73.

13. نظراً لظلم واستبداد أسرة تشين السابقة لأسرة الهان الغربية، قام الفلاحون بانتفاضةٍ ضدهم، وهى بمثابة أول حربٍ للفلاحين ببلاد الصين، وانتهى معها حكم أسرة تشين؛ ليبدأ حكم أسرة الهان الغربية.

L. Carrington Goodrich, A Short History of The Chinese People, Angu & Srobertson world book, New York, 2008, p.98.

قاد تشانغ تشيان وفداً مكوناً من مئة شخص من مدينة تشانغ آن إلى مناطق آسيا الوسطى عابراً طرق الحرير[14].

الشكل (1): أقدم تصويرة جدارية عثر عليها في مدينة أفراسياب (سمرقند)، تُؤرخ لطرق الحرير وتبادل التجارة والفنون والثقافة عبر مسالكه منذ آلاف السنين.
عن: (مرجع روسي يتضمن بعض نتاج حفائر طرق الحرير)

Н.ФЛисова:ОРНАМЕНТГЛАЗУРОВАННОЙ ПОСУДЫЗОЛОТООРДЫНСКИХ ГОРОДОВНИЖНЕГО ПОВОЛЖЬЯ Казань, pic.32.

في عام (119 ق.م)، أرسل الإمبراطور الصيني هان وو دي عام (156 – 87ق.م) تشانغ تشيان إلى المناطق الغربية للمرة الثانية، حيث زار العديد من الدول في المناطق الواقعة غرب بلاد الصين، بينما أرسلت دول المناطق الغربية مبعوثين إلى مدينة تشانغ آن، فتعاظمت التبادلات والاتصالات بين سلالة هان الصينية والمناطق الغربية عبر طرق الحرير[15].

14. Cindy Jenson-Elliott and Cynthia L Jenson-Elliott, Ancient Chinese Dynasties, Understanding world history, London, 2014, p.133.

15. Qizhi Zhang, An Introduction to Chinese History and Culture, Springer, China Academic Library, 2015, p.27.

في عام (73م)، أرسلت أسرة هان الشرقية[16] (25 - 220م) المبعوث بان تشاو (32 - 102م) إلى المناطق الغربية، وكان بان تشاو أرسل قان ينغ إلى الإمبراطورية الرومانية، كما وصل قان ينغ إلى منطقة الخليج العربي في عام 166م. وفي الوقت ذاته، جاء مبعوث من الإمبراطورية الرومانية إلى مدينة لو يانغ، فيما يُعَدُّ أول تبادل دبلوماسي للدول العربية والأوروبية مع الصين عبر طرق الحرير[17].

في فترة أسرة تانغ[18] (618 - 907م)[19]، دخلت الفنون التطبيقية والصناعات اليدوية في عهد أسرة تانغ/تانج[20] مرحلةً جديدةً، حيث ظهرت المعامل الكبيرة، والتي تديرها الحكومة، وتنتج ما يحتاجه بلاط الإمبراطور والأمراء وموظفي الحكومة، ذلك بالإضافة إلى استمرار الورش الفنية الصغيرة الخاصة، والتي تشمل قطاعات نسج الحرير، وصناعة الورق، والصباغة وصهر الحديد، وسبك الأدوات المتعددة، وغير ذلك من الصناعات[21]. هذا التطور الصناعي الكبير أتبعه تطوراً كبيراً في الرواج التجاري بطرق الحرير، حيث شهدت طرق الحرير تطوراً سريعاً في تلك الحقبة التاريخية، وكان عدد العرب الذين استقروا في الصين حينها قرابة أربعة

16. استطاع ليو شيو أن يغتصب ثمار النصر الذي حققه الفلاحون، ونَصَّبَ نفسه إمبراطورا للبلاد؛ معلنا تأسيس أسرةٍ جديدةٍ، وهي أسرة الهان الشرقية وذلك في عام 24م، واتخذت من لو يانغ عاصمةٍ لها. وعملت حكومة الهان الشرقية على تطوير العلاقات مع الدولة الرومانية، فأرسلوا إلى أوروبا سفيرا يُدعى قان يانغ، حيث بدأ رحلته عبر طرق الحرير عام 97م، وانتهى عند الخليج العربي، ولكنه لم يستطع مواصلة السير إلى أوروبا.

17. جيا وجيان، تاريخ الصين، سلسلة كتب سور الصين العظيم، الجزء الأول، ص26.

18. تولى لي يوان (566–635م) حكم البلاد، وهو أحد كبار الموظفين في حكومة أسرة سوي السابقة لأسرة التانغ، وقد استولى على العاصمة تشانغا، ونصب نفسه إمبراطوراً ولقب قاو تسو معلناً إنشاء أسرة تانغ (618–907م). أما عن نهاية أسرة تانغ، فقد أهمل الأباطرة شؤون الحكم في الفترات الأخيرة من عهد هذه الأسرة؛ مما أدى إلى تدهور البلاد، وسوء أحوال الشعب، فقام الفلاحون بانتفاضة فشلت في بداية الأمر، ولكنها استطاعت في النهاية القضاء على أسرة تانغ في عام (295هـ/907م)؛ لتبدأ الصين مرحلةً جديدةً من تاريخها. جيا وجيان، تاريخ الصين، الجزء الأول، ص97,96.

19. استمر حكم أسرة تانغ حتى نهاية القرن الثالث الهجري وتحديداً حتى عام 295هـ، فتزامن مع عصر الخلفاء الراشدين؛ وعصر الدولة الأموية؛ والفترة المبكرة من عصر الخلفاء العباسيين؛ لتكون تلك الفترات بداية الاتصال الحضاري والدبلوماسي بين العالم العربي والإسلامي وبين بلاد الصين.

20. يُضبط اسم هذه الأسرة الصينية باللغة العربية بحرفي (غ/ج)، فتُكتب تانغ أو تانج، وإن كان الأكثر صحة وتداول كتابتها بحرف الغين تانغ؛ وذلك وفق المراجع المعربة من اللغة الصينية على أيدي مؤلفين مسلمين صينيين يجدون اللغتين العربية والصينية.

21. E. R. Lyman and Theodore Wong, Chronological Tables of the Chinese Dynasties “From the Chow Dynasty to the Ch’ing Dynasty”, Publishing by Schalar Select , New York, 2015, p.104, 107.

آلاف فرد، وذلك في عام 879م، حيث بلغ عدد المسلمين واليهود والمسيحيين والمجوس ما بين مئة وعشرين ألفا ومئتي ألف فرد، مما يوضح التبادلات والاتصالات بين الصين ودول آسيا الوسطى وآسيا الغربية كانت كبيرة، واستقر عدد من أبناء تلك المناطق في الصين بعد وصولهم إليها عبر طرق الحرير[22].

في عصر أسرتي سونغ الشمالية والجنوبية[23] (349 - 668هـ/ 960 - 1270م)، شهدت الحرف اليدوية مثل صناعة الخزف والمنسوجات الحريرية، تطوراً عظيماً فيعهد أسرتي سونغ، فقد انتشر ثلاثون تنوراً -أفران حرق الخزف- لصناعة الخزف في مختلف أرجاء الصين آنذاك، وساعد ذلك على تنوع الانتاج الخزفي، وتعدد أشكال الأواني الخزفية، وانتقل اقتصاد الصين إلى الجنوب، فازدادت التجارة الخارجية في جنوبي الصين، مما عَزَّزَ ازدهار طريق الحرير في جنوبي الصين، وأصبحت مدن قوانغتشو، تشنغدو، تشيوانتشو قوى اقتصادية كبرى في جنوبي الصين، وذوات تواجد تجاري مؤثر على طرق الحرير[24].

كما نُقِلَ أكثر من مئتي نسَّاج من مدينة سيتشوان، والتي كانت تنتج أرقى المنسوجات وقتها إلى العاصمة دونغ سينغ، والتي انتشرت بها الورش الفنية لصناعة النسيج تحت إشراف الحكومة في كايغنغ ولويانغ ورونتشو ومحافظة سانتاى، فازدادت أصناف المنتجات الحريرية وتعددت ألوانها كأهم سلعة تجارية صينية تُنقل عبر طرق الحرير إلى بلاد العرب[25]. وأدى هذا التقدم الفني إلى رواج اقتصادي، حيث ظهرت أول عملة ورقية في العالم، وكانت تُسمى جيارتي في عهد أسرتي سونغ،

22. Bai Shouqi (白寿弃), “中国穆斯林的历史贡献”=”The Historical Contributions of Chinese Muslims”, “应邀出席在阿尔及利亚召开, 第13 伊斯, 兰思想讨论会上所 发表的学术论文, 页 6-11”= “Algeria: Session of the Islamic Seminar 13, China, 1979, p.113.

23. استطاع سونغ تاى سو مؤسس أسرة سونغ أن يُرسي قواعد حكمه في عام (349هـ/960م)، لتبدأ الصين مرحلةً جديدةً من تاريخها، واختار مدينة دونغجينغ -مقاطعة خنان حالياً- عاصمةً له، وكان ذلك بشمال الصين، فعرفت بأسرة سونغ الشمالية تميزاً لها عن أسرة سونغ الجنوبية، والتي حكمت بعدها في الفترة ما بين (668-521هـ/1127–1270م). مجموعة علماء، خمسة آلاف من تاريخ الصين، الجزء الأول، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، 2018م، ص134.

24. Michael Dillon, A Modern History, Paperback Publishing, New York, 2012, p.122.

25. Patricia Buckley Ebrey and Patricia Ebrey, Women and the Family in Chinese History, Central Asia Scholarship, New York, 2002, p.10.

وتقدمت فنون الطباعة وتطور استخدام البوصلة وصناعة البارود بشكل كبير في عهد أسرتي سونغ (349 - 668هـ/960 - 1270م)[26].

قاد جنكيز خان (557 - 624هـ/1162 - 1227م)، مؤسس الإمبراطورية المغولية، الفرسان المغول لغزو آسيا الشمالية، فعادت طرق الحرير البرية إلى الظهور، كما وصل المغول إلى آسيا الغربية، ونشطت التجارة بين الصين من ناحية وبين العرب وإيران وأوروبا من ناحية أُخرى، فكان حكم أسرة يوان[27] المغولية لبلاد الصين (669 - 769هـ/1271 - 1368م) من أوج فترات ازدهار الرواج التجاري الصيني العربي عبر ممرات ومسالك طرق الحرير، وبعد انتهاء تلك الحقبة المغولية اليوانية، شهدت طرق الحرير البرية ركوداً تدريجياً، ويرجع ذلك لعدة أسباب، منها:

1. فتح الدولة العثمانية للقسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في عام (857هـ/1453م)، فصارت التبادلات التجارية بين أوروبا والصين أكثر صعوبة[28].

26. جواد الحمد، بحث بعنوان "الصين والعرب خطوات هادئة وطموحات كبيرة"، مجلة دراسات شرق أوسطية، الأردن، المجلد12، العددان43،42، 2008م، ص136-133. عرف الصينيون الإبرة المغناطيسية، والتي كانت تثبت على القرص النحاسي فكرة البوصلة؛ وذلك لتحديد الاتجاهات، وقد ساعدهم ذلك في تطور الملاحة البحرية، وساعدت في نقل السفن الصينية إلى الهند والبلدان العربية وإيران. عبد السلام الأدهمي، الصين الجديدة، دار العلم للملايين، بيروت، 1954م، ص12.

27. استطاع الإمبراطور قوبلاي خان حفيد جنكيز خان، أن يقضي على دولة سونغ الجنوبية؛ ليصبح إمبراطوراً للصين، واتخذ بكين عاصمةً له؛ وأعلن رسمياً اسم دولته يوان في عام (669هـ/1271م). والتي استمرت في حكمها لبلاد الصين (769-669هـ/1271–1368م)، ليكون قوبلاي خان أول إمبراطوراً حقيقياً لأسرة يوان بالصين، واستمر حكمه (693-669هـ/1294-1271م).

Paul Ratchnevsky, Genghis Khan His Life and Legacy, Angus and Robertson, 1993, p.67.

بلغ التقدم الحضاري في عهد أسرة يوان بالصين مبلغاً عظيماً، فتذكر لنا سجلات التاريخ الصيني أن الورش الفنية التابعة للحكومة في عهد أسرة يوان بلغت مليون ورشة؛ لصناعة الفنون التطبيقية المختلفة، وقد جلبوا الصناع من كل مكان في الصين؛ للعمل في هذه الورش الفنية الخاضعة للحكومة مباشرةً. كما تميزت الصين في عهد أسرة يوان بعلاقات خارجية وثقافية قوية للغاية، حيث كانت من أقوى وأغنى بلدان العالم. أما عن نهاية حكم أسرة يوان للصين؛ فنتيجةً لاتباع أسرة يوان سياسة الإقطاع، وظلم الفلاحين وعدم المساواة بينهم، أدى ذلك إلى غضب شديد انتهى بزوال حكم أسرة يوان في عام (1368م)، وسقوط عاصمة يوان بكين الكبرى.

Marcel Granet, Chinese Civilization, Rutledge for Publication, London, 2013, p.225.

28. عبد العزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار إشبيلية، الرياض، ط1، 1418هـ/1997م، ص383.

2. اكتشاف فاسكو دي جاما[29] لطريق رأس الرجاء الصالح بالمحيط الهندي في عام (903هـ/1498م)، مما حول الاهتمام إلى الطريق البحري[30].

3. تعرض البيئة الإيكولوجية[31] على طرق الحرير للتخريب الشديد، واندثار محطات المدن عليه في رمال الصحراء. ونتج عن ذلك نزوح العرب والدول الأوروبية وكل من لهم علاقات تجارية مع الصين إلى الملاحة البحرية، وذلك خلال القرنين (8-9هـ/14-15م)، ووجد الناس أن السفر بالبحر أكثر سلامة؛ فتراجعت مكانة طرق الحرير البرية ليحل محلها طرق الحرير البحرية منذ ذلك الوقت.

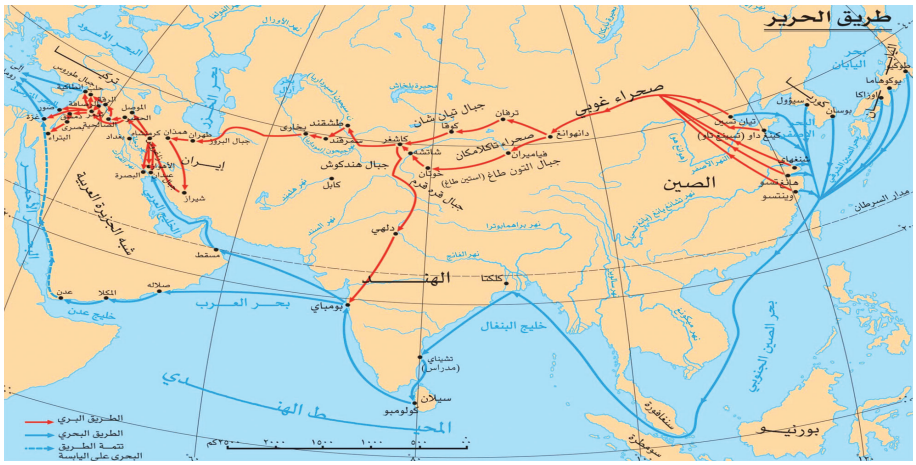

الشكل (2): طرق الحرير البرية والبحرية، وتجارات الصين وبلاد العرب، ومسالك عبور تجارة العرب لصحراء غوبي وهضبة التبت ومنطقة منغوليا. عن:
http://www.arab-ency.com/servers/gallery/1-4864.jpg

29. فاسكو دا غاما (بالبرتغالية: Vasco da Gama): وُلد في 1469م في البرتغال وتُوفِي في 24 ديسمبر 1524م في كاليكوت بالهند، ورُغم تاريخه الدموي يُعدُّ من أهم مستكشفي البرتغال في عصر الاستكشاف الأوروبي، وهو أول من سافر من أوروبا إلى الهند بحراً.
Bailey W. Diffie, and George D. Winius, Foundations of the Portuguese Empire, 1415–1580, New York, 2011, p.176

30. جيا وجيان، تاريخ الصين، سلسلة كتب سور الصين العظيم، الجزء الثاني، دار مجلة بناء الصين، الطبعة الأولى، بكين، 1986م، ص7.

31. قُصد به بيئة طرق الحرير نفسها، وما بها من مكونات وإمكانات طبيعية وبشرية ومادية ومعنوية.
M. Gross, "Human geography and ecological sociology: the unfolding of human ecology, 1890 to 1930 – and beyond", Social Science History, 2004, p.605.
حيث أدى هجر هذه المكونات البيئية للطرق الحرير إلى التأثير سلباً على طرق ومسالك الحرير، والعزوف عن وحشية الطريق البري إلى الطرق البحرية كبدائل أكثر أماناً وسهولة في التنقل.

في عصر أسرة مينغ[32] (769 - 1054هـ/1368 - 1644م)، تقدمت الحرف اليدوية في عهد أسرة مينغ/مينج[33]، حيث أطلق على أرباب الحرف اسم "صُنَّاع" كمصطلح مهني محدد، يخص كل فئة منهم تعمل في فن تطبيقي معين، وكان لزاماً عليهم أن يعملوا عشر أيام في الشهر في مصانع وورش الدولة بالعاصمة الصينية، وكان الصُنَّاع من خارج العاصمة يأتون ليعملوا في الورش الفنية الإمبراطورية ثلاثة أشهر في كل ثلاث سنوات[34].

لعل من الشواهد التاريخية على تقدم الفنون التطبيقية في عهد أسرة مينغ الصينية، ما ذكر في كتاب الإبداع السماوي، وهو من أشهر المؤلفات في عهد أسرة مينغ، حيث أسهب هذا الكتاب في وصف العديد من الفنون التطبيقية، مثل صناعة الخزف والمنسوجات والمنتجات المعدنية، كما قَدَّمَ وصفاً للورش الفنية والحكومية آنذاك، وأُطلق على هذا الكتاب اسم "الموسوعة الصينية للمهن الحرفية في القرن السابع عشر"[35].

أمَّا فيما يخص الرواج التجاري بطرق الحرير في عهد أسرة منيغ الصينية، فيُعَدُّ عهد هذه الأسرة آخر عهود التجارة والتبادل الفني والاقتصادي بين الصين والعرب عبر طرق الحرير البرية، حيث لَفَظَتْ التجارة البرية أنفسها الأخيرة في عصر أسرة مينغ[36].

32. استولى تشو يوان تشانغ أحد الفلاحين الثائرين على أسرة يوان، على العاصمة بكين وتولى الحكم بها، وأسس أسرة جديدة في التاريخ الصيني؛ تعرف باسم أسرة مينغ، وامتدت فترة حكمها ما بين (1054-769هـ/1368–1644م).
Shih-Shan Henry Tsai, The Eunuchs in the Ming Dynasty, Angus and Robertson, 1995, p.33.
أما عن نهاية أسرة مينغ، والتي استمر حكمها لبلاد الصين 276سنة، فبعد سوء أحوال الفلاحين الاقتصادية قاموا بثورة ضد حكم أسرة مينغ وأسقطوها، ثم بدأت بعدها صفحات جديدة من تاريخ الصين على يد أسرة تشينغ التي اعتلت حكم البلاد.
Jacques Gernet, A History of Chinese Civilization, the British Museum publications, London, 1996, p.69.

33. يُضبط اسم هذه الأسرة الصينية باللغة العربية بحرفي (غ/ج)، فتُكتب مينغ أو مينج، وإن كان الأكثر صحة وتداول كتابتها بحرف الغين مينغ؛ وذلك وفق المراجع المعربة من اللغة الصينية على أيدي مؤلفين مسلمين صينيين يجدون اللغتين العربية والصينية.

34. Jessica Harrison-Hall, Craig Clunas, Ming 50 Years That Changed China, the British Museum press, 2014, p.28.

35. Derk Bodde, Charles LeBlanc, and others, Essays on Chinese Civilization, publication Centre Library, London, 2014, p.287.

36. Frederic E. Wakeman, and others, Telling Chinese History, A Selection of Essays, Lea H. Wakeman, New York, 2009, p.73.

في عصر أسرة تشينغ[37] (1054 - 1329هـ/1644 - 1912م)، لم يذكر خلال عصر هذه الأسرة أيّة إشارات للتوهج التجاري والتبادلات الفنية والاقتصادية عبر طرق الحرير، وحلّتْ التجارة البحرية محل التجارة البريّة بشكل كامل، ولكن ظَلَّت طرق الحرير جزءاً لا يتجزأ من تاريخ وحضارة الصين، وتراث حضاري يسكن أذهان أبناء الأمة الصينية كأقدم جسر بري بينهم وبين جميع البلاد الواقعة غرب الصين[38].

استمر حكم سلالة تشينغ/تشينج[39] للصين حتى عام (1329هـ/1912م)[40]؛ وبانتهاء حكم أسرة تشينغ انتهى عصر حكام الأسرات ببلاد الصين؛ وبدأت الصين مرحلة جديدة في تاريخها الحديث، وهي مرحلة الحكم الجمهوري، والتي تتمثل في بناء جمهورية الصين الحديثة، واهتمت الصين حديثاً بمشروع قومي كبير يحمل مُسمّى "الطريق والحزام"[41]، بالشراكة مع منظمة اليونسكو العالمية؛ وهو مشروع يهدف إلى إعادة إحياء طرق الحرير، والتوثيق الحضاري والأثري لمحطات طرق الحرير، وما بها من فنون وحضارة وعمائر[42].

37. استطاع الإمبراطور اللي تسى تشانغ أن يدخل العاصمة بكين منتصراً، وذلك في عام (1054هـ/1644م)، ويؤسس آخر أسرة إقطاعية في تاريخ الصين، وهي أسرة تشينغ، والتي حكمت حتى مطلع القرن العشرين، وأبقى بكين عاصمة الحكم للأسرة الجديدة.

Miranda Brown and Conrad Schirokauer, A Brief History of Chinese Civilization, Fourth Edition, book world, 2011, p.57.

38. Endymion Porter Wilkinson, Chinese History, A New Manual, Harvard University, Asia Studies, 2015, p.193.

39. يُضبط اسم هذه الأسرة الصينية باللغة العربية بحرفي (غ/ج)، فتُكتب تشينغ أو تشينج، وإن كان الأكثر صحة وتداول كتابتها بحرف الغين تشينغ؛ وذلك وفق المراجع المعربة من اللغة الصينية على أيدي مؤلفين مسلمين صينيين يجدون اللغتين العربية والصينية.

40. يوجد اختلاف طفيف في المراجع التاريخية حول نهاية أسرة تشينغ، هل في سنة (1911م) أم في سنة (1912م)؟ والراجح لدى الباحث بعد تتبع تاريخ الأسرة، أنه يمكن الجمع بين التاريخين على النحو التالي، أن بداية سقوط الأسرة كان في نهاية سنة (1328هـ/1911م)، وتم السقوط فعلياً في أوائل سنة (1329هـ/1912م)؛ لتنتهي أحقاب الأسرات الحاكمة لبلاد الصين.

41. هي مبادرة صينية قامت على أنقاض طريق الحرير في القرن التاسع عشر من أجل ربط الصين بالعالم، ليكون أكبر مشروع بنية تحتية في تاريخ البشرية.

Giannalberto Bendazzi, Twice the First, Boca Raton: Taylor & Francis, CRC Press. Translation of: Due volte l'oceano: CRC Press, 2018, p.69-73.

42. Charles Desnoyers, Patterns of Modern Chinese History, Oxford University, 2016, p.8.

الشكل (3): خريطة طرق الحرير براً وبحراً حول العالم وفق
أحدث ما نشره موقع منظمة اليونسكو العالمية، عن:
Group of Authors, Textiles and Clothing along the Silk Roads,
UNESCO Press-The Silk Roads Project, China, 2021, p.239.

المحور الثالث: ممرات ومسالك طرق الحرير

اكتشف الصينيون صناعة الحرير حوالي سنة (3000 قبل الميلاد)، وعرفوا في هذا الوقت المبكر فنوناً مبهرة لإتقان صنعته وتطريزه، وأذهلت صناعة الحرير وقتها الأمم الأخرى، فسعوا لاقتناء الحرير بشتى السبل، حتى أنهم كانوا يحصلون عليه مقابل وزنه بالأحجار الكريمة أو الذهب، فمنذ خمسة آلاف سنة، بدأ الحرير وغيره من الفنون التطبيقية والسلع التجارية تأخذ طريقها من الصين إلى أرجاء العالم، واتخذت مسارات محددة من الصين وأقاصي آسيا إلى أواسط آسيا وشمال أفريقيا ووسط أوروبا[43].

يبلغ طول طرق الحرير إجمالاً قرابة (8325 كيلو متراً)، حيث يبدأ من سور الصين العظيم بمدينة تشانغ آن الصينية ثم إلى ممر مدينة كانتون الصينية، مخترقاً منها وسط آسيا مروراً بالهند وروسيا وإيران وأفغانستان حتى يصل إلى بلاد العرب

43. James Watt, and E. Wardwell Anne, When Silk Was Gold: Central Asian and Chinese Textiles, the metropolitan Museum press, New York, 1997, p.7.

فيمر بكل من بغداد وحلب ودمشق ومنهم إلى مصر اليمن وبلاد الخليج العربي حتى تصل التجارة عليه إلى إنطاكية وأوروبا، وهو طريق متشعب ومتسع ومتداخل، يتضمن العديد من الطرق الفرعية والمسالك الجانبية عبر ممراته[44].

تزايدت الاتصالات بين الشرق والغرب عبر طرق الحرير المكونة من شبكة طرق معقدة، وتذكر السجلات التاريخية الصينية أن الجوز والخيار والفلفل الأسود جلبت من الغرب، وفي عهد أسرة تانغ ما بين القرن السابع والقرن التاسع الميلادي ازدهرت طرق الحرير أكثر، حيث جلبت إلى الصين الطيور والحيوانات النادرة والمجوهرات والتوابل والأواني الزجاجية والعملات الذهبية والفضية من الغرب، والموسيقى والرقص والأطعمة والأزياء وزخارفها من غرب آسيا وآسيا الوسطى، وفي نفس الوقت صدرت المحصولات والمنتجات الصينية مثل الحرير وصناعة الورق وفن الطباعة والأواني المطلية بالملك والأواني الخزفية والديناميت والبوصلة إلى الخارج عبر طرق الحرير، فكانت طرق للحوار الحضاري والثقافي بين مختلف الحضارات العالمية. ومن الملاحة البرية إلى الملاحة البحرية، حيث انتقل الاقتصاد العالمي نقلةً كبيرة مع اكتشاف التجار أن المسارات البحرية أكثر أمناً من الطرق البرية، وصارت البضائع والثقافات الإنسانية تنتقل في مسارات بحرية منتظمة، تتجه عبر المحيط الهندي من حران آسيا الجنوبية، إلى شمال أفريقيا مروراً بالبحر الأحمر، لتستلم القوافلُ البرية البضائع من آخر نقطة في خليج السويس، لتنقلها إلى المراكب الراسية في ثغر دمياط وما حوله من موانئ[45].

فهذه المجموعة الطرق المترابطة التي كانت تسلكها القوافل براً والسفن بحراً، وتمر عبر جنوب آسيا رابطة تشآن، والتي كانت تعرف -تشانغ آن- في الصين مع أنطاكية في تركيا بالإضافة إلى مواقع أخرى في بلاد العرب والفرس وأوروبا، وكان تأثيرها كطرق تجارية يمتد حتى أقصى الشرق الآسيوي، كما كان لطرق الحرير

44. Relations between China and Arabs in the Early Era, and Zhang Junyuan, “Relations between China and the Arabs in the Early Times”, Journal of Omani. Studies (Ministry of National Heritage and Culture), vol. 6, part 1, 1983, p.102.

45. The Significance of The Silk Road in The History of Human Civilizations, Osaka, Japan, 1988, p.171.

تأثيراً كبيراً أيضّاً على ازدهار كثير من الحضارات القديمة مثل الصينية والحضارة المصرية القديمة والهندية والرومانية[46].

تتكون خطوط وممرات ومسالك طرق الحرير إجمالاً من أربعة خطوط برية كبرى، وهي:

- **الخط الأول،** وهو الخط الرئيس ذاك الطريق البري الذي سلكه تشانغ تشيان، مبعوث أسرة هان الغربية، ويبدأ من مدينة تشانغ آن، ومنها إلى ممر مدينة خشي وآسيا الغربية حتى بلاد العرب ومنها إلى أوروبا، وهذا الخط البري ليس خطاً مستقيماً، بل يشكل بعض الطرق والمسالك والممرات المتداخلة[47].

- **الخط الثاني،** وهو "طريق الحرير من جنوب غربي الصين"، حيث فُتِحَ في الأزمنة القديمة طريقاً تجاريّاً في جنوب غربي الصين، يبدأ من مدينة تشنغدو ويمر بمقاطعات يوننان وبورما والهند وباكستان ويصل إلى آسيا الوسطى، وهذا الطريق أقدم من فرع طرق الحرير السابق الذي سلكه تشانغ تشيان، وإن لم يكن في نفس شهرته ومكانته، وكانت البغال أداة النقل الرئيسة عليه، فكانت تحمل قماش شو المصنوع في جنوب غربي الصين والحرير المصنوع في مقاطعة يوننان إلى الهند، ومنها ينتقل إلى بلاد العرب وأوروبا[48].

- **الخط الثالث،** وهو طريق من فرعين أو ممرين يبدأ كل منهما من شمال الصين؛ ليخرج منه ممر شمالي الذي هاجرت من خلاله قبائل الهون إلى الغرب، ويبدأ من هضبة سيبيريا شرقاً ليعبر هضبة منغوليا وبحر آرال وبحر قزوين والبحر الأسود، ويصل إلى شرقي أوروبا، أما الفرع أو الممر الثاني فهو ممر جنوبي، يبدأ من لياوهاي ويسير مع السفح الشمالي لجبال تيانشان، ويصل إلى آسيا الوسطى وغربي آسيا وشرقي أوروبا، ويحمل هذا الطريق اسم "طريق الشاي"، لاسيما

46. Xinru Liu, The Silk Road in World History, Oxford University Press, 2010, p.14.

47. The Significance of The Silk Road in The History of Human Civilizations, p.171.

48. Xinru Liu, The Silk Road in World History, p.27.

في عهد أسرتي مينغ (769 - 1054هـ/1368 - 1644م)، وتشينغ (1054 - 1329هـ/1644 - 1912م)[49].

- **الخط الرابع،** وهو طريق الحرير البحري، فمنذ أسرتي هان الغربية والشرقية (206ق.م - 220م)، فتح الصينيون الطريق البحري من مقاطعة قوانغ دونغ إلى الهند. وبعد أسرتي سونغ (349 - 668هـ/960 - 1270م)، أصبحت الطرق البحرية، والتي تبدأ من مدن قوانغتشو وتشيوانتشو وهانغتشو متطورة يوماً بعد يوم، ويمر هذا الطريق بمضيق ملقا وشبه القارة الهندية والمحيط الهندي وبحر العرب، ويصل إلى العالم العربي والإسلامي حتى السواحل الشرقية لأفريقيا، ويحمل طريق الحرير البحري مسميات متعددة أيضّاً، ومنها: "طريق الفخار والخزف البحري" و"طريق التوابل البحري"، والذي سيطر عليه العرب المسلمون بشكل كامل[50].

المحور الرابع: الحوار التجاري للعرب والمسلمين عبر طرق الحرير

تُعَدُّ طرق الحرير من أشهر وأكبر وأعرق الطرق التجارية البرية في العالم، حيث ربطت هذه الشبكة من الطرق البرية الشرق بالغرب، وتحديداً الشرق الأقصى وخاصة الصين، ببلاد العرب والمسلمين والغرب الأوروبي -أيّ كل ما يقع ناحية الغرب من بلاد الصين-. والتسمية الصحيحة لهذا المحور التجاري المهم، هي "طرق الحرير" بالجمع وليس طريق الحرير؛ لأنه في حقيقة الأمر ليس طريقاً واحداً، بل عدة طرق ومسالك تجتمع وتتقابل وتفترق، غير أن وجهتها واحدة وهي الربط بين شرق العالم وغربه، وعُرِفَتْ هذه الطرق أيضّاً باسم "درب المراعي" بين الصين والغرب، كما فتح التجار المسلمون طريق الحرير التجاري البحري، والذي عُرِفَ باسم "طريق التوابل"، كما صدرت الصين المسك، وكان يخرج من منطقه قنبار فسُمِّي بالمسك القنبارى، وقد عرفت طرق الحرير أيضاً باسم "طريق العطور البري"، وكان يربط

49. Xinru Liu, The Silk Road in World History, p.40.

50. Gabriel Deveria, Origine de l'islamisme en chine, in Islamic world in foreign travel accounts, Frankfurt University, 1996, V.74, p.177.

بين البحر الأحمر وبحر العرب وسواحل الصين، بالمرور عبر سيريلانكا ثم شبه جزيرتي ماليزيا وإندونيسيا[51]. كانت طرق الحرير الجسر البري الرئيس، والذي يصل بين الصين بل الشرق الأقصى بأكمله وبلاد العرب والمسلمين والغرب الأوروبي، وكانت طرق الحرير هي طرق القارة الآسيوية من وإلى الصين ذهاباً وإياباً من شيآن عاصمة الصين القديمة حتى أنطاكيا وبيروت على سواحل البحر الأبيض المتوسط؛ عبوراً بقلب آسيا وبلاد فارس والعراق والشام وصولاً إلى الجزيرة العربية. ومن المدن الساحلية العربية التي كانت تنقل البضائع الصينية إلى روما والبندقية وباقي بلاد أوروبا عبر البحر. كما امتدت طرق الحرير، والتي تبدأ من الصين ثم إلى التبت وإلى شمال بحر آرال، ثم إلى جنوب بحر قزوين إلى طهران وبغداد ودمشق، ومنها إلى ثلاث شعبٍ هي الطريق إلى بيروت والطريق إلى صور والطريق الثالث إلى أنطاكية، ومن هذه المدن إلى موانئ البحر المتوسط في أوروبا وأفريقيا[52]. فهي الطرق التي ربطت بين تجار الشرق والغرب؛ لأكثر من (2000سنة)، (من 770 ق.م حتى 1486م)، ومرت من خلالها الحرير وغيره من المنتجات الفنية من الصين وبلاد الشرق الأقصى إلى البلاد العربية والإسلامية الواقعة غرب الصين. وسوف يؤكد البحث على هذه الحقيقية، والتي تنص على: "لم تكن طرق الحرير معبراً لتجارة السلع والتحف الفنية فحسب، بل كان معبراً لتبادل الفنون والثقافة والعادات والتقاليد والأديان والمذاهب الفكرية، وهجرات القوميات المتعددة بين الدول الواقعة عليه"، وانتقلت عبره أيضّاً أنماط من النُظُم الاجتماعية، والتي لولاه كانت ستظل مدفونة في حواضر وسط آسيا، غير أن النشاط الاقتصادي عبر طرق الحرير، ظل دوماً هو العاملُ الأهم، الأظهر أثراً. ويكفي لبيان أثره وأهميته، أن طريق الحرير أدَّى إلى تراكم المخزون العالمي من الذهب في الصين، حتى أنه بحلول القرن (4هـ/10م)، صارت الصين وحدها، تمتلك من مخزون الذهب قدراً أكبر مما تمتلكه الدول الأوروبية مجتمعة[53].

51. ذانج هو، المعاملات بين الصين والعرب في العصر الوسيط، حصاد ندوة الدراسات العمانية، سلطنة عمان،1980م، المجلد السادس، ص10. للمزيد انظر: محمد أحمد عبدالسلام، أثر هجرة المسلمين في ثقافة وفنون الشرق الأقصى، جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، قطر-الدوحة، 2019م.

52. محمود سعيد عمران، المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م، ص79.

53. Global shipping and logistic chain reshaped as China's Belt and Road dreams take off in Hellenic Shipping News, 4 December 2018.

ترجع الجذور التاريخية للتواجد العربي على طرق الحرير لأزمنة غابرة القِدَم، حيث كان الاتصال التجاري هو أول اتصال للعرب ببلاد الصين عبر طرق الحرير، وأتبعه التواصل السياسي بكافة أشكاله الدبلوماسية، حيث يُؤرَّخ أول اتصال عربي صيني عبر طرق الحرير بعام 166م، والذي استمر بعدها قرابة ألف ومئتين عام، كما تميّز عبور العرب عبر طرق الحرير بوجود جماعات وقوافل تجارية ضخمة، وهجرة ومرور قبائل كاملة عبر طرق الحرير، كما عرف العرب الرحلات الفردية والترحال بمجموعات قليلة العدد أيضّاً، سالكة لنفس الممرات عبر صحاري طرق الحرير الممتدة. كما يمكن القول بأن العرب هم أصحاب السبق في نقل الحضارة والثقافة الصينية إلى الغرب الأوروبي، بل ساهم العرب في تقديم ونقل النتاج الحضاري للصين وشعوب الشرق الأقصى؛ وشعوب جزر جنوب شرق آسيا؛ وبلاد آسيا الوسطى؛ إلى شعوب أوروبا. فما توارد من نصوص تاريخية موثقة يصف فيها مؤرخو العرب والمسلمين طرق الحرير ومهارة وحرفيّة أهل الصين ومنتجاتهم الفنية، كان خير دليل على دراية العرب التامة بمسالك طرق الحرير، وتمرّسهم التجاري عبر خطوطه البرية[54].

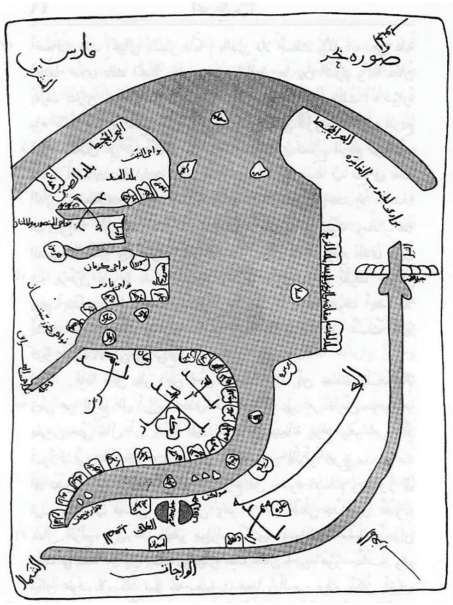

الشكل (4): خريطة توضح تجارة العرب قديماً مع بلاد الصين، عن: ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي، بدأ رحلته (331هـ)، كتاب صورة الأرض، تحقيق: كرامرس في الجغرافيا الإسلامية، مجلد 35، جامعة فرانكفورت، 1992م، القسم الأول، ص45.

54. محمد حور، مقالة بعنوان آثار ومأثر العرب في الصين (العرب والصين) تاريخ وفن وروابط، طبعة الجامعة الهاشمية، الأردن، 2002م، ص100.

كانت طرق الحرير هي طرق الحزام الثقافي العابرة لقارة آسيا، والواصلة بثقافتها وفنونها وحضارتها إلى كل العالم، لتطوق العالم بثقافات متعددة، لا يزال أثرها ممتد في ثقافة وعلوم شعوب آسيا والعالم حتى وقتنا الحالي[55]. حيث تمتد العلاقات العربية الصينية إلى جذور تاريخية عميقة موغلة في القِدَم، حيث عُثِرَ في حفائر متعددة بمناطق الشرق الأقصى، وتحديداً في جزر الهند الصينية والفلبين على أحجار تحمل نقوش مكتوبة بالخط المسند الحميري، منسوبة إلى شبه الجزيرة العربية[56]. كما كشفت الحفائر الأثرية في المقابر الصينية القديمة عن أنواع من الخرز الزجاجي المصري، يرجع إلى ما يقرب من (2000 ق.م). هذا ووُجد أيضّاً فصوص زجاجية أثرية ذات لون وردي منسوبة إلى حضارة بلاد الرافدين/العراق القديم، ومؤرخة بالقرن الرابع قبل الميلاد. استمر التأثير العربي ممتداً في نقل الزجاج إلى بلاد الصين، حتى أطلق الصينيون أنفسهم على طرق الحرير البحرية لاحقاً في وقت تجارتهم مع العرب المسلمين اسم "طريق الزجاج"، والذي يبدأ من موانئ الخليج العربي المطلة على البحر الأحمر حتى يصل إلى فيتنام والهند، وبعدها يصل بلاد الصين بواسطة التجار العرب[57]. أشارت السجلات التاريخية القديمة لأسرة الهان الصينية إلى مسميات ووصف منطقة الخليج العربي، وذلك منذ عام (97 ق.م)، حيث ذكرت السجلات الصينية في تلك الفترة بلاد العراق وسوريا وعمان وغيرها من مناطق الجزيرة العربية وبلاد الشام[58].

أدخل التجار العرب طائر الببغاء لأول مرة إلى بلاط أسرة الهان الصينية في عام 120م، بل وكشفت الوثائق الصينية المتأخرة لهذه الأسرة عن وجود علاقات تجارية صينية سودانية منذ مطلع القرن الثالث الميلادي. بينما في عام (300م)

55. جعفر كرار أحمد، الحزام الثقافي تاريخ التبادل الثقافي بين الصين والعرب، مجلة المستقبل العربي، العدد 459، مايو 2017م، ص ص 16-5.

56. فيصل السامر، الجذور التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى، مطبوعات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، 1977م، ص9. للمزيد انظر: محمد أحمد عبدالسلام، أثر هجرة المسلمين في ثقافة وفنون الشرق الأقصى، جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، قطر-الدوحة، 2019م.

57. Shen Fuwei, Cultural Flow Between China and Outside World through History, translated by: Wu Jingshu, Beijing Foreign Languages Press, 1996, p.27,28.

58. جعفر كرار أحمد، العلاقات الصينية العربية، رسالة دكتوراه، جامعة ناجين-الصين، 1995م، ص6.

أقام العرب مستوطنة كبيرة في بلاد الصين، وتحديداً في قوانجو بمدينة لويانغ بمقاطعة خنان الحالية[59].

أمَّا عن أهم وثيقة مخطوطة ومصورة تحكي قصة العرب والمسلمين في بلاد طرق الحرير، فيُعدُّ مخطوط جامع التواريخ لرشيد الدين (645 - 718هـ/1247 - 1318م)[60]، مخطوط جامع مانع لكل الصور الذهنية والمعرفة العملية والنظرية لديار الإسلام عن الصين وما يجاورها من بلاد الشرق الأقصى وجزر جنوب شرق آسيا، كما أنه مخطوط تاريخي مصور يعكس التواجد العربي والإسلامي في البلدان الواقعة على طرق الحرير. من ثَمَّ كانت التجارة من أهم أسباب انتشار ثقافة الإسلام والعرب وحضارتهم في أقاصي شرق آسيا، وعلى الرُغم من أن الجيوش العربية لم تصل إلى أماكن كثيرة من شرق آسيا، غير أن الإسلام انتشر في هذه البلاد بفضل التجار العرب والمسلمين بها[61]. ويُمكن التتبع التاريخي للتجارة العربية الآسيوية، كدلالة على الحوار الحضاري العربي عبر طرق الحرير، على النحو التالي:

شهدت الصين وجوداً للمسلمين منذ بواكير القرن (2هـ/8م)، عندما وصل التجار العرب والمسلمين واستقروا على طول السواحل الجنوبية، وكذلك إقليم شيان (تشنغ آن قديماً)، وهي نقطة وصول ومغادرة طرق الحرير، حيث كانت القوافل التجارية تفرغ حمولتها من البضائع، كما كانت نقطة انطلاق حقيقية للعرب إلى ضواحي الصين ودول جنوب شرق آسيا والشرق الأقصى[62].

لذا، تعتبر التجارة من أهم الأسباب في انتشار ثقافة العرب والمسلمين واستمرارها في شرق آسيا وما حولها، فكانت حسن معاملة التجار المسلمين وأدبهم وأخلاقهم

59. Lillian Craig Harris, China Considers the Middle East, London; New York, I. B. Tauris and Co. Ltd. Publishes, 1993, p.3.

60. Rashid al-Din (c.1307), Jami al-Tawarikh Volume II, Kim Ho-Dong, translation “The Successors of Genghis Khan”, Seoul, 2005, p.421.

61. E. J. Brill’s first encyclopedia of Islam, T.W. Arnold, 1913-1936, vol.9, p.1188.

62. Nadia Fiussello, following the path of Islam in Asia, p.23.

الكريمة والمعاملة الطيبة، عاملاً في جلب قلوب الناس إليهم[63]. هذا ما وصفه بدقة بالغة، وصدق كامل، وإنصاف رائع، الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي (غوستاف لوبون)، في كتابه: "حضارة العرب"، قائلاً: "... ومما يسترعى نظر المتأمل سهولة انتشار الإسلام في نواحي العالم قاصيه ودانيه، وحسبك أن تنظر إلى الأقطار التي لم يدخلها العرب فاتحين، بل اتجهوا إليها متاجرين مثل بعض ولايات الصين وأقاليم أفريقيا الوسطى وروسيا، فقد بلغ من انتشار الدين الإسلامي فيها أن أصبح المسلمون فيها يعدون بالملايين، وما كان اتخاذهم الإسلام عقيدة لهم عن كره أو قسوة، وإنما كان عن رضى واختيار، إذ لم ينته إلى مسمع أحد، ولم يدون في التواريخ شيء من أنباء تجنيد الجند لقسرهم على الإسلام، وإلزامهم باتخاذه ديناً يدينون به مكرهين، ويذلون أعناقهم لكلمته مغرمين، وقصارى ما في الأمر أن أولئك التجار كانوا يؤدون عمل المبعوثين في البلدان، التي مروا بها لترويج سلعهم، وفي كل خطوه خطوها يبذرون بذور الإسلام ويبثون تعاليمه، فكان الإسلام ينتشر كالضياء إذا انبثق أو كالزيت إذا انساح"[64].

كانت الرحلات البرية عبر طرق الحرير، وكذلك الرحلات البحرية بين شطين سيراف والبصرة ببلاد العرب، وبين موانى جنوب الصين كانتون ونانكين تستغرق قرابة ستة أشهر، وكما ذكرت المصادر العربية أن أول تاجر وصل إلى بلاد الصين من العرب المسلمين، هو تاجر عماني الأصل يُدعى أبو عبيدة عبد الله القاسم[65]، وقد أقلع من عمان إلى كانتون في عام (133هـ/750م)؛ وذلك لشراء الصبار والأخشاب من الصين[66]. وهذا لا يتعارض مع معرفة العرب لبلاد الصين قبل هذا التاريخ، ولكن هذه الرحلة ربما كانت أول رحلة تجارية مسجلة. كما وُجدت علاقات تجارية

63. محمد فهمي عبد اللطيف، بحث بعنوان "التجار المسلمين ينقلون الإسلام إلى الصين"، مجلة البنوك الإسلامية، مصر، العدد18، يوليو 1981م، ص44.

64. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، 2013م، ص146-144.

65. في التراث العُماني القديم، يُعَدُّ أبو عبيدة عبد الله القاسم أول من أُطلق عليه كلمة السندباد. انظر: حسين فوزي، حديث السندباد القديم، دار الكتب، القاهرة، 1977م، ص10.

66. M. Walknaer, Analyse Géographique des Voyages de Sind Bâd Le Marin in Islam Géography, volume.166, p.171.

كبيرة بين الصين ومكة المكرمة واليمن والبحرين وعمان وغيرهم من البلاد الإسلامية وفق ما جاء في وثائق وحوليات أسرة مينغ الصينية[67]، فضلًا عن تسجيل الوثائق والسجلات الصينية، وبيان الضرائب المفروضة، ومواقيت الرحلات التجارية بين ميناء هرمز والصين[68]، بل عُرفت مدينة صحار[69] في عمان بأنها دهليز العرب إلى طرق الحرير وبلاد الصين، نظراً لإنطلاق رحلة التجارة العربية منها إلى بلاد شرق وجنوب شرق ووسط آسيا الواقعة على طرق الحرير[70].

ساعدت التجارة في تلاقي العديد من الحضارات في منطقة جنوب شرق آسيا، حيث تواجدت الحضارة الإسلامية والهندوسية والصينية، كما أن العلاقات التجارية، والتي كانت تربط بلاد العرب بشعوب بلاد الشرق الأقصى تعود إلى أزمنة سحيقة موغلة في القدم تطورت ونمت، لاسيما بعد بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي زمن الحضارة الإسلامية، حيث سيّطر العرب المسلمون على طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، كما برع العرب في التجارة البحرية التي كانت مسلكاً عظيماً لتبادل التأثيرات الفنية والحضارية بين العرب وشرق آسيا، حيث شهد العصر العباسي أوج فترات هذا التواصل الحضاري مع بلاد الصين[71].

67. محمد محمود خليل، بحث بعنوان "الخليج والجزيرة العربية في الوثائق والحوليات الصينية فتره العصور الوسطى أسرة مينغ نموذجاً"، ص48-45.

68. إبراهيم خوري، بحث بعنوان "العرب والصين علاقات وديه وتبادل سفارات"، مجلة التراث العربي، سوريا، مجلد6، العدد24، 1986م، ص230-228.

69. ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان "صحار: قصبة عمان مما يلي الجبل، مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها، وقيل:سميت بصحار نسبة إلى صحار بن إرم ابن سام بن نوح عليه السلام". ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء 3، ص395. صحار هي العاصمة القديمة لعمان، وإحدى أهم المدن التاريخية في منطقة الخليج العربي، وتقع في شمال سلطنة عمان، وتبعد حاليّاً عن العاصمة مسقط 234 كم شمالاً، وهي العاصمة القديمة لعمان. أرشيف الموقع الرسمي للحكومة العمانية، اطلاع بتاريخ 2/9/2021م. وقيل عنها أيضاً: صحار هي ميناء عربي ازدهر في تجارته مع بلاد الصين، حتى القرن (7هـ/13م)، وأطلق عليه خزانه الشرق ودهليز الصين ومغوثة اليمن. مجموعة مؤلفين، صحار عبر التاريخ، حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في صحار، الطبعة الأولى، 2000م، ص95؛ يحيي شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م، ص87. للمزيد انظر: محمد أحمد عبدالسلام، أثر هجرة المسلمين في ثقافة وفنون الشرق الأقصى، جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، قطر-الدوحة، 2019م.

70. Seán Grail, Boats of the World "From the Stone Age to Medieval Times", New York p.80.

71. فريدريش زرة، تنقيبات سامراء "الجزء الثاني"، فخاريات سامراء، ترجمة: علي يحيى منصور، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة، 1985م، ص14.

يجدر الذكر أن العرب والأتراك قبل وبعد الإسلام من أهم الشعوب التي اهتمت بعمارة طريق الحرير وبناء الاستراحات التجارية عليه. ومما لا شك فيه، أن التواجد الإسلامي على طريق الحرير كطريق تجارة عالمي بين الشرق والغرب، لعب دوراً كبيراً في تطوير هذا الطريق القديم، فكان التواجد العربي والإسلامي بمثابة تاريخ جديد لهذا الطريق العالمي[72].

نتيجة للتوسعات التي أضيفت على طرق الحرير، ساعد ذلك بشكل كبير في الربط بين الشرق الأوسط والأدنى وبلاد اليابان، حيث امتدت الطرق التجارية إلى أن وصلت إلى مدينة نارا Nara اليابانية، كما شهدت طرق الحرير تطوراً واهتماماً كبيراً على أيدي المسلمين. كما ساهم العرب المسلمون بشكل واضح في تطوير طرق الحرير من

الشكل (5): رحلات التجار العرب والمسلمين عبر طرق الحرير،
كما نقلها الرحالة الإيطالي ماركو بولو. عن:
Jean Pierre Drege, Marco Polo en de Zijderoute, Universiteti Leiden, 2007, p.69.

72. John Lawton, and Others, Integral Study of The Silk Roads, Roads of Dialogue, UNESCO, 2004, p.5, 6.
أصبح جزءاً من طرق الحرير الآن طريقاً دولياً مرصوفاً يصل بين باكستان وسنكيانغ، ومناطق إيغور ذات الحكم الذاتي والصين، وتتبنى الأمم المتحدة خطة لتطوير هذا الطريق ليصبح طريقاً دولياً يعبر آسيا بأكملها.

خلال بناء الاستراحات والمنشآت التجارية المختلفة على طول طرق الحرير[73]، وخير مثال على ذلك، التصاوير التي جسدت القوافل التجارية من وإلى الصين والشرق الآسيوي عبر طرق الحرير.

أمَّا عن محطات الطريق البحري بين العرب وشرق آسيا، والتي اشتهرت بنقل المنتجات الخزفية والفخارية، فكان العرب يصلون إلى الصين عن طريق البحر في رحلة تستغرق قرابة ستة شهور، حيث يبدأ الطريق من الأبلة أو البصرة إلى سيراف، ثم إلى مسقط، ثم إلى ربيسوت، ثم يتجه السالك في كل من المسارين السابقين إلى كولم على ساحل ملبار، ثم يمر بمضيق شمال جزيرة سرنديب –سيلان حاليّاً-، ويُسمّى مضيق توليكورين، ومنه عبر خليج البنغال أو بحر هركنند إلى جزيرة لنجبالوس إحدى جزر نيكاوبار، ثم يتقدم المبحر إلى ساحل الملايو الغربي حتى يصل إلى جزيرة تيومه جنوب ملقا، ومنها إلى رأس القديس يعقوب قرب سايجون، ثم يصل إلى ميناء خانفو/كانتون بالصين، ومنها يصير الطريق مُعبداً إلى بقية دول ومناطق شرق آسيا[74]. يتميز المحيط الهندي كحاضن لطريق الحرير البحري، بأنه محيط شاسع ومتعدد الشعوب والبلدان على شواطئه، كما أنه المحيط المعروف منذ القدم، فلم تكن مياهه مجهولة مثل المحيط الأطلسي/بحر الظلمات أو المحيط الهادي، بل طرقه البحارة منذ آلاف السنين، فكان شرياناً للحياة بين شطآنه وطريقاً مائياً كثر ارتياده، ولهذا أدى المحيط الهندي دوراً عظيماً يتضاءل بجواره دور أي محيط أو مسطح مائي آخر في التواصل الحضاري والفني، وفي انتقال العديد من عناصر الثقافة وانتشارها على امتداد سواحله. وكانت التجارة أهم مظاهر النشاط الحضاري في المحيط الهندي، بل هي المظهر الوحيد الذي نقل العديد من التأثيرات الدينية والحضارية والفنية والثقافية إلى مختلف البلدان المطلة عليه. ولم يكن المحيط محل تنافس وتناحر بين الشعوب المتواجدة فيه، بل شمل كل الشعوب في تسامح تحت راية واحدة وغرض واحد وهو "التجارة"، فقد عرف العرب والفرس قبل الإسلام التجارة

73. Harry de Wilt, Is One Belt, One Road a China crisis for North Sea main ports? In World Cargo News, 17 December 2019.

74. Louz Roberts, and W. Irving, Raymond Medieval Trade in the Mediterranean world, New York. Colombia University Press, p.28.

الشكل (6): صورة من مقامات الحريري، وهو أحد السجلات التصويرية النادرة لشكل السفن العربية في طرق الحرير البحرية. عن: كتالوج عمان وتاريخها البحري، إصدار وزارة الإعلام والثقافة، سلطنة عمان، 1979م، ص109.

في المحيط الهندي، وكذلك الصينيون والهنود والأفارقة، وعند مجيء الإسلام سيطر بإحكام على التجارة في المحيط الهندي، وقد ساعد ذلك في نقل العديد من المظاهر الحضارية الإسلامية إلى الصين والهند وجزر جنوب شرق آسيا، بل وصل الأمر إلى اتخاذ بعض الشعوب الإسلامية هذه البلاد أوطانا لتعيش فيها. ولعل أكثر الفترات التجارية نشاطاً في المحيط الهندي بين العالم الإسلامي والشرق الأقصى، بعد غزو المغول للمشرق الإسلامي، وسقوط حاضرة الخلافة العباسية بغداد، فمنذ (656 - 904هـ/1258 - 1498م) زاد النشاط الملاحي في المحيط الهندي، وتحولت التجارة البرية عبر طريق الحرير من الهند والصين إلى المشرق الإسلامي إلى المحيط الهندي ماره بمصر. وذلك منذ استيلاء المغول على بغداد عام (656هـ/1258م)، واستمر الوضع هكذا في زيادة حركه الملاحة بالمحيط الهندي بين بلاد المشرق الإسلامي ودول الشرق الأقصى، حتى النهاية في عام (904هـ/1498م) قام الأوروبيون باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وسيطرتهم عليه ببناء المستوطنات، والتحكم في طرق التجارة مع الشرق[75].

75. شوقي عبد القوى عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ص8-4، 38. للمزيد انظر: محمد أحمد عبدالسلام، أثر هجرة المسلمين في ثقافة وفنون الشرق الأقصى، جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، قطر-الدوحة، 2019م.

انفرد الرحالة المغربي ابن بطوطة بوصف دقيق للمراكب البحرية الناقلة للسلع التجارية بين الصين وبلاد العرب عبر طريق الحرير البحري، فكان من أبرز ما وصفه حول صناعة السفن المبحرة بين الصين وبلاد العرب، ما مَيَّزَ فيه بين ثلاثة أنواع من السفن: السفن الكبيرة، وتُعرف بـ"الجنوك" ومفردها "جنك"، وهذه التسمية لها أصل مشتق من اللغة الصينية. والنوع الثاني السفن المتوسطة فتعرف بـ"الزاو"، ويُطلق عليها في اللغة الصينية اسم "تشوين"، أَمَّا النوع الثالث فهي المراكب الصغيرة، وتُسمَّى حالياً بـ"ساو أو سيو" وأطلق عليها ابن بطوطة بـ"الككم"، وهي بالصينية "هوا هانغ". بل أشار أيضّاً إلى طريقة صناعتها: "أنها تنشئ عن طريق إقامة حائطين من الخشب المرصوص يصلون بينهما بخشب ضخم موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام، طول المسمار ثلاثة أذرع فإذا التأم الحائطان بهذا الخشب صنعوا على أعلاها فرش المركب الأسفل، وعلى جوانبها تثبت المجاديف، وهي كبيرة الحجم كالصواري، يجتمع لتحريك إحداها، العشرة وخمسة عشر رجلاً الذين يقومون بالتجديف وهم واقفون، كما تحتوي "الجنوك" على برحابة كبيرة ويمكنها أن تضم أشخاص كثيرون، وهي بمثابة جناح خاص للتاجر، منسوجة كالخصر، ويتحكم في تحريكها حسب اتجاه الرياح وكل مركب من مراكب "الجنك" يتبعها ثلاثة مراكب مرافقة، وهي النصفي والثلثي والربعي"[76].

ظهرت وظيفة مرموقة ذات علاقة وثيقة بالإشراف والتفتيش على المراكب التجارية، وهي وظيفة الخصي، وتعد من الوظائف التجارية المهمة في الحكومة الصينية منذ عهد أسرة تانغ في حدود النصف الثاني من القرن (2هـ/8م)، وكان الخصي هو مفتش المراكب التجارية وجابي الضرائب منها، وعرف باللغة الصينية باسم شيبوسي Shibosi[77].

تأكيداً لما سبق سرده تاريخيّاً، يمكن سرد العديد من الأدلة والبراهين الأثرية الباقية، والتي تؤكد الأواصل التجارية بين العرب والصين، ووجود الحوار الحضاري

76. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، الجزء 4، ص129-132.

77. عيساني شفيقة، شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين، ص89.

بين الحضارتين عبر طرق الحرير البرية والبحرية، ومنا ما عُثِرَ في حفائر الفسطاط بالقاهرة، على مجموعة من الخزف الصيني من منتجات محافظة يوييا بمقاطعة تشجيانغ في عهد أسرة سونغ، حيث نُقلت الأواني الخزفية إلى مصر على يد التجار العرب بعد رحلة طرق الحرير؛ لتنقل هذه المنتجات الفنية والسلع التجارية عبر بلاد الشام والبحر الأحمر إلى مصر، كما عُثِرَ في حفائر مدينة سامراء بالعراق على أواني عربية، صُنعت على غرار الخزف الصيني، وأواني خزفية وردت إلى سامراء عن طريق سفراء بلاد الصين وجنوب شرق آسيا أو نقلها التجار العرب من خلال رحلاتهم التجارية الدورية غير المنقطعة براً وبحراً مع شرق آسيا[78]، ولعل من الدلائل الأثرية القوية أيضّاً، ما عُثِرَ عليه في الجانب الصيني بقاع خليج مدينة تسي تون الصينية، حيث وُجدت سفينة خشبية بحالة جيدة يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين (6-7هـ/12-13م)، وقد حُمّلت ببضائع عربية منقولة إلى الصين، كما وجد على لوحة خشبية بالسفينة اسم "علي"، ربما كان صاحب السفينة أو أحد كبار التجار المسلمين على متن هذه السفينة[79].

الحوار السياسي للعرب والمسلمين عبر طرق الحرير:

شهدت طرق الحرير العديد من الزيارات الرسمية وتبادل الوفود الدبلوماسية بين شرق وغرب العالم، وسطرّت الوفود العربية التي عبرت من خلاله تاريخاً قويماً شاهداً على العمق الاستراتيجي والبعد السياسي المتأصل بين القوميات الصينية والقبائل العربية، فكانت حبات الرمال في طرق الحرير البرية؛ وكذا أمواج البحار في طريق الحرير البحري خير شاهد على تاريخ العلاقات السياسية والهدايا الدبلوماسية وتبادل السفارات والبعثات الرسمية بين بلاد العرب وبلاد الصين. ويُمكن التأصيل والتحقيق التاريخي لسياسات العرب عبر طرق الحرير، من خلال السرد التالي:

تمتد جذور العلاقات بين الصين كأهم وأكبر أقطار شرق آسيا والعرب إلى قرابة

78. زكي محمد حسن، الصين وفنون الإسلام، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014م، ص33.

79. عيساني شفيقة، شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين، ص89.

قرن ونصف قبل الميلاد، حيث يذكر المؤرخ المسلم الصيني عبد الرحمن تاجو نغ، أن علاقات الصين بالعرب سابقة على ظهور الحضارة الإسلامية فالإمبراطور وو دي بعث في سنة (139 ق.م) السفير تشانغ تشيان إلى الممالك في آسيا الوسطى؛ لإقامة روابط وديه معها، وزار هذا السفير(36 مملكة صغيرة) في المنطقة شملت بلاد العرب، ووصلت حتى بغداد وبلاد الشام، وفي نفس الفترة زار مبعوث آخر وهو قان ينغ سواحل الخليج العربي حتى وصل إلى العراق، حيث فتحت هاتان الرحلتان الطريق البري بين الصين والبلاد العربية في غرب آسيا[80]، فكان هناك اتصال بين الصين والعراق وسوريا عبر إيران، وزادت هذه العلاقات وتوطدت جأشها، وقويت رابطتها في كنف الحضارة الإسلامية، حيث يرجع تاريخ أول سفارة إسلامية رسمية في مدينه شيآن Xian بالصين إلى أواخر عصر بني أُمية عام (124هـ/742م)[81]. وعليه، تبادل العرب المسلمون السفراء والزيارات الرسمية مع الصين وبلاد جنوب شرق آسيا، فضلاً عن تبادل الهدايا الدبلوماسية بينهما، والتي كانت غالباً ما تكون من أكثر التحف الفنية قيمةً مما تشتهر به فنون العرب أو فنون الصين.

تمتلك أسرة تانغ (618 - 907م) على سجل تاريخي يُعرف باسم سجل داشي أيّ سجل المسلمين، فهو يصف جغرافية بلاد الإسلام، والمنتجات الفنية الإسلامية، وقد وصفت لنا هذه السجلات زيارة أول مبعوث رسمي من الخلافة الإسلامية إلى بلاد الصين، حيث تتفق المصادر العربية والصينية أن أول اتصال رسمي بين الصين والمسلمين كان في فترة حكم أسرة (تانغ)، وفي عهد الإمبراطور قاو تسنغ عام (30-31هـ/651م)، وتحديداً في يوم (25 من شهر آب/أغسطس)، حيث وصل أول مندوب عربي إلى البلاط الصيني، وكان مبعوثاً من الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضى الله عنه-، فنزل مبعوث الخليفة الراشد في مدينة تشانغ آن -شيآن اليوم-

80. عادل عبد الحافظ حمزة، ملامح من المجتمع الصيني في ضوء كتابات الرحالة إبان العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد 15، إبريل 1994م، ص31. للمزيد انظر: محمد أحمد عبدالسلام، أثر هجرة المسلمين في ثقافة وفنون الشرق الأقصى، جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، قطر-الدوحة، 2019م.

81. Nurhan Atasoy, and others, UNESCO 14th Travelling Exhibition of reproductions of works of art, UNESCO, France, 1984, p.75.

وكانت عاصمة الصين آنذاك، وآخر نقطة في طرق الحرير على الجانب الصيني. والتقى المندوب بالإمبراطور قاو تسنغ، ووصف التاريخ الصيني القديم هذه الزيارة كالآتي: "أن الوفد القادم من أرض بعيدة جداً نقل إلى الإمبراطور أنباء جزيرة، والتي شهدت ظهور نبي بعثه الله من بين العرب، داعياً إلى التوحيد... وأن ملكهم يُدعى "هنجى موموبى" أيّ "أمير المؤمنين" وأن حكومتهم أسست منذ أربع وعشرين سنة وقد مضى منهم ثلاثة خلفاء حتى الآن"[82]. كما أرسل هذا الإمبراطور الصيني مبعوثه إلى شبه الجزيرة العربية، وتدلل هذه الروايات التاريخية على علم أهل الصين الكامل بالإسلام ومنهجه منذ فترات مبكرة، مما جعل البلدان الواقعة في مسالك ودروب طرق الحرير ممهدة ومعبدة المسالك أمام التبادل السياسي والتجاري والفني والثقافي بين العرب وبلاد الصين، لدرجة أن البعثات المتبادلة بين الصين والمسلمين في عهد سيدنا عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، ثلاث بعثات مما يؤكد قوة العلاقة، وإعجاب إمبراطور الصين بقوة المسلمين الصاعدة التي قضت على الفرس والروم[83].

بلغ عدد البعثات الرسمية المتبادلة بين الصين والعالم الإسلامي في عهد أسرة تانغ (37 بعثة)، واستمرت أسرة تانغ في حكم الصين ثلاثة قرون تزامنت مع فترات حكم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب -رضى الله عنهما-، ومع العصر الأموي، وفترة من العصر العباسي[84].

خلاصة ما سبق تأصيله، من التواجد التجاري والسياسي العربي على ساحات طرق الحرير، لاسيما في بلاد الصين منبع الطرق وبدايتها، ما احتفت به المصادر الصينية من أوصاف وأسماء دالة على العرب المسلمين، فيُذكر العرب المسلمون في السجلات التاريخية الصينية العتيقة باسم "داشي"، وهي كلمة في اللغة الصينية

82. Bai Shouqi (白寿彝), "中国穆斯林的历史贡献"="The Historical Contributions of Chinese Muslims", "应邀出席在阿尔及利亚召开, 第13 伊斯, 兰思想讨论会上所 发表的学术论文, 页 6-11"= "Algeria: Session of the Islamic Seminar 13, 1979, p.6-11".

83. Cheng Zhanghui (张会成), 伊斯兰文化在中国: 简本 (=Islamic Culture in China), 北京民族出版社 (Beijing National Press), 1993, p.47.

84. Caidong Fan (蔡東藩), 歷史演義, 唐史= (Historical Romance: History of Tang Dynasty), Vol.3, 獨立作家 =(Independent Writers Press), 2013, p.23.

تعني "التاجر"[85]، وذلك لأن التجار هم أول الوجوه المسلمة التي رآها أهل الصين، فقد التصقت المهنة بالدين وأصبحت كلمة "داشي" صفة للمسلمين دون غيرهم عند أهل الصين[86]. كما بلغت العلاقات السياسية المتبادلة بين أمتي العرب والصين عبر طرق الحرير مداها، فنجد السجلات الصينية تذكر الأمويين باسم "باى لي داشي" أيّ المسلمين ذوي الملابس البيضاء، أما العباسيون فيُطلق عليهم "خي لي داشي" أيّ المسلمين ذوي الملابس السوداء، إشارة إلى اللون الأسود الذي اتخذه العباسيون رمزاً وشعاراً لهم، كما أُشير إلى لقب أمير المؤمنين في السجلات التاريخية الصينية باسم "هنجي موموبي"؛ دلالة على المعرفة السياسة الكاملة بأمّة المسلمين[87].

الحج والحوار المجتمعي للمسلمين عبر طرق الحرير:

أثرت رحلات الحج تأثيراً حضاريّاً وفنيّاً على طرق الحرير، حيث كان لانتشار الإسلام في ربوع آسيا، ودخول أفواج من شعوب بلاد طرق الحرير إلى الإسلام، مما أدى إلى وجود رحلات حج منظمة للمسلمين عبر طرق الحرير، وأَثَّرَ ذلك بشكل إيجابي في انتشار الأمن والأمان عبر ممرات ومسالك التجارة بطرق الحرير، فكان للحج أثراً حضاريّاً كبيراً في نشر الأمن والأمان على طول طرق الحرير البرية، إلى أن تحول طريق الحجاج في نهاية المطاف إلى طرق الحرير البحرية؛ ليصلوا عبر البحر إلى الخليج العرب وتحديداً مينا مدينة جدة، والتي هي بوابة مكة المكرمة من ناحية البحر[88].

85. ذُكرت كلمة مسلم في السجلات الصينية القديمة بمعنى (تاشيش)، وهي كلمة مأخوذة من كلمة (طاجيك) المحورة عن كلمة (تازي) في الفارسية، وقد أطلقت على العرب من "قبيلة طي" وكان الفرس يعتبرون قبيلة طي تمثل العالم العربي، حتى أصبحت (تازي أو طاجيك) تطلق على كل عربيٍ أو مسلمٍ، وينطقها الصينيون (تاشيش)، ولكن هذا المعنى في الصينية كان قليل الاستخدام، فأهل الصين يسمون المسلم (داشي) أيّ التاجر في أكثر معاملاتهم اليومية. للمزيد انظر: محمد أحمد عبدالسلام، أثر هجرة المسلمين في ثقافة وفنون الشرق الأقصى، جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، قطر-الدوحة، 2019م.

86. Beijing Yisilanjiao, 北京伊斯兰教 (=Islam in Beijing), 中国民族影工业, 书出版社, (=Chinese National Industry), 1990, p.147.

87. Yonglin, Jiang, The Mandate of Heaven and The Great Ming Code, Asian law series, Volume 21, University of Washington Press, 2011, p.30.

88. أسامة محمد فهمي صديق، العلاقات التجارية والثقافية بين المدن الصينية ومدن آسيا الوسطى الواقعة على طريق الحرير في عصر الأسرتين اليوانية والتيمورية المغوليتين: (911-658هـ/1505-1260م)، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط-كلية الآداب، العدد 40، 2011م، ص340.

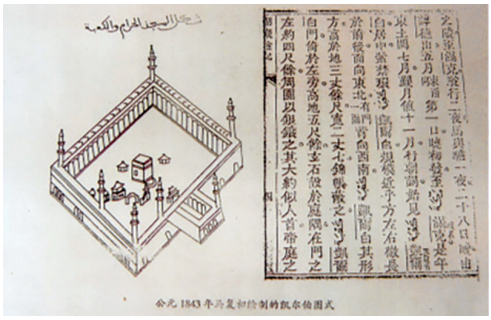

الشكل (7): نسخة أخرى من مخطوط رحلة الحج من عهد أسرة تشينغ، مؤرخ بعام 1843م، المقاييس: طول 24سم - عرض 15سم، يحكي المخطوط ما شهده وسمعه الرحالة والمؤرخ المسلم الصيني "ما فو تشو" أثناء رحلته للحج واستقراره بمكة المكرمة. عن: الآثار الإسلامية لقومية هوي الصينية، ص315.

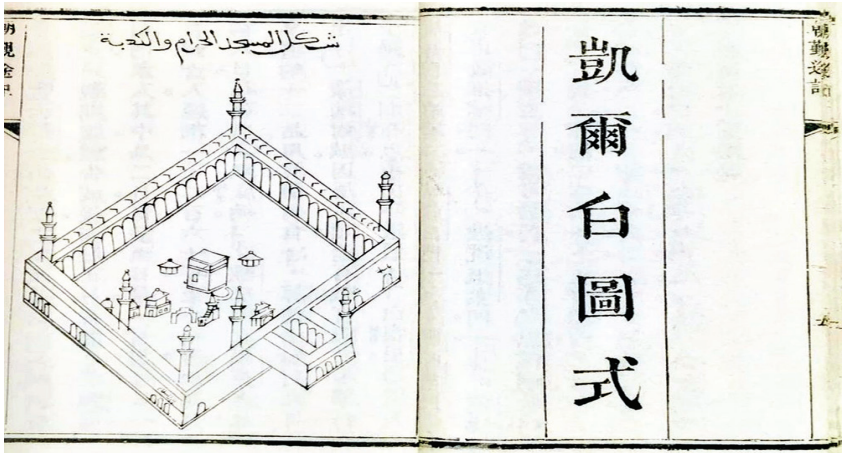

الشكل (8): المسجد الحرام والكعبة المشرفة في مخطوط صيني قديم، بعنوان "رحلة الحج" كما يرويها الرحالة المسلم الصيني "Chao Jin Tu Ji"، للمؤلف الصيني: (Ma Dexin)، الصين، مؤرخة بعام 1861م، محفوظة بمتحف الأغا خان بكندا، رقم الأثر: AKM 681، عن:
Catalog of Treasures of the Ag a khan Museum, Architecture in Islamic Arts, 2008, Canada, p.60.

كما يُعد مرور رحلات الحج البرية والبحرية عبر شقي طرق الحرير البري ثُمَّ البحري من الصين إلى العالم الإسلامي، من أهم المظاهر الدينية الإسلامية ذات المردود الاجتماعي والحضاري للعرب والمسلمين في بلاد الصين وعبر ممرات طرق الحرير، ويجد الذكر في هذا المُقام، أن العرب المقيمين في الصين وغيرهم من مسلمي تلك البلاد اصطحبوا تحف فنية ذات صلة وثيقة برحلات الحج، كالزمزميات لسقي الماء، وكثير من التحف الفنية المزدانة بكتابات عربية وإسلامية للتبرك والدعاء أثناء القيام بهذه

الرحلة المباركة. كما انتشر مفهوم التصوف الإسلامي عبر ممرات طرق الحرير، وتأثرت مفاهيم التصوف ببعض الفلسفات المنتشرة على طرق الحرير، وعلى نفس المنوال، أثرَّت ثقافة التصوف الإسلامي في شعوب وبلاد طرق الحرير، حيث انتقلت الأفكار الصوفية من إيران إلى الهند ثم بلاد آسيا الوسطى وجزر جنوب شرق آسيا وبلاد الصين، كما ظهرت بعض مظاهره الخاصة والمرتبطة بالحياة الدينية والمدنية للمتصوفين المسلمين، والذين كان جُلهم من أهل السنة[89].

ساعدت المذاهب الصوفية وخاصة الطريقة النقشبندية على استمرار التأثيرات الحضارية الإسلامية في بلاد الصين وطرق الحرير، ولعل من أبرز الشخصيات الصوفية المنتسبة إلى الطريقة النقشبندية، الشيخ خالد البغدادي (1190 - 1242هـ/1776 - 1827م)، والذي درس في الهند، ونشر تعاليمه في غرب آسيا والقوقاز، وآسيا الوسطى والصين، وغيرها من مناطق طرق الحرير. كما ساهمت الطريقة النقشبندية في نشر الوعي في الصين، وشاركت أهل الصين في ثوراتهم السياسية، ولعبوا دوراً مهماً في الحياة الصينية الاجتماعية والسياسية[90]. ولعبت الصوفية دوراً كبيرا في نشر الإسلام عبر طرق الحرير ببلاد الصين وأواسط آسيا وجنوب شرق آسيا، كما تحدث الرحالة ابن بطوطة عن الزوايا الصوفية، والنشاط الصوفي في الصين، وعلى المدن الواقعة في طريق الحرير الواصل بين الشرقين الأقصى والأدنى[91].

كانت المجتمعات الإسلامية في الصين ومرافئ طرق الحرير، لا بد لها وأن تبني المساجد الجامعة وزوايا الصوفية والأسواق التجارية الخاصة بالمسلمين والمنتجات والسلع التجارية العربية، كما ذكر المؤرخ الغربي جيب Gibb أن الصوفية في الصين أصبحت قوية وفعالة خلال القرنين (4-5هـ/10-11م)، مما جعلها تلعب دوراً رئيساً في نشر الإسلام[92].

89. Nile Green, Persian Sufi in British India, British Institute of Persian Studies, vol.42, 2004, p.201-218.

90. Francis Robinson, The Islamic World in The Age of Western Dominance, The New Cambridge History of Islam, Vol.5, Cambridge University Press, 2011, p.19.

91. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، الجزء 4، ص134.

92. إياس سلمان أبو حجير، المسلمون في الصين، ص27،28. للمزيد انظر: محمد أحمد عبدالسلام، أثر هجرة المسلمين في ثقافة وفنون الشرق الأقصى، جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، قطر-الدوحة، 2019م.

كان لانتشار التصوف الإسلامي مردوده الفني الفلسفي؛ وذلك من خلال ظهور أشكال فنية وتحف غريبة الشكل والمضمون والوظيفة على المجتمعات القاطنة لطرق الحرير، وتم استجلابها بالكامل من الفكر الصوفي الإسلامي، والفنون الإسلامية المارة عبر طرق الحرير؛ مما أدى إلى إثراء الحياة الفنية، ولعل أهم هذه الأشكال الجديدة للتحف "الكشكول" كوعاء للصوفي، يحمله معه في حِلّه وترحاله، ولعل من التأثيرات الحضارية أيضّاً وثيقة الصلة بالصوفية وجود أشكال المسبحة كإحدى التأثيرات الحضارية الإسلامية[93].

شغل العرب المسلمون في الصين وطرق الحرير، العديد من الوظائف الحكومية، فعلى سبيل المثال: "بو شيو قنغ"، وهو تاجر ذات أصل عربي تقلّد منصباً كبيراً في حكومة يوان فكان المسؤول عن إدارة التجارة الخارجية بمقاطعتي قوا لغدونغ وفوجيان، وأخوه "بو شيو تشنغ" الأديب المشهور الذي نَظَمَ الشعر باللغة الصينية، ونلاحظ رغم الأصول العربية لهما ولكنهما أخذوا ألقاباً صينية، وتوغلوا في ثقافة الصين وتشربوا من حضارتها[94]. بل وظهر العديد من القادة العسكريين المسلمين من ذوي الأصول العربية في عهد أسرة يوان الصينية، ومنهم الأمير "سيد يعقوب بايان"، والعديد من الوزراء والذين وردت أسمائهم بالسجلات الصينية، ومنهم الوزير "أحمد" والوزير "عبد الرحمن"، ولعل ذلك يعكس مدى القوة والنفوذ التي تمتع بها المسلمون في عهد الدولة المغولية، فنجد المسلمين يملكون العديد من الوظائف المهمة بالدولة، فمنهم دعاة للدين الإسلامي والأطباء والمهندسون وعلماء الفلك وجباة الضرائب وموظفي الجمارك ووكلاء الأعمال التجارية وفنانين وحرفيين[95].

93. عبد العزيز حميد، السبحة عند العرب، مجله كليه الآداب، جامعه بغداد، العراق، عدد ملحق، 1978م، ص146.

94. Susan Whitfield, The Silk Road "trade, travel, war, and faith", Serindia Publications, 2004, p.48.

95. Lixing, Hua & Fengjin, Yuan (李兴华 & 冯今源), 中国伊斯兰教史参考资料选编 (= Resources of History of Islam in China), 宁夏人民出版社 (= Ningxia People's Press), 1985, 1995, p.198.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات:

في تتمة هذا العمل البحثي، والذي تضمن سرداً لجوانب محددة من ازدهار الحوار الحضاري عبر طرق الحرير؛ كأقدم طريق للتجارة العالمية عبر الحضارات والتاريخ الإنساني، مُسلطاً الضوء على التواجد العربي والإسلامي كشركاء في هذا الحوار الذي امتد لآلاف السنين. والذي شمل في طياته مختلف القوميات والعرقيات والطوائف من شرق وغرب العالم، جمعتهم مصالح مشتركة، وبرهن تعاونهم عبر طرق الحرير على ترسيخ معان الحوار والتكامل بين الحضارات الإنسانية منذ فترات غابرة من تاريخها القديم. ويُمكن تلخيص أهم نتائج وتوصيات البحث فيما يلي:

- تصويب المُسمّى التاريخي والحضاري للفظة "طريق الحرير"، وبيان كونها بالجمع أولى، وتُترجم بالإنجليزية "Silk Roads".

- رصدت الدراسة تعددية مسميات وأوصاف طرق الحرير؛ نظراً لاختلاف قومياته وتعددية الحضارات العابرة من خلاله، وتنوع المنتجات التجارية والثقافية عبر مسالكه، حيث كان لكل مسمى وُصفت به طرق الحرير معنى دقيق وقيمة حضارة خاصة.

- رصدت الدراسة مراحل ازدهار وقوة طرق الحرير، مع بيان فترات التدهور والتراجع الذي أصابته؛ وربطت الدراسة بين ذلك وبين ثراء مظاهر الحوار الحضاري عبر طرق الحرير.

- دُعمت الدراسة بمجموعة من الخرائط والأشكال النادرة؛ كبراهين تاريخية وجغرافية على حالة الحوار الحضاري عبر طرق الحرير.

- رصدت الدراسة التواجد الإسلامي والعربي عبر طرق الحرير، حيث بلغت القوميات المسلمة عشر قوميات من أصل خمس وخمسين قومية عرقية شاركت في صناعة الحوار الحضاري البنَّاء في جُلّ فترات التجارات المتداولة عبر طرق الحرير.

- قدمت الدراسة سرداً تاريخيّاً لتعاقب الأسرات الصينية على إدارة طرق الحرير، والتجارات الواردة من وإلى الصين عبر مسالكه الممتدة من الصين إلى العالم.

- أكدّت الدراسة على كون طرق الحرير ممرات للحضارات والفنون والثقافات والمذاهب والمشارب المختلفة، ولم تكن طرق قاصرة على تبادل السلع التجارية فحسب.

- شملت الدراسة الإشارة إلى التنوع الأيدولوجي والثقافي الكبير عبر طرق الحرير، ومدى شمولية الدور العربي والإسلامي كواسطة عقد في الاتصال الحضاري عبر الشرق والغرب.

- أكدّت الدراسة بأدلة تاريخية وحضارية ملموسة، التواجد الحضاري المؤثر والحوار الجاد الذي تبناه تجار وسياسي العرب عبر طرق الحرير.

- أكدّت الدراسة القدرة الفائقة للشعوب الإسلامية والعربية على التكامل والتعاون مع القوميات المختلفة عبر طرق الحرير.

- أشارت الدراسة إلى دور الحج كرحلة دينية فاعلة عبرت ممرات طرق الحرير، وأحدثت نوعاً من التواصل الحضاري والثقافي المثمر.

- رصدّت الدراسة جوانب عابرة من الإسهام الأدبي والحضاري للعرب والمسلمين عبر طرق الحرير.

- تُوصي الدراسة بإفراد كثير من البحوث التي تُسلط الضوء على التواجد الإسلامي والعربي عبر طرق الحرير، وتدشين مراكز بحثية وأقسام علمية متخصصة في هذا الصدد بالجامعات العربية.

قائمة المصادر والمراجع:

• المراجع العربية والمعربة:

- إيرين فرانك، ديفيد براونستون، طريق الحرير، ترجمة: أحمد محمود، طباعة المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، مطابع الأهرام، القاهرة، 1989م.
- جواد الحمد، بحث بعنوان "الصين والعرب خطوات هادئة وطموحات كبيرة"، مجلة دراسات شرق أوسطية، الأردن، المجلد 12، العددان 42، 43، 2008م.
- جيا وجيان، تاريخ الصِين، سلسلة كتب سور الصِين العظيم، الجزء الأول، دار مجلة بناء الصِين، الطبعة الأولى، بكين، 1986م.
- جيا وجيان، تاريخ الصين، سلسلة كتب سور الصين العظيم، الجزء الثاني، دار مجلة بناء الصين، الطبعة الأولى، بكين، 1986م.
- ذانج هو، المعاملات بين الصين والعرب في العصر الوسيط، حصاد ندوة الدراسات العمانية، سلطنة عمان، 1980م.
- زكي محمد حسن، الصين وفنون الإسلام، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014م.
- عبد الحكيم الوائلي، موسوعة الأحجار الكريمة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2001م.
- عبد السلام الأدهمي، الصين الجديدة، دار العلم للملايين، بيروت، 1954م.
- عبد العزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار إشبيلية، الرياض، ط1، 1418هـ/1997م.
- لويس معلوف، المنجد في الأدب واللغة والعلوم، حرف (ي) مادة يشب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 2009م.
- مجموعة علماء، خمسة آلاف من تاريخ الصين، الجزء الأول، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، 2018م.
- مجموعة من الباحثين، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1983م.
- محمود سعيد عمران، المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م.
- منير البعلبكي، المورد قاموس، إنكليزي، عربي، دار العلم للملايين، الطبعة 7، بيروت - لبنان، 1977م، ص1252.
- ول ديورانت، قصة حضارة، "الشرق الأدنى" الجزء 2، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل للطبع والتوزيع، لبنان، 1971م.

• المراجع الأجنبية:

- Bai Shouqi (白寿弃), "中国穆斯林的历史贡献"="The Historical Contributions of Chinese Muslims", "应邀出席在阿尔及利亚召开，第13 伊斯，兰思想讨论会上所 发表的学术论文，页6-11"= "Algeria: Session of the Islamic Seminar 13, China, 1979.
- Bailey W. Diffie, and George D. Winius, Foundations of the Portuguese Empire, 1415–1580, New York, 2011
- Charles Desnoyers, Patterns of Modern Chinese History, Oxford University, 2016.
- Cindy Jenson-Elliott and Cynthia L Jenson-Elliott, Ancient Chinese Dynasties, Understanding world history, London, 2014.
- Derk Bodde, Charles LeBlanc, and others, Essays on Chinese Civilization, publication Centre Library, London, 2014.
- E. R. Lyman and Theodore Wong, Chronological Tables of the Chinese Dynasties "From the Chow Dynasty to the Ch'ing Dynasty", Publishing by Schalar Select , New York, 2015.
- Endymion Porter Wilkinson, Chinese History, A New Manual, Harvard University, Asia Studies, 2015.
- F. L. Hawks Pott, A Sketch of Chinese History, with a foreword by T. S. Wentworth, Historical books of the World, New York, 2011..
- Frederic E. Wakeman, and others, Telling Chinese History, A Selection of Essays, Lea H. Wakeman, New York, 2009.
- Frederic E. Wakeman, and others, Telling Chinese History, A Selection of Essays, Lea H. Wakeman, New York, 2009.
- Gabriel Deveria, Origine de l'islamisme en chine, in Islamic world in foreign travel accounts, Frankfurt University, 1996, V.74.
- Giannalberto Bendazzi, Twice the First, Boca Raton: Taylor & Francis, CRC Press. Translation of: Due volte l'oceano: CRC Press, 2018.
- Global shipping and logistic chain reshaped as China's Belt and Road dreams take off in Hellenic Shipping News, 4 December 2018.
- Harry de Wilt, Is One Belt, One Road a China crisis for North Sea main ports? In World Cargo News, 17 December 2019.
- Henry C. Fenn, A Sketch of Chinese History and advanced level text for modern Chinese, New York, 1983..
- Jacques Gernet, A History of Chinese Civilization, the British Museum publications, London, 1996.
- James Watt, and E. Wardwell Anne, When Silk Was Gold: Central Asian and Chinese Textiles, the metropolitan Museum press, New York, 1997.

- Jessica Harrison-Hall, Craig Clunas, Ming 50 Years That Changed China, the British Museum press, 2014.
- John Lawton, and Others, Integral Study of The Silk Roads, Roads of Dialogue, UNESCO, 2004.
- Joyce A. Tyldesley, Chronicle of the Queens of Egypt "From Early Dynastic Times to the Death of Cleopatra", Thames & Hudson, 2006..
- Kyong-Mcclain Rohlf, Jeff Kyong-McClain and Yongtao Du, Chinese History in Geographical Perspective, London, 2015.
- L. Carrington Goodrich, A Short History of The Chinese People, Angu & Srobertson world book, New York, 2008.
- Louz Roberts, and W. Irving, Raymond Medieval Trade in the Mediterranean world, New York. Colombia University Press, 2002..
- M. Gross, "Human geography and ecological sociology: the unfolding of human ecology, 1890 to 1930 – and beyond", Social Science History, 2004.
- Marcel Granet, Chinese Civilization, Rutledge for Publication, London, 2013.
- Michael Dillon, A Modern History, Paperback Publishing, New York, 2012.
- Michael Szonyi and Michael Szonyi, A Companion to Chinese History, Publishing by Wiley, New York, 2017.
- Miranda Brown and Conrad Schirokauer, A Brief History of Chinese Civilization, Fourth Edition, book world, 2011.
- Patricia Buckley Ebrey and Patricia Ebrey, Women and the Family in Chinese History, Central Asia Scholarship, New York, 2002.
- Paul Ratchnevsky, Genghis Khan His Life and Legacy, Angus and Robertson, 1993.
- Qizhi Zhang, An Introduction to Chinese History and Culture, Springer, China Academic Library, 2015.
- Relations between China and Arabs in the Early Era, and Zhang Junyuan, "Relations between China and the Arabs in the Early Times", Journal of Omani. Studies (Ministry of National Heritage and Culture), vol. 6, part 1, 1983.
- Shih-Shan Henry Tsai, The Eunuchs in the Ming Dynasty, Angus and Robertson, 1995.
- Sven Hedin, The Silk Road, Ten Thousand Miles through Central Asia, TPP, 2009.
- The Significance of The Silk Road in The History of Human Civilizations, Osaka, Japan, 1988.
- Valerie Hansen, The Silk Road A New History, book world, New York, 2015.
- Xinru Liu, The Silk Road in World History, Oxford University Press, 2010.
- Xinru Liu, A Silk Road Legacy "The Spread of Buddhism and Islam", Journal of World History, University of Hawai'i Press on behalf of World History Association, March 2011, Vol. 22, No.1.

دبلوماسية "المجاملة اللغوية" وأثرها في التواصل الحضاري

د. أحمد الجنابي
خبير لغوي - دولة قطر
dr.kasar@yahoo.com

الملخَّص:

كانت المجاملات اللغوية في السلك الدبلوماسي وما تزال تشكّل حضوراً فاعلاً ومؤثراً في العلاقات الدولية، وهي في سياق لغوي حذر جداً على مستوى اللفظة ومعناها ودلالتها ومقصدها، لما يترتب عليها من تمتين الصلات بين البلاد والزعماء، أو تأثر الصلات الدبلوماسية بسبب غياب الكلمة المجاملة في اللغة الدبلوماسية؛ مما يتسبب باستدعاء السفراء، أو توبيخهم، أو طردهم، أو سحبهم، أو أي شكل سلبي مؤثر في الأعراف الدبلوماسية وتقاليدها.

فالمجاملات اللغوية تعكس حالة الوفاق والوئام والرضى بين المتجاملين، والحرص على انتقاء أفضل الكلمات والعبارات وحتى العناية بلغة الجسد التي تترجمها الابتسامة وتعابير الوجه وحركات اليدين والوقوف احتراماً.

ولتناول هذا الموضوع لا بد لنا من أن نطلع على مفهوم المجاملة اللغوية وتعريفها لغةً واصطلاحاً ودلالة وترجمة، ومن ثم نعمد إلى تأصيل المجاملة اللغوية في التراث العربي والإسلامي بحكم خلفية هذا البحث ولغته الأم وهويته، وصولاً إلى بيان أثر المجاملة اللغوية في التواصل الحضاري، وهذا كله مما سيشكل مطالب هذا البحث ومسائله.

وأرى أن فن المجاملات اللغوية وما يتبعها من لغة جسد معبر وموظّفة يستحق أن يدرس في دورة علمية أو ورشة عمل للسلك الدبلوماسي؛ من أجل المحافظة على هذا العرف اللطيف وتعزيزه وتنميته وتطويره بما يخدم العلاقات الدولية؛ من أجل التواصل الحضاري الراقي.

Diplomacy of "linguistic courtesy" and its impact on Civilizational communication

Dr. Ahmed Al-Janabi
Linguistic Expert - State of Qatar
dr.kasar@yahoo.com

Abstract:

Linguistic compliments in the diplomatic corps have always played, and continue to play, an active and influential role in international relations. These compliments are used in a very cautious linguistic context regarding the word, its meaning, connotation, and intent. This is because they contribute to strengthening ties between countries and leaders or could affect diplomatic relations negatively due to the absence of a complimentary word in diplomatic language, potentially resulting in the summoning, reprimanding, expulsion, or withdrawal of ambassadors, or any other negative impact on diplomatic customs and traditions. Linguistic compliments reflect a state of harmony, concord, and satisfaction between those exchanging compliments. They involve the careful selection of the best words and phrases, even paying attention to body language, which is conveyed through smiles, facial expressions, hand movements, and standing out of respect.

To address this topic, we must first understand the concept of linguistic compliments by defining them linguistically, terminologically, in terms of their connotation, and translation. Then, we will trace the roots of linguistic compliments in Arab and Islamic heritage, considering the background, language, and identity of this research. We will also highlight the impact of linguistic compliments on cultural communication. These points will constitute the objectives and issues of this research.

I think that the art of linguistic compliments, along with the expressive and utilized body language that accompanies them, deserves to be studied in a scientific course or workshop for the diplomatic corps to maintain, enhance, and develop this delicate custom, which serves international relations for the sake of refined cultural communication.

المقدمة:

موضوع المجاملة اللغوية من الموضوعات المهمة في العالم الدبلوماسي والسياسي المعاصرين، لما لها من أثر إيجابي فعال في التواصل الحضاري، بين الحضارات والشعوب والثقافات والدول، وأن التقصير فيه أو الخلل في المجاملة اللغوية يؤثر سلباً في العلاقات والتواصل وهذا ما يشهد به القاصي والداني على مستوى العلاقات الثنائية الفردية وصولاً إلى العلاقات العامة.

وهذا الموضوع مما قصر فيه الباحثون فلم يولوه العناية البحثية الكاملة والمفصلة، وبالتالي فإنه يعد من الأبحاث والدراسات القليلة التي كتبت فيه، ومن الممكن التوسع فيه على مستويات أكاديمية بما يشمل التخصص في جزئيات هذا البحث والتبحر فيه، مثل: رسائل التهاني بين دولة كذا ودولة كذا دراسة تحليلية، ونحوها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المجاملة اللغوية في هذا الجانب تحسب على المجاملة المحمودة، وإلا هناك مجاملات لغوية مذمومة بحسب الشرائع والأديان والثقافات والعادات والتقاليد والحضارات، فعلى الدبلوماسي والسياسي قبل السفر إلى أي بلد أن يأخذ فكرة لغوية عما يقال وعما يستقبح ذكره ولو على سبيل المجاملة، وأن يضبط الألفاظ والعبارات حتى لا يغيّر المعاني والدلالات، أو حتى لا يكون (حاشاه) أضحوكة ومثار سخرية وهو يتحدث بلغة القوم بطريقة ركيكة وغيرها من عيوب النطق التي لا تليق باسمه وسمته ومنصبه، فالتدريب اللغوي مهم ومهم جداً في المجاملات اللغوية، وحتى المجاملات المكتوبة هي الأخرى يجب أن تصان وفق قواعد اللغة المكتوب بها احتراماً للمقابل والمتلقي.

وقد تطلب هذا البحث تناوله في أربعة مطالب على النحو الآتي:

- **المطلب الأول:** مفهوم المجاملة اللغوية وتعريفها ودلالتها.
- **المطلب الثاني:** تأصيل المجاملة اللغوية في التراث العربي والإسلامي.
- **المطلب الثالث:** أثر المجاملة اللغوية في التواصل الحضاري.
- **المطلب الرابع:** نماذج وتطبيقات معاصرة.

المطلب الأول: مفهوم المجاملة اللغوية وتعريفها ودلالتها

لم أجد تعريفاً للمجاملة اللغوية بحسب ما اطلعت عليه من مصادر ومراجع، ويمكن في البدء تعريف كل كلمة على حدة، ومن ثم محاولة الربط بينهما بتعريف جامع مانع، فالمجاملة لغة رآها بعض اللغويين على أنها كلمة سلبية، وبعضهم يراها كلمة إيجابية، فالفراهيدي (ت175هـ) قال عنها في معجم العين: "ويقال: جاملت فلاناً مجاملة إذا لم تصف له المودة"[1]، وفيما يبدو أن دلالة اللفظة تطورت وتغيرت وتبدلت فيما بعد، فهذا الزبيدي (ت1250هـ) في معجمه الكبير يقول: "جامله: أحسن عشرته وعامله بالجميل، ويقال: عليك بالمداراة والمجاملة"[2]، والخلاف اللغوي القديم في المجاملة استمر إلى العصر الحديث، ففي معجم اللغة العربية المعاصرة نجد أن المجاملة بمعنى عامله بالجميل أدباً لا عن اقتناع أو تسليم، على سبيل المجاملة[3]، وفي معجم الدوحة التاريخي للغة العربية[4] نجد أحد معاني المجاملة المتطورة دلالياً في العصر الحديث بمعنى المحاباة والانحياز، ويظهر ذلك من خلال قول أحدنا حين يمدح أحداً: لا أقول ذلك فيك مجاملة مني.

والمجاملة صرفياً على وزن (مفاعلة) التي تشير في مبناها إلى المشاركة والتشارك مع آخر أو آخرين، من جاملَ يجاملُ، مُجامَلَةً، فهو مُجامِل، والمفعول مُجامَل، وعرّفت بأنها طريقة كريمة لمبادرة الجميل[5].

وأما المجاملة اصطلاحاً فهي فن راق ومهم من فنون التعامل مع الآخر، وهو نوع من الكلام العذب اللطيف الجميل المحبب للنفوس لاستمالة الآخرين، وهو مهم جداً

1. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (العين، دار ومكتبة الهلال، القاهرة)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج 6 ص 142.
2. الزبيدي، محمد مرتضى، (تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، ج 28 ص 237.
3. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 1429هـ -2008م)، ج 1 ص 398.
4. معجم الدوحة التاريخي للغة العربية:
https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D9%85%D8%AC%D8%A7%D9%85%D9%84%D8%A9
5. رينهارت بيتر آن دُوزِي، (تكملة المعاجم العربية، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، من 1979-2000 م)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، وجمال الخياط: ج 7 ص 98.

في توثيق العلاقات بين الناس، وتقريب القلوب، والألفة، والمحبة. والمجاملة لا تقتصر بين المسلم والمسلم، ولكن تكون بين المسلم وغير المسلم[6].

وعرّفت أيضاً على أنها معاملة الغير بالحسنى، وملاينته بأي تصرف يدخل السرور والرضا إلى نفسه مشروعاً كان أم غير مشروع[7].

ومن التعريفات المترجمة يقال عنها بأن المجاملة هي سلوك الإنسان نحو الآخر كفرد مما يقربه منه (Courtesy is an action of a person towards another person)[8].

والمُجاملة كما قال النسفي تكون في المُعاملة[9]، والمعاملة معاملتان قولية وفعلية، وهذا ما يجب أن يفطن إليه الدبلوماسيون من خلال تعاملهم وتواصلهم مع الآخرين وخاصة مع نظرائهم من خلال العناية والمجاملة باللغة وبلغة الجسد.

إذن فأقول إن المجاملة اللغوية هي ملاطفة لفظية متبادلة بين اثنين أو أكثر على سبيل المعزّة والتقدير بقصد توثيق العلاقات وتمتينها، وتصنّف على أنها من كرم القول وفضائل المعاملة وحسن العِشرة.

المطلب الثاني: تأصيل المجاملة اللغوية في التراث العربي والإسلامي

جاء الأمر القرآني العام بقول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، وأما أسلوب المجاملة القرآنية فهو وارد في القرآن أيضاً كما يقول المفسرون، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة سبأ: ٢٤]، قال ابن البناء المراكشي: (وإنما جاء

6. صدقية محمد علي الحج، الأحكام الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين من منظور إسلامي (أحكام المجاملات)، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2014م: ص 30.

7. ريم محمد ذيب علاونة، المجاملة وأحكامها في الفقه الإسلامي (العبادات أنموذجاً)، جامعة اليرموك، الأردن، 1440هـ2019م: ص 11.

8. د. محمد نعمان جلال، (الاستراتيجية والدبلوماسية والبروتوكول بين الإسلام والمجتمع الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، 2004م): ص 285.

9. النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي (ت537هـ)، (التيسير في التفسير، تحقيق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول – تركيا، الطبعة: الأولى، 1440هـ-2019م)، ج 13 ص 487.

اللفظ بالإبهام على أسلوب المجاملة في الكلام والإمهال لهم ليقع التدبر والتذكار)[10]، وقد نص الراغب الأصفهاني في مفرداته على تحرّي المجاملة[11].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٣٧]، قال ابن عطية هذه الآية: (ندب إلى المجاملة)[12].

وأما في السنة النبوية ففي الحديث الصحيح: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"، جاء في شرح هذا الحديث العظيم: "ونبّه به على وطاءة الأخلاق، وحسن المعاملة، وكمال المجاملة"[13].

واعتنى شراح الحديث بمسألة المجاملة التي تخص الأحياء وحتى الأموات، ففي مسألة عدم ذكر مساوئ الميت، قيل إن تركها من محاسن الأخلاق، وقد دلهم صلى الله عليه وسلم على المجاملة وحسن المعاملة مع الأحياء والأموات[14].

وفي الأدب العربي شواهد كثيرة على المجاملة، فمما ورد في الشعر قول الشاعر المصري أحمد الكاشف (ت1948م)[15]:

ولا سألناكمُ مالاً يكون لنا ❊❊❊ عوناً فلسنا إلى ذي الفقر نفتقرْ

لكننا نرتجي منكم مجاملة ❊❊❊ نسلوا بها وعلى الأهوال نصطبرْ

10. ابن البناء المراكشي (ت721هـ)، أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، حققته وقدمت له: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1990م): ص 93.

11. الراغب الأصفهاني (ت502هـ)، القاسم الحسين بن محمد، (المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ)، ص 833.

12. ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت542هـ)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ)، ج 1 ص 322.

13. المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (ت1031هـ)، (فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، 1356هـ): ج 2 ص 237.

14. القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (ت1014هـ)، (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ-2002م): ج 5 ص 2125.

15. أحمد الكاشف، (ديوان الكاشف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1903م): ص 121.

وقال الشاعر اللبناني خليل مطران[16]:

لا شَيءَ أَجْمَلُ مِن مُجَامَلَةٍ إِذَا *** صَدَقَتْ وَجَاءَتْ مِن وَفِيٍّ شَاكِرِ

ومن الأمثال قولهم: "المجاملة أحب ضروب الرياء إلى الناس"[17]، ومن الأمثال المترجمة يقال إن "Courtesy Costs Nothing"[18] بمعنى أن المجاملة لا تكلف شيئاً.

وعموماً فإن مبادئ المجاملة تعد روح الشرائع الدينية، وموضوع المجاملة مبحوث في تراثنا العربي والإسلامي قبل الكتابة فيه في الدراسات الغربية بقرون، فعند القرن السادس عشر ظهرت في إيطاليا مؤلفات سميت بكتب المجاملة (Courtesy Books)، وأشهرها كتاب يحمل الاسم ذاته: (Book of Courtes)، نشر عام 1561، ومنها انتقلت إلى أمريكا حيث أنشأت السيدة إليازار مودي Eleazar Mood في سنة 1829 مدرسة السلوك الحميد (School of Good Manners)[19].

المطلب الثالث: أثر المجاملة اللغوية في التواصل الحضاري

تصنف المجاملة اللغوية في الدرس اللساني الحديث من باب الوظيفة الانتباهية التي تتعلق بقناة التواصل، وتهدف إلى إقامة التواصل والحفاظ عليه، والتأكد من اشتغال دورة الكلام وإثارة انتباه المتلقي، وقد سماها مالينوفسكي بـ"التشارك الانتباهي"، حيث إن الخطاب لا يهدف فيه إلى البلاغ، ومن هنا فليس كل تواصل بلاغاً، فالمحتوى هنا لا يعبر عن معلومات؛ بل عن علاقات اجتماعية وشخصية وحتى ثقافية وفكرية، تفهم من خلال المقام والكلام[20].

وتصنف المجاملة أيضاً لسانياً ضمن السلوك شبه اللغوي (Language-like Behavior)، ويطلق على أي كلام يتبادله الناس فيما بينهم، ولكنه لا يمثل اتصالاً

16. خليل مطران، أحمد حسين طماوي، (الديوان المجهول، دار الفرجاني، القاهرة، 1984م)، ص 120.
17. سمير عبد الرزاق قطب، (من كل روض زهرة، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1969م): ص 68.
18. عبد العزيز محمد الذكير، (الأمثال والمصطلحات في اللغة الإنجليزية، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997): ص 24.
19. د. محمد نعمان جلال، (الاستراتيجية والدبلوماسية والبروتوكول بين الإسلام والمجتمع الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، 2004م): ص 287.
20. أ.د. فرات النعيمي، (مشكلات التواصل الاجتماعي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان- الأردن، 2015م): ص 71.

حقيقياً، كعبارات التحية والوداع والمجاملة التي يلقيها الناس بعضهم على بعض دون انتباه لمعناها[21].

فالسؤال عن الحال والأهل والصحة والأمور والأخبار عند التلاقي بين الناس لا يقصد به بالضرورة الإجابة التفصيلية أو حتى الحقيقية لهذه الأسئلة وغيرها، وإنما يراد منها تعبئة الفراغات بعد التحية حتى الدخول في صلب الموضوع إن كان هناك موضوع وإلا فلا، فهذه من أنواع المجاملات العرفية التي تأتي بعد إلقاء التحايا، وهي حاضرة حتى في المكالمات الهاتفية عن بعد، فهي عتبات نصية اعتاد عليها المخاطبون فيما بينهم.

والمجاملة نوع من أنواع التواصل والحوار الحضاري، وربما يتصور البعض أنها بعيدة عن الحوار، وفي الحقيقة إذا كانت بين المتحاورين من ثقافات وجنسيات مختلفة فوجود عبارات مجاملة رقيقة وراقية تشيع أجواء الألفة وتعزز التواصل غير المباشر وتشعر المستمعين أن المناظرة من الود الكثير الذي ينفي الشقاق والخلاف[22].

وتتعدى المجاملة اللغوية إلى الأفعال المحكية والمواقف التي تتحدث عن نفسها، بما يشمل لغة الجسد، فالتساوي مثلاً في الجلسة بمستوى واحد بين الرئيسين أو الزعيمين يعطي دلالة وإشارة غير ما يجلس الرئيس نفسه أو الزعيم أمام وزرائه في اجتماع مثلاً، فهنا لغة وهناك لغة، لغة الأثاث تتحدث عن أن هذه الجلسة فيها مجاملة، أو هذا الترتيب فيه مجاملة، أو وضع علمي الدولتين في مكانهما المناسب وبالطريقة المناسبة هو مجاملة بصرية تتحدث عن نفسها، ولطالما حصلت انتقادات دبلوماسية لمخالفات في هذا الصدد وغيره.

تخيل أن رئيس دولة ينزل من طائرته الخاصة في زيارة رسمية لدولة ما والضيف يستقبله وهو جالس على كرسي في مقصورته أو داخل قاعة الاستقبال، فالوقوف وانتظار الضيف وهو ينزل أو قبل أن ينزل هي لغة دبلوماسية معبّرة ومجاملة فعلية تتحدث عن مزيد من الاحترام، والتوقير، والتبجيل، والتعظيم.

---

21. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، (المعجم الموسوعي لمصطلحات اللسانيات التطبيقية، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض، الطبعة الأولى، 1445هـ2023-م): ج2 ص 813.

22. د. مصطفى عطية جمعة، (المثاقفة والتواصل: حوار الذات وحوار الحضارات، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، مصر، 2023م): ص60.

وتعد المجاملة قسيماً للبروتوكول أو الإتكيت الذي يعني مجموعة من القواعد المكتوبة وغير المكتوبة التي تنظم المجاملات والأسبقية في مختلف المناسبات والمآدب الرسمية والاجتماعية.

وللتفريق بين المجاملة والبروتوكول والإتكيت يضرب مثال لتوضيح المقال، فإذا أرسلت باقة ورد لشخص في عيد ميلاده فهذه مجاملة، أما إذا سمحت لشخصية أعلى منك مكانة بدخول الباب قبلك فهذا بروتوكول، وإذا تكلمت بصوت واضح وهادئ فهذا إتكيت[23].

وتدل هذه القواعد والمبادئ على الخلق السليم القيم الذي يجمع بين الحسن والرقة والبساطة والجمال؛ لذا يمكن وصف الإتكيت بأنه: "فن الخصال الحميدة"، بمعنى "Good Manners"، أو أنه المجاملة "Courtesy"، ويمكن وصف المجاملة بأنها "فن الإرضاء"، أي "Art of Plesing"، وهي الصفة التي تجد دائماً طريقها إلى كل قلب، وتعطي فكرة حسنة عن صاحبها، وهي تقوم على أساس أن يراعي المرء ويضع في اهتمامه شعور أماني الآخرين وحقوقهم.

والمجاملة والإخلاص والبساطة واللياقة من الصفات البارزة التي تدل على الأصل الطيب؛ لذلك ينبغي تجنب الدعاء ورفع الصوت، والتباهي لأنها عادات غير كريمة، والمثل القائل: "حب لغيرك ما تحب لنفسك"، و"عامل الناس كما تحب أن يعاملوك"، هو أحسن وصف للمجاملة[24].

وقد تقتضي المجاملة سرعة الإجابة على برقيات الشكر والتهاني؛ لأن إغفالها وبخاصة في بعض الظروف قد يدل على فتور في العلاقات، أو عدم الرغبة في تبادل المجاملات[25]، ولا فرق كبيراً بين تأخر الإجابة عن شخص يشكرك في لقاء مباشر عن برقية شكر يتأخر الرد عليها، فعامل السرعة مطلوب في المجاملة، وهذا يقودنا إلى تنمية مهارة أخرى وهي سرعة البديهة والإجابة الحاضرة في اللقاءات والرد بالمثل

23. د. محمد نعمان جلال، (الاستراتيجية والدبلوماسية والبروتوكول بين الإسلام والمجتمع الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، 2004م): ص 285.

24. المصدر نفسه: ص 11.

25. صبحي سليمان، (فن التعامل مع الدبلوماسيين: الإتكيت السياسي، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، مصر، 2019م): ص 48.

أو بالأحسن، كمن يقول شكراً فيقال له على الرحب والسعة، ولا معنى مناسباً لكلمة (عفواً) في إجابات الكثيرين عندما يشكرون، فهي من الأخطاء الأسلوبية الشائعة، والجواب المناسب لعبارات الشكر هو (على الرحب والسعة)، أو (حباً وكرامة)، وهكذا الرد على عبارات من قال لك (تفضّل) فيقال له: (زاد فضلك)، وغيرها.

المطلب الرابع: نماذج وتطبيقات معاصرة

يشهد عالمنا المعاصر العديد من المجاملات اللغوية الراقية، وتترك أثراً دبلوماسياً رائعاً، ويمكن تقسيم المجاملات اللغوية الدبلوماسية إلى مجاملات مكتوبة ومنطوقة، على ما يأتي:

أولاً: المجاملات المكتوبة

ومن صور المجاملات المكتوبة أن يكتب رئيس دولة ما تغريدة أو تدوينة بلغة الرئيس الضيف، فمن ذلك ما كتبه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في حسابه على منصة "إكس" (تويتر سابقاً) (@RTErdogan) مغرداً باللغة العربية ومرحّباً بأمير دولة قطر قائلاً: "أهلاً بأخي سمو الأمير"[26].

فيما ردَّ حساب أمير دولة قطر سمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني من خلال حسابه في التطبيق نفسه (@TamimBinHamad) باللغة التركية[27]:

"KardeŞim Cumhurbaşkanı, Sizinle bir araya gelmek benim için büyük bir mutluluk".

وترجمتها إلى اللغة العربية تعني:

"أخي الرئيس، من دواعي سروري أن ألتقي بكم".

وكم فرحت الحكومتان التركية والقطرية؛ بل والشعبان التركي والقطري بهاتين المجاملتين اللغويتين، وشهدت تفاعلاً واسعاً من قبل الناطقين باللغتين التركية والعربية.

26. https://x.com/RTErdogan/status/1067036650784604160

27. https://x.com/TamimBinHamad/status/1067066579656019970

فهذا أثر ملموس من حيث التواصل الحضاري بين الأمتين التركية والعربية من خلال كلمات يسيرة مكتوبة في منصة من منصات التواصل الاجتماعي عبّر فيهما الزعيمان التركي والقطري عن علاقتهما الوثيقة ومشتركاتهما العديدة، فكتب كل واحد منهما بلغة الآخر، فهي من أرقى المجاملات وأبلغ الدبلوماسيات.

وكتبت حينها تغريدة في منصة "إكس" (تويتر سابقاً) بقولي: "حينما يغرد أمير دولة قطر باللغة التركية، ويغرد رئيس تركيا باللغة العربية، فهذه المجاملة اللغوية من أرقى نظم الاتصال والتواصل المعاصرة في الدبلوماسية الحديثة"[28].

وتأخذ المجاملات اللغوية المكتوبة بين الدول صوراً عديدة، أهمها ما يأتي:

- **التهاني:**

تقتضي المجاملات بين الدول أن يتبادل رؤساؤها التهاني والتبريكات في الأعياد الوطنية والمناسبات الدينية، وكذلك في المناسبات المهمة الأخرى، مثل تأييد قرار سياسي حاسم له تأثيره ودلالته الوطنية والإقليمية، أو النجاة من محاولة اغتيال، أو الفوز في الانتخابات[29].

وقد جرت العادة أن تقوم وسائل الإعلام الرسمية في الدولتين التي يتبادل رؤساؤها تلك التهاني والتبريكات بنشر الخبر وإذاعته وبثه مرات عديدة في دلالة على متانة العلاقة وعمقها بين الدولتين والشعبين الصديقين[30].

والتهاني بأنواعها في المناسبات السارة الرسمية (الأعياد القومية مثلاً)، والشخصية: (زواج، ترقية، شفاء من مرض، قدوم من سفر).

وحبّذ العرف الدبلوماسي المعاصر كسبيل للتواصل وتقوية أواصر الود بين الناس، وتتم التهاني بالرسائل والبطاقات أو بالهدايا والورود، ويقوم الملوك ورؤساء الدول وكبار المسؤولين بإرسال برقيات تهنئة لنظرائهم في الدول الأخرى

28. https://x.com/draljanabii/status/1030394696655417347?s=46&t=dO3g_0DWbWqxXNFEYtfFDQ

29. إسماعيل ذياب خليل العزاوي، (الأسبقية والمجاملات الدبلوماسية في العلاقات الدولية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، جامعة ديالى، العراق، المجلد الثالث، العدد الثاني، 2014م): ص 320.

30. الغفاري، علي عبد القوي، (الدبلوماسية القديمة والمعاصرة، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، الطبعة الأولى، 2002م): ص180.

في المناسبات القومية وعلى رأسها مناسبة اليوم الوطني، والدينية مثل العيدين ودخول العام الهجري الجديد، وشهر رمضان المعظم في الدول الإسلامية، وأعياد الميلاد والفصح ورأس السنة في الدول المسيحية، ويقوم كبار المسؤولين والشخصيات العامة بإرسال تهنئة لملك الدولة أو رئيسها في مثل هذه المناسبات، وقد يستقبل الملك أو رئيس الدولة جموع المهنئين للاحتفاء بالمناسبة، ويقيم الملك أو رئيس الدولة في غالبية الدول المسيحية حفل استقبال ضخماً بمناسبة العام الميلادي الجديد يدعو إليه السفراء الأجانب المعتمدين والوزراء وكبار رجال الدولة والشخصيات العامة لتبادل التهاني بالمناسبة، ويتم في دول كثيرة فتح سجل تشريفات خاص بالقصر الملكي أو الرئاسي يسجّل فيه المهنئون تهانيهم، ويكون من مهام السفراء في الخارج إبلاغ التشريفات الملكية أو الرئاسية في دولهم بالمناسبات الإضافية التي تستوجب إرسال التهاني لنظرائهم سواء عامة مثل تبوؤ للمنصب أو تنصيب أو تجديد ولاية وبيعة، أو شخصية مثل زواج أو شفاء من مرض أو قدوم مولود أو زواج نجل، أو غير ذلك[31].

ولكل شعب تقاليده وعاداته فيما يتصل بالتهاني في المناسبات الشخصية، وينبغي على الدبلوماسي في الخارج أن يحاول التعرف إلى تقاليد شعب الدولة الكائن بها مقر عمله في مثل هذه المناسبات ومراعاتها كسباً للود، فإذا دعي إلى حفل زواج مثلاً يجب الاستفسار عن المألوف من تصرف في هذه المناسبة فيما يتعلق بتقديم هدية أو إرسال باقة من الزهور قبل الحفل. وسار العرف في بعض الدول الغربية على تقديم مبلغ نقدي في مظروف مغلق للعروسين، أو شراء بعض احتياجات العروسين من محل متفق عليه يعلمه أقاربهما بقدر سعة المُهدي، ولا شك أن مراعاة دبلوماسي أجنبي لذلك من شأنه أن يلقى تقديراً خاصاً يزيد من توثيق صلات الود بينه وبين أصدقائه في هذا البلد[32].

وهذه المظاهر كلها مشفوعة ببطاقات مكتوبة، وقصاصات مدونة تكتب فيها

31. د. أحمد محمود جمعة، (قواعد اللياقة والمجاملة في العمل الدبلوماسي، معهد الدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية، المملكة العربية السعودية، إدارة النشر المتخصص، الشركة السعودية للأبحاث والنشر): ص 89-88.

32. د. أحمد محمود جمعة، (قواعد اللياقة والمجاملة في العمل الدبلوماسي، معهد الدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية، المملكة العربية السعودية، إدارة النشر المتخصص، الشركة السعودية للأبحاث والنشر): ص 89.

أجمل العبارات، وأصدق الدعوات، وأحلى الأمنيات، وهذه تحتاج إلى صياغة وأسلوب عاليين كما لا يخفى.

- **التعازي والمواساة:**

وهي من المجاملات التي عرفتها العلاقات الدولية؛ حيث يتبادل رؤساء الدول برقيات التعازي في المناسبات غير السعيدة كوفاة إحدى الشخصيات العامة، أو وقوع كوارث، وبذلك يعبّر رؤساء الدول عن مشاعرهم الحزينة في وفاة الأشخاص، وكذلك إعلان تضامنهم في حالة تعرض الدول لنكبات.

وقد رتبت قواعد العرف الحديثة واجبات خاصة من الناحية الرسمية في حالة وفاة ملك دولة شقيقة أو رئيسها، وتتمثل في إصدار بيانات رسمية عن رئاسة الدولة والوزراء تنعى الفقيد وتشيد بمآثره وبإنجازاته، وفي تقرير فترة حداد رسمية تنكس فيها الأعلام على المباني الحكومية والسفارات في الخارج، وفي إيفاد وفد رسمي ربما برئاسة رئيس الدولة ذاته لتقديم واجب العزاء وللمشاركة في تشييع الجنازة، ويتم فتح سجل للتعازي في سفارات بلد الفقيد حيث يتوافد المعزون من كبار المسؤولين والسفراء لتسجيل خالص عزائهم.

- **عيادة المريض:**

من الآداب التي أخذ بها العرف الدبلوماسي زيارة المريض، وإذا خشي الإثقال عليه يكتفي بترك بطاقة أو باقة ورد مرفق بها بطاقة مكتوبة تحمل تمنيات الشفاء العاجل.

ويتلقى السفراء في الخارج تكليفات رسمية من ملوكهم ورؤسائهم ووزرائهم بعيادة شخصيات مهمة نيابة عنهم بالزيارة، وتقديم باقات الزهور مع نقل تمنيات الشفاء العاجل وتوصيلها، ومن واجب السفراء إبلاغ كبار مسؤولي دولهم في حال دخول مسؤول مناظر في البلد المضيف للمستشفى لإجراء عملية جراحية من أجل القيام بواجب السؤال هاتفياً، أو الزيارة من خلال السفارة أو أقرب قنصلية عامة، وفي حال مرض حرم مسؤول كبير تتولى حرم السفير هذه المهمة نيابة عن بلدها وزوجها[33].

33. د. أحمد محمود جمعة، قواعد اللياقة والمجاملة في العمل الدبلوماسي، مصدر سابق، ص 90.

- **الاعتذار:**

يعد الاعتذار من صور المجاملات الحديثة في العلاقات الدولية، وهي أن يقوم رؤساء الدول بالاعتذار عما ألحقته دولهم من أضرار قومية أو إنسانية أو معنوية لدول أخرى، وهو ما يعرف بـ"دبلوماسية الاعتذار"[34].

- **الرسائل الدبلوماسية:**

لأسلوب الرسائل الدبلوماسية التي يوجهها رئيس دولة أو ملك أو سفير دولة دور كبير في تحقيق المهمة ونجاحها تلك التي يريد أن يصل إلى غايتها وإقناع الطرف الآخر بوجهة نظره، وبالتالي الحصول على تأييده لها، وذلك يعتمد على انتقاء العبارات الرقيقة والمؤثرة والألفاظ الواضحة التي لا شك فيها أو تأويل مستنداً إلى الوقائع والحقائق الثابتة، وعلى الدبلوماسي تجنب الإثارة والاستفزاز باستخدامه الألفاظ الفظة والخشنة الأمر الذي يثير الطرف الآخر، ويؤدي إلى التوتر والنفور من الرسالة، وبالتالي لا تحقق أي نتيجة، الأمر الذي يتناقض مع التعامل والأسلوب الدبلوماسي.

وحتى في أجواء العلاقات غير الودية أو المتوترة يجب على الدبلوماسي أن يظهر الرقة والمجاملة والثقة في علاقاته ومخاطباته.

ويجب أن تبدأ الرسالة بالإشارة إلى اسم المرسل إليه ولقبه (فخامة، صاحب الجلالة، سيادة، نيافة، دولة) مثلاً مع البدء بعبارات المجاملة التي تتناسب ومقام المرسل إليه، ثم يبدأ بعرض الموضوع بشفافية ووضوح وأسلوب لطيف، ثم ينهي الخطاب بعبارات المجاملة أيضاً، مثل: (مع فائق تقديري وأسمى اعتباري، أعرب لكم عن أطيب تمنياتي لشخصكم والرفاهية لبلدكم)، ثم التوثيق والتاريخ والعنوان[35].

34. إسماعيل ذياب خليل العزاوي، الأسبقية والمجاملات الدبلوماسية في العلاقات الدولية، مصدر سابق ص 321.

35. صباح طلعت قدرت، (الوجيز في الدبلوماسية والبروتوكول، وزارة الخارجية، جمهورية العراق، مطبعة كركي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 2013م): ص 58.

ثانياً: المجاملات المنطوقة

من المجاملات المنطوقة الكلمات الأُوَل التي تقال عند الاستقبال والعبارات التي تقال عند أول لحظة لقاء تواصلي بين مسؤولين رفيعي المستوى لها من الدلالات ما لها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما تلقفته وسائل الإعلام وجرت وسماً في وسائل التواصل الاجتماعي عندما استقبل الرئيس التركي رجب طيب أردوغان سمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، فقال له بلسان عربي مبين: (أهلاً بالسند)، بعد التحية (تحية الإسلام) مباشرة، وكانت هذه أول زيارة خارجية لأمير دولة قطر بعد حصار 2017، وعبارة الرئيس التركي باللغة العربية من أرقى المجاملات، وفيها من البلاغة بأنه أنزل نفسه منزلة المخاطب، فالسند في تلك الأزمة كانت تركيا في الحقيقة لقطر، لكن الرئيس التركي قالها لأمير دولة بينهما أفضال لا فضل واحد، فكأن الموقف التي قامت به تركيا هو دعم لسندها أمير قطر الذي هو حليف استراتيجي لتركيا وللرئيس التركي من قبل ومن بعد.

ومنها مثلاً آخر عندما رحّب جلالة ملك إسبانيا فيليبى السادس بأمير دولة قطر سمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني وحرم سمو الأمير سمو الشيخة جواهر بنت حمد بن سحيم آل ثاني في مأدبة العشاء الرسمية التي أقيمت تكريماً لسموهما في القصر الملكي، فبعد كلمته باللغة الإنجليزية قال كلمة مقتضبة لكنها معبرة باللغة العربية ونصّها: (أهلاً وسهلاً بكم في إسبانيا بلدكم الثاني)، وبينما جلالة الملك الإسباني يقرأ من ورقة هذا النص العربي بتؤدة وتمهل كانت الابتسامة العريضة اللطيفة ملازمة لأمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني التي حملت معاني الإعجاب والتقدير والتشجيع في الوقت نفسه.

ويذكر أن ملك إسبانيا يجيد خمس لغات كما تقول "ويكبيديا" وهي: الإسبانية، والقطلونية، والفرنسية، والإنجليزية، والإيطالية، وليس من بينها العربية، وهذا يعني أن جلالته تعلم هذا النص العربي وتدرب عليه بلا شك من أجل هذه اللحظة التاريخية في لقاء الأمير العربي الخليجي القطري، وهذا فيه ما فيه من المجاملة اللغوية المتكلفة لإظهار مزيد من مشاعر المحبة والإخاء وعمق العلاقة والصلة مع هذا الضيف المميز.

الخاتمة:

في الختام لا يسعنا إلا أن نقول إن اللغة حاضرة بمستوياتها كافة في فن المجاملات الدبلوماسية والسياسية وأثرها ظاهر وبيّن في التواصل الحضاري، فالإملاء والكتابة والنحو والصرف والمعجمية والبلاغة والأسلوب والترجمة كلها مما يجب مراعاتها في المجاملات اللغوية، والأمثلة المعاصرة غنية بالأمثلة والشواهد والنماذج التي هي بحاجة إلى بحوث تخصصية عميقة ومفيدة ومثرية وموثقة في الوقت نفسه لمرحلة تاريخية مهمة وعاكسة لوجه حضاري مشرق ومميز وراق ويشمل حقيقة الصفات الجميلة كلها.

ومن جانب آخر فإن العلاقات الدولية المعاصرة تحتاج وبشدة إلى إشاعة هذا اللون الأدبي اللطيف الذي يقضي على الأزمات الدبلوماسية والخلاف والتقاطعات وينشر رسالة سلام ومحبة ووئام ووفاق بين الناس، واللغات قادرة على أن تسهم حضارياً في هذا المضمار وأن تكون الأدلة والوسيلة للتقريب بين الحضارات والتفاهم فيما بينها بدل نظريات الصدام والصراع التي لم تأت بخير.

وعلى الدبلوماسيين والسياسيين المتصدرين في التعامل مع نظرائهم أن يولوا هذا الموضوع عناية فائقة، وأن يطوروا من أنفسهم من خلال تطوير ذواتهم في اللغة والحوار وفنون التواصل والاتصال، والتدرب على سرعة البديهة واستحضار الأجوبة المناسبة، وكذلك التفنن في مهارات الكلام وأساليب الرد القوية ذات القيمة الأخلاقية المضافة، فضلاً عن تعلم اللغات والتمكن من أساليبها الأدبية المتقدمة، مع الاعتزاز باللغة العربية التي هي البحر الذي لا ساحل له في الألفاظ والتعابير والأساليب والمعاني والدلالات، ولنا في موروثنا اللغوي الكفاية والدراية في هذه الجوانب من أنماط اللغة التي تسعف المتحدثين بالعربية، بل والناطقين بها.

المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم:

- ابن البناء المراكشي (ت721هـ)، أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، حققته وقدمت له: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1990م).
- أحمد الكاشف، (ديوان الكاشف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1903م).
- أحمد مختار عبد الحميد عمر، (معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 1429هـ- 2008م).
- خليل مطران، أحمد حسين طماوي، (الديوان المجهول، دار الفرجاني، القاهرة، 1984م).
- د. أحمد محمود جمعة، (قواعد اللياقة والمجاملة في العمل الدبلوماسي، معهد الدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية، المملكة العربية السعودية، إدارة النشر المتخصص، الشركة السعودية للأبحاث والنشر).
- د. محمد نعمان جلال، (الاستراتيجية والدبلوماسية والبروتوكول بين الإسلام والمجتمع الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، 2004م).
- د. مصطفى عطية جمعة، (المثاقفة والتواصل: حوار الذات وحوار الحضارات، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، مصر، 2023م).
- الراغب الأصفهاني (ت502هـ)، القاسم الحسين بن محمد، (المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ).
- ريم محمد ذيب علاونة، المجاملة وأحكامها في الفقه الإسلامي (العبادات أنموذجاً)، جامعة اليرموك، الأردن، 1440هـ - 2019م.
- رينهارت بيتر آن دُوزِي، (تكملة المعاجم العربية، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، من 1979 - 2000م)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، وجمال الخياط.
- الزبيدي، محمد مرتضى، (تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة.
- سمير عبد الرزاق قطب، (من كل روض زهرة، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1969م).
- صباح طلعت قدرت، (الوجيز في الدبلوماسية والبروتوكول، وزارة الخارجية، جمهورية العراق، مطبعة كركي، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، 2013م).
- صبحي سليمان، (فن التعامل مع الدبلوماسيين: الإتكيت السياسي، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، مصر، 2019م).
- صدقية محمد علي الحج، الأحكام الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين من منظور إسلامي (أحكام المجاملات)، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2014م.
- عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، (المعجم الموسوعي لمصطلحات اللسانيات التطبيقية، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض، الطبعة الأولى، 1445هـ - 2023م).
- عبد العزيز محمد الذكير، (الأمثال والمصطلحات في اللغة الإنجليزية، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997).

- ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت542هـ)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ).
- الغفاري، علي عبد القوي، (الدبلوماسية القديمة والمعاصرة، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، الطبعة الأولى، 2002م).
- أ.د. فرات النعيمي، (مشكلات التواصل الاجتماعي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان- الأردن، 2015م).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (العين، دار ومكتبة الهلال، القاهرة)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي.
- القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (ت1014هـ)، (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م).
- م. م. إسماعيل ذياب خليل العزاوي، (الأسبقية والمجاملات الدبلوماسية في العلاقات الدولية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، جامعة ديالى، العراق، المجلد الثالث، العدد الثاني، 2014م).
- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (ت1031هـ)، (فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، 1356هـ).
- النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي (ت537هـ)، (التيسير في التفسير، تحقيق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول – تركيا، الطبعة: الأولى، 1440هـ - 2019م).

• المواقع الإلكترونية:

- منصة (X) تويتر سابقاً.
- منصة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية.

تعزيز قيم تحالف الحضارات لدى طلبة جامعة قطر: مقرر حوار الحضارات نموذجاً

الطالبة مها ضحوي الشمري
رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
للحصول على درجة الماجستير في الأديان وحوار الحضارات

تكتسي الدراسة التي تقدمت بها الطالبة مها الشمري لنيل درجة الماجستير في الأديان وحوار الحضارات من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر أهمية بالغة، وذلك لضرورة الحوار بين الأديان والحضارات؛ لتجنب سوء فهم الآخر، وللحد من انتشار العصبية واحتقان العلاقات بين البشر مختلفي الأديان والحضارات.

وتهدف الدراسة إلى التأكيد على مجال التعليم الذي يُعد أحد أهم مجالات تعزيز الحوار الحضاري، علاوة على إبراز دور دولة قطر في مجال تحالف الحضارات، والكشف عن أدوار جامعة قطر التعليمية في تعزيز الحوار الحضاري من خلال مقرر حوار الحضارات الذي يمثل بؤرة التواصل بين الأديان والحضارات، وتكوين عقلية لدى الطالب الجامعي قائمة على تقبل الآخر، وتفهمه بعيداً عن العقلية المُنحازة إلى مواقف سلبية تجاهه؛ لكي يتمكن الطلبة من الاندماج في الوسط العالمي بعيداً عن الصراع، وقياس مدى تحقق الأهداف المرسومة في هذا المجال، من خلال اعتماد المنهج الكمي والنوعي في الدراسة الميدانية التي أجريت على عينة من طلاب جامعة قطر ممن درسوا مقرر حوار الحضارات.

قسمت الباحثة بحثها إلى أربعة فصول، يعرض الفصل الأول تمهيداً عن التنوع والاختلاف بين البشر وعرضاً للسياق التاريخي للعلاقات بين الحضارات المتجاورة. أما الفصل الثاني، فيهتم بتحليل طبيعة العلاقة بين الحضارات ما بين الصدام والحوار، وأنواع الحوار وشروطه، بينما يركز الفصل الثالث على ما تقوم به الجامعات العربية والإسلامية بصفة خاصة من أدوار من شأنها تعزيز الحوار الفعال. وتم تخصيص الفصل الرابع والأخير للدراسة الميدانية وذلك لقياس دور مقرر حوار الحضارات الذي يتم تدريسه بجامعة قطر في تعزيز قيم الحوار بين الحضارات.

وتوصلت الطالبة في نهاية رسالتها إلى مجموعة من النتائج أهمها ما يلي:

1. عزز مقرر حوار الحضارات الاكتساب القيمي لدى عينة الدراسة بوسط حسابي عالي جداً، وبلغت عبارة قيمة احترام التقاليد درجة موافقة متميزة لدى العينة، وتلتها عبارة قيمة الأمن بدرجة مرتفعة، وتشير هذه النتيجة إلى أن الطلبة الذين اجتازوا هذا المقرر يتمتعون بمستوى عالٍ من القيم المحورية.

2. عزز مقرر حوار الحضارات "الاستيعاب المفاهيمي لدى الطلبة"، فأظهرت النتائج أن هناك عبارات حصلت على مستوى متميز من الإدراك، وهي: تعريف مفهوم تعارف الحضارات، وشرح مفهوم الحوار، والتمييز بين النقاش والجدال، وتحليل مفهوم صدام الحضارات. ويفسر ذلك استيعاب الطلبة للتعريفات والمفاهيم الأساسية للحوار الحضاري.

3. عزز مقرر حوار الحضارات لدى الطلبة عدداً من سمات الخريجين الأساسية التي تمثلت لديهم بمستوى مرتفع جداً، من بينها البحث والتفكير الإبداعي والتكيفي، والرغبة في التعلم مدى الحياة من خلال الاطلاع الواسع في مجالات مختلفة، مع القدرة على التعلم الذاتي والمستمر، بالإضافة إلى مهارات التواصل الفعالة.

4. يوجد فرق معنوي بين متوسط استجابة أفراد عينة الإدراك المعرفي تحت تأثير النوع، حيث كان لصالح الإناث بمتوسط أعلى من الذكور. كما أن متغير النوع له تأثير على الإدراك المهاري، حيث تدل النتائج على أن مستوى الإدراك المهاري للإناث مرتفع مقارنة بمستوى الذكور، ويمكن عزو ذلك إلى أن رغبة ودافعية الإناث في التعليم تفوق رغبة الطلاب، وذلك نتيجة أسباب عديدة من بينها دوافع اجتماعية، بالإضافة إلى طبيعة تركيبة الإناث المختلفة عن الذكور.

5. ملاحظة وجود نواقص تحتاج إلى استدراك في المقرر بمسألة "تجسيد الهوية العربية الإسلامية"، حيث أظهرت النتائج أن غالبية الطلبة لم تكن لديهم المعرفة والفهم الكافي حول الموضوع، مما يتطلب تعزيز هذه المسألة في المقرر من خلال تناول مواضيع وقضايا تساعد على تعزيز وعي الطلبة بالهوية العربية الإسلامية.

وبناءً على نتائج البحث، قدمت الدراسة عدداً من التوصيات، أهمها ما يلي:

1. تضمين ورشات تدريبية مكثفة في مقرر حوار الحضارات، وذلك لتنمية المهارات التطبيقية التي يتطلبها واقع الحوار الحضاري اليوم؛ لكيلا يحدث انفصام بين النظرية والتطبيق، ولتعزيز الإدراك المعرفي والاكتساب المهاري لدى الطلبة بشكل عام والذكور بشكل خاص.

2. إبراز ثقافة الدور الريادي لدولة قطر في تحالف الحضارات لطلاب الجامعة لاسيما القطريين من خلال محاضرات وأنشطة وتنظيم فعاليات في مجال الحوار.

3. إدراج مقرر الثقافة الإسلامية كمتطلب سابق لمقرر حوار الحضارات لإبراز تجسيد الهوية العربية الإسلامية في المقرر.

4. السعي إلى إدراج مقرر حوار الحضارات ضمن المتطلبات العامة الإجبارية لطلاب الجامعات في دولة قطر؛ لتعزيز قيم تحالف الحضارات.

أضواء على:

مؤتمر الدوحة الخامس عشر لحوار الأديان

الأديان وتربية النشء في ظل المتغيرات الأسرية المعاصرة

تحت رعاية معالي الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن جاسم آل ثاني رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية انعقدت في مدينةِ الدوحةِ يومي (7-8) مايو 2024م أعمالُ المؤتمرِ الخامس عشر لحوارِ الأديان بعنوان: (الأديان وتربية النشء في ظل المتغيرات الأسرية المعاصرة) تحت شعار "التكامل الأسري- دينٌ وقيمٌ وتربية"، وذلك بمشاركةِ نُخبةٍ من المفكرين والباحثين من علماءِ الأديانِ السماويةِ الثلاث (الإسلام والمسيحية واليهودية)، بلغ عددُهم (270) شخصية من (75) دولة، إضافة إلى المشاركين من دولةِ قطر البالغ عددهم (130) مشاركاً.

وقد افتُتِح المؤتمرُ بكلمةٍ كريمةٍ لسعادةِ السيدة لولوة بنت راشد محمد الخاطر وزير الدولة للتعاون الدولي، رحبت فيها بالسادة الحضور، وأثنت على موضوع المؤتمر، داعيةً أن يتحقق- من خلال الحوارات الجادة والدراسات العميقة بين القادة الدينيين والعلماء المفكرين الحاضرين- الهدفُ السامي في تلاقي أهل الإيمان والمختصين لفتح آفاق الحوار ورؤى التفاهم؛ لمعالجة كافة القضايا الإنسانية المهمة التي تؤثر في حياة بني البشر على اختلاف أديانهم وأجناسهم وثقافاتهم؛ وأن يخرج المؤتمر بمقترحات ومبادرات واقعية تسهم في معالجة قضايا الأسرة المعاصرة والتصدي للتحديات التي تواجهها في تربية النشء.

أهداف المؤتمر:

1. إيجاد منبرٍ للنقاش والتفاعل بين المثقفين والأكاديميين والباحثين المتخصصين والمعنيين بقضايا الأسرة المعاصرة؛ في محاولة لاستيضاحها وأثرها على الأسرة وكيفية تقديم سبل الدعم والمعالجة لتلك التحديات من منظور الأديان وحقوق الإنسان والتشريعات القانونية.

2. التأكيد على الحفاظ على هيكل المنظومة الأسرية بما أقرته الأديان وما توافقت عليه الفطرة الإنسانية السليمة.

3. الإعلاء من شأن القيم الدينية والأخلاق الفاضلة ودورها وأثرها في تربية النشء وتحقيق التماسك الأسري.

4. تحديد مسؤولية القادة الدينيين والمؤثرين من أصحاب القرار لمناقشة أخطر التحديات الآنية المؤثرة على الأسرة المعاصرة.

5. التحذير الشديد من خطر الحروب والنزاعات على الأسرة وخاصة الأطفال والنساء وكبار السن وذوي الإعاقة، وضرورة قيام المجتمع الدولي بدوره في تفعيل القوانين الدولية التي تجرم وتعاقب مرتكبي هذه الانتهكات، والتحرك الجاد والسريع لإنهاء النزاعات المسلحة وتوفير المساعدات الإنسانية العاجلة للأسر المتضررة بسبب الحروب، مثل (غزة والسودان واليمن) وغيرهم.

محاور المؤتمر وجلساته:

تضمنت جلسات المؤتمر مناقشة أربعة محاور رئيسية في ثلاث جلساتٍ عامة، وإحدى وعشرين جلسة فرعية متزامنة، بالإضافة إلى الجلسة الافتتاحية والجلسة الختامية، وقد قُدِّمَت خلالهم أوراقٌ بحثيةٌ للمشاركين. وتمثلت المحاور بالآتي:

المحور الأول: الأديان وهوية المنظومة الأسرية

1. هيكل البناء الأسري في الأديان (المفهوم والمكانة والمسؤولية).
2. القيم الدينية والتربوية وتحقيق التكامل الأسري.
3. الأديان والتضامن الأسري (الحقوق والمسؤوليات).

المحور الثاني: الدور المركزي للأسرة في التنشأة والتربية

1. مقومات البناء الداخلي للأسرة السليمة.
2. الأسرة وتأثيرها في التنمية والنهضة للمجتمعات والأوطان.
3. التدخلات الخارجية وزعزعة الدور المركزي للأسرة.

المحور الثالث: قضايا الأسرة المعاصرة (سبل الدعم والمعالجة والحلول)

1. دور المؤسسات الرسمية والدينية ومنظمات المجتمع المدني في دعم الأسرة.
2. الأسرة والتحديات المعاصرة في المجتمعات متعددة الأديان والثقافات.
3. الأسرة في ظل القوانين الوطنية والدولية بين التأييد والانتقاد.

البيان الختامي:

واسترشاداً بما تضمنته الأوراقُ والبحوثُ الـمُقدَّمة، وما جرى خلالَ جلساتِ المؤتمرِ من حواراتٍ ومداخلاتٍ ومناقشات؛ فقد توصَّل المؤتمرُ إلى عددٍ من التوصيات، وقرَّر إصدارَ البيانِ الختاميِّ التالي:

- **أولاً:** التأكيد على أن الحفاظ على هيكل المنظومة الأسرية وتقوية بنيانها وتحصينها من المخاطر المعاصرة التي تواجهها كون الأسرة هي الركيزة الأساسية للمجتمع؛ لن يتم إلا من خلال الآتي:

1. بجعل التعاليم والقيم الدينية هادية لمسار الأسرة وموجهة لأفرادها.
2. الإعلاء من شأن القيم والأخلاق الفاضلة، والتنويه بدورها وأثرها في توجيه السلوك البشري وتعظيم التماسك الأسري.
3. التركيز على محورية التربية بِوصفها مَساراً بالغ الأهمية والحيوية لتحقيق تنشئة سليمة للأجيال الناشئة التي تصنع المستقبل.
4. تفعيل دور الأسرة للقيام بدورها في وقاية أبنائها من الوقوع في الممارسات والسلوكيات الخاطئة أخلاقيّاً، وتحقيق الوعي الأسري الذاتي لأفراد الأسرة

والتأكيد على أدوار الآباء والأمهات وتقسيم وظائفهم، من خلال بناء الروابط العاطفية فيما بينهم أولاً، والاجتماعية ثانيّاً بينهم وبين أبنائهم، لخلق فضاء أسري يسوده الوئام، في منآى عن الصراعات والمشاحنات المُنفِّرة لصورة العائلة في أذهان النشء.

5. الاهتمام الوطني المؤسسي الرسمي بالخدمة الاجتماعية الأسرية، وتحديداً بالحالات الأسرية ذات الهشاشة، وتعميق الفهم بدورها؛ ليس فقط في تقديم الدعم المادي للأسر الهشة أو الفقيرة، وإنما في تزويدها بالمعارف النافعة التي تُمكنها من مُجابهة النوازل والمشكلات والتحديات التي تواجهها.

6. تبني ومساندة المبادرات المؤسسية التطوعية المدنية والفردية، وإطلاق المشروعات التوجيهية الهادفة لحماية وصون الأسرة وتقوية أركانها.

7. إدراج الحوار الأسري في البرامج والمناهج التعليمية، وتخصيصه بدراساتٍ مستقلة وبحوثٍ متخصصة في مختلف المراكز والمؤسسات التعليمية نظريّاً من خلال التأسيس له، وعمليّاً من خلال استضافة أسرٍ لتنمية ثقافة الحوار لديها.

- **ثانياً:** التأكيد على القواسم الدينية المشتركة في الأديان السماوية، وتوضيح مقاصدها السامية من أجل تحصين الأسرة بمفهومها الدقيق وهيكل بنائها ومكانتها ومسؤوليتها، وتأثيرها في التنمية والنهضة للمجتمعات والأوطان، ومن

ثم الحفاظ عليها من التدخلات الخارجية والأفكار الهدامة الرامية لزعزعة الدور المركزي للأسرة.

- **ثالثاً:** التأكيد على دور المؤسسات الدينية في دعم الأسرة وحمايتها، وتحقيق استقرارها والاهتمام بالشؤون الأسرية كافة، ومعالجة المشكلات ودرء خطر التفكك الذي يستهدف تماسك الأسرة، وتقديم رؤًى وتصوراتٍ واقعية ملموسة لتفعيل هذا الدور.

- **رابعاً:** التأكيد على دور المؤسسات التعليمية- وخاصة الجامعات- في دعم الأسرة وتحصينها من الأفكار والفلسفات التي تفتك بالمجتمعات والحضارات، بل بالإنسانية جمعاء، سواء من خلال المناهج الدراسية بطرح مقررات ومناهج تسهم في تشكل وعي الطلاب، أو بإجراء الدراسات والبحوث العلمية لدراسة كافة قضايا الأسرة.

- **خامساً:** ضرورة تحقيق الشراكة بين مختلف الجهات ذات العلاقة بالأسرة والمجتمع، وإيجاد طرق علمية لبحث ومناقشة القضايا التي تشغل المجتمع والأسرة، وتفعيل أدوار الأسرة من خلال برامج جاذبة، يتم خلالها تصميم البرامج التدريبية لأولياء الأمور لمساعدتهم في معالجة تحديات العصر التي تعيق الحفاظ على الهوية الأسرية وتهدد تماسكها.

- **سادساً:** يتوجب على المؤسسات الإعلامية الرسمية تعزيز دورها ضمن نطاق المسؤولية الاجتماعية، كما يتوجب تبنى وسائل الإعلام لحملات توعية لنشر الوعي المجتمعي بأهمية الحفاظ على المنظومة الأسرية والترابط الأسري وتوضيح خطورة الأفكار الهادمة للبناء الأسري القويم وتماسكه، والدعوة لضرورة التمسك بالقيم الدينية والأخلاقية، وإظهار مكانة الأسرة وأهمية الحفاظ على تماسكها وأهميتها لتماسك المجتمعات والأوطان.

- **سابعاً:** التحذير الشديد من خطر الحروب والنزاعات على الأسرة وخاصة الأطفال والنساء وكبار السن وذوي الإعاقة، والانتهاكات الحقوقية التي تعصف بهم خلال هذه الحروب وتفاقم الوضع الإنساني لهم، وهذا يفرض على المجتمع الدولي تفعيل القوانين الدولية التي تجرم وتعاقب مرتكبي هذه الانتهكات، والتحرك الجاد والسريع لإنهاء النزاعات المسلحة وتوفير المساعدات الإنسانية العاجلة للأسر والمدنيين.

- **ثامناً:** تخصيص أسر الأقليات بالدراسة الموضوعية المعمقة للتحديات التي تواجههم، سواء كانت تحديات في الهوية أو الاندماج والتعايش مع الثقافة المغايرة والاختلافات الدينية، وتفعيل دورهم واندماجهم الواعي في المجتمعات التي يعيشون فيها.

العالم الإسلامي في مهب التحولات الحضارية

- تأليف: الدكتور أحمد داود أوغلو
- تعريب: الدكتور إبراهيم البيومي
- الناشر: مكتبة الشروق الدولية

صدر هذا الكتاب عن مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة، وقام بترجمته الى العربية الدكتور إبراهيم البيومي، حيث بدأ الباحث في الفصل الأول من الكتاب بمراجعة نقدية لنظريات النهاية والتي تنادي بنهاية الدين والأيدولوجية والتاريخ. وكان الهدف من هذه المراجعة النقدية هو شرح المفاهيم الخاطئة التي يقوم عليها النموذج الحداثي فيما يتعلق بمستقبل الإنسانية، ثم تناول الباحث في الفصل الثاني مسحاً للأزمة الحضارية، وذلك على نحو يرسم إطاراً نظرياً للفكرة الرئيسة لهذا الكتاب، وهي أن انهيار الاشتراكية يعتبر مؤشراً على وجود أزمة حضارية شاملة وما يستتبعها من تحولات بالغة الأثر.

أما الفصل الثالث من الكتاب، فيسلط الضوء على محاولات إعادة هيكلة الثوابت الفلسفية للنموذج الغربي بقصد التغلب على تلك الأزمة الحضارية، ويناقش الفصل الرابع العواقب السياسية لتلك التحولات الحضارية بشكل مفصل.

وفي بقية فصول الكتاب، قام الباحث بتحليل موقف العالم الإسلامي تجاه التحولات، حيث ناقش الفصل الخامس الأسس والثوابت النظرية لردة فعل العالم الإسلامي تجاه الأزمة الحضارية القائمة، كما ناقش الفصل السادس الإشكالية

الفكرية والبنيوية في العالم الإسلامي، والتي تحول دون صياغة نظام حضاري جديد. وكذلك سلَّط الفصل السابع الضوء على التوترات والتحديات السياسية فيما بين مراكز القوى في النظام العالمي ودور العالم الإسلامي كطرف في الإشكاليات الحضارية ثنائية البعد، وانتهي الكتاب في الفصل الثامن بملاحظات ختامية تتمثل أهمها في الآتي:

- أن أكثر الظواهر أهمية خلال العقد الأخير من القرن العشرين هي تلك النزعة المتنامية نحو تحول حضاري حقيقي نتيجة الأزمة الحضارية الشاملة التي خلفها نموذج الحداثة الغربية، على نحو يتهدد الأمن الوجودي والحرية الإنسانية، وهما يمثلان أهم الغايات الأساسية التي ظل الإنسان يبحث عنها على مر التاريخ. فالهزة العنيفة التي أصابت المبادئ الأساسية للنموذج الحداثي وضرورة تعديله وإعادة تشكيله، وهي العملية التي انكبت عليها الحضارة الغربية للتغلب على الاختلالات المفاهيمية والمؤسسية التي انتابت علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالطبيعة.

- أن نظرية النهاية التي تفترض وصول التطور في الفكر الإنساني إلى نهايته فيما يتعلق بطرق تحقق السعادة الإنسانية، تتجاهل تلك الاختلالات التي تعتري النموذج الحداثي الغربي، الأمر الذي أدى إلى خلق حالة من التفاؤل الزائف ليس من الناحية الفلسفية فحسب، بل من الناحية السياسية التطبيقية أيضاً، بيد أن التيار العام السائد يشير إلى ظهور نزعة أخرى تهدف إلى إجراء تحولات حضارية من أجل التغلب على هذه الإشكالية. ومن المتوقع أن مثل هذا التحول الحضاري وما سيعقبه من تداعيات فكرية واقتصادية وسياسية سوف يلقي بظلاله السياسية على الساحة الدولية برمتها.

- ثمة نزعة متنامية نحو الصدام بين الحضارتين الإسلامية والغربية، ويمكن أن تتحول هذه النزعة إلى حيوية حضارية خصبة، بشرط ألا يؤدي هذا التحدي الحضاري إلى تحيزات مسبقة وانتهاج معايير مزدوجة لتحقيق أهداف براغماتية أنانية. وباستطاعة العالم الإسلامي تحقيق ازدهار حضاري

إذا تمكنت النخب الفكرية والاقتصادية والسياسية من استرجاع الانسجام النظري والثراء التاريخي للحضارة الإسلامية بغية إنجاز ممارسة خلاقة على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. كما يجب دعم البرنامج السياسي الجديد للعالم الإسلامي بصفته مشروعاً بديلاً للنظام العالمي الجديد المغالي في النفاق، على أن يكون هذا الدعم عن طريق تشجيع الابداع الفكري والكفاءة الاقتصادية والحيوية الاجتماعية، فمثل هذا الازدهار الحضاري لن يقدم فقط حلولاً لمشاكل العالم الإسلامي، بل هو قادر على إيجاد بديل ملائم لإخراج الإنسانية جمعاء من محنتها.

ومن أهم القضايا التي يؤكد عليها أحمد دواد أوغلو عبر فصول هذا الكتاب الثمانية أن ازمة الحضارة الغربية الراهنة لا يمكن حلها من داخلها، لاسيما بعد أن وصلت إلى مرحلة متطرفة من الاستعلاء وإنكار الحضارات الأخرى وثقافاتها، على النحو الذي تعبر عنه نظريات النهاية (منها مثلا: نهاية الدين، ونهاية الإيديولوجيا، ونهاية التاريخ)، والتي يتبناها كبار مفكريها وفلاسفتها.

ويكشف الباحث في هذا الكتاب أيضاً عن مبادئ التعددية الثقافية والسياسية، والقيم الخاصة بحقوق الإنسان، والتسامح، والحريات العامة، والتي اتضح أنها ليست ذات مضمون إنساني عام ومحايد ينطبق على جميع البشر، بقدر ما هي متحيزة نظرياً وتطبيقياً للإنسان الغربي، حتى ولو أتى هذا التحيز على حساب إنسان آخر لا ينتمي للغرب، أو يرفض أن يكون تابعاً لحضارة الغرب.

اللجنة القطرية لتحالف الحضارات

Qatar Committee for Alliance of Civilizations